دار الثقافة الجديدة

علم الترجمة

مدخل لغوى

د. فوزى عطية محمد

علم الترجمة
(مدخل لغوى)

الناشر :
دار الثقافة الجديدة
٣٢ ش صبرى ابو علم
القاهرة
ت : ٧٤٢٨٨٠

غلاف : محمد عزام

الثقافة الجديدة

علم الترجمة

مدخل لغوى

د. فوزى عطية محمد

مقدمة

الترجمة من أقدم مناحى النشاط الانسانى . ويصعب ، بطبيعة الحال، تحديد البداية التاريخية للترجمة ، ولكن من الممكن القول بأنها ظهرت بظهور الحاجة الى وسيلة للتفاهم بين ناطقى اللغات المختلفة . ولعل النصوص الدينية والوثائق الرسمية وما الى ذلك من نصوص تسجل التعامل بين الدول والشعوب — هى أقدم الترجمات من الناحية التاريخية. ولقد لعبت الترجمة ، ولا تزال تلعب حتى يومنا هذا ، دورا هاما ومحسوسا فى خدمة الحضارة الانسانية والتقارب بين الشعوب .

وتشهد الترجمة فى قرننا العشرين ازدهارا لم تشهد مثيلا له من قبل . ويعود ذلك الى ما وصل اليه العالم المعاصر من توسع فى العلاقات الرسمية والتجارية والثقافية وغير ذلك من مجالات للاتصال بين الدول والشعوب . كما ان تطور العلوم والتكنولوجيا وعدم بقاء انجازاتها حبيسة حدود اقليمية واحدة وما صاحب تطورهما السريع الخطى من تراكم كم هائل من المعلومات قد تصعب ملاحقته فى عالم اليوم — كل هذا أدى الى تنشيط الترجمة وجعلها وسيلة من أهم وسائل التبادل العلمى والفكرى بين الأمم والدول . ونظرة واحدة الى مجالات استخدام الترجمة تكفى لوصف عصرنا الذى نعيشه « بعصر الترجمة » . فالترجمة تشكل قوام العمل فى المنظمات الدولية والوكالات المتخصصة ولا غنى عن الترجمة فى نشاط الهيئات والأجهزة الدبلوماسية ، وأجهزة الحدود والجمارك ، ومؤسسات التصدير والاستيراد ومراكز البحوث،والمؤسسات العسكرية، وخطوط النقل والمواصلات الدولية ، وأجهزة السياحة والاستعلامات والاعلام على اختلاف أنواعها من صحافة واذاعة وتليفزيون وسينما . وبهذا نجد أن الترجمة أصبحت من أهم سبل التفاهم فى عالمنا المعاصر ، كما يمتد أثرها ليشمل كل مجالات النشاط الانسانى ، ويتعدى حدود الأجهزة الرسمية ليصل الى كل بيت من بيوتنا من خلال مختلف قنوات الاتصال المعروفة اليوم .

اقتضى اتساع مجالات استخدام الترجمة وتطرقها الى مختلف جوانب النشاط الانسانى ضرورة اعداد المترجمين فى معاهد وكليات متخصصة ، الأمر الذى تطلب وضع برامج وكتب تخدم العملية العلمية والتعليمية فى هذه المؤسسات . ومن البديهى ألا تقتصر هذه البرامج والكتب على ايراد نصوص من اللغات المختلفة توضح أوجه التقارب والاختلاف بين اللغات ، بل نراها وضعت نصب عينيها دراسة اختلاف نظم اللغات ، وطرق التعبير فيها ، ووضع قواعد وشروط للترجمة من خلال تقنينات علمية تخضع للتجريب والتحليل وفق مذاهب علمية محددة كما هو الحال فى شتى الدراسات العلمية المنهجية . والجدير بالذكر فى هذا المقام أن هنرى فان هوف أصدر عام ١٩٧٣ « الفهرس العالمى للترجمة » (١) ويتضمن أكثر من ٤٦٠٠ اسم كتاب وبحث لحوالى ثلاثة آلاف مؤلف وباحث ، هذا مع اشارته الى أن « الفهرس » لم يشمل كل ما كتب فى الترجمة .

ولكن هناك من يقول : « الترجمة فن يعتمد أساسا على التمكن من لغتين ووجود ملكات أدبية لدى المترجم ، أما القول بأن الترجمة علم من العلوم ، فليس سوى « حذلقة » ، وقد يصل الأمر الى استخدام كلمة « هراء » أو « كلام فارغ » . لا جدال أن الترجمة تعتمد الى حد كبير على مهارات أساسية يجب توافرها فى المترجم ذاته ، وهى مهارات تكتسب وتصقل من خلال الممارسة وبناء الذات . وتتجسد هذه المهارات فى الجوانب الفنية للترجمة من حسن اختيار للتعبير وتميز فى الاسلوب وغير ذلك من القيم الفنية التى سنتعرض لها فى هذا الكتاب . ولكن يكفى للرد على هؤلاء اثارة قضية واحدة من قضايا الترجمة وهى قضية مطابقة الترجمة للأصل المترجم منه . ما هى المعايير التى يمكن الحكم بها بأن هذه الترجمة مطابقة / غير مطابقة للنص الأصلى ؟ لكى يكون مثل هذا التقييم موضوعيا ، لابد من وجود أسس وقواعد علمية يمكن عن طريقها الحكم على الترجمة ، ومن بين هذه الأسس ، على سبيل المثال لا الحصر ، ضوابط تطابق مشتملات المضمون ، ضوابط تطابق الاسلوب وغير ذلك من ضوابط تكفل الحيدة العلمية والبعد عن النظرة الذاتية .

والترجمة فى عالمنا العربى المعاصر تحظى باهتمام كبير من جانب مختلف الهيئات والمؤسسات . ولقد أدى هذا الاهتمام الى انشاء العديد من المعاهد والكليات والمراكز التى تعنى بالترجمة تعليما ونشاطا فى مختلف

---

1. Henry Van Hoof. International Bibliography of Translation Pullach bei München, 1973.

الدول العربية . غير أن المكتبة العربية لا تزال تفتقر الى الكتب المتخصصة فى الترجمة والتى تعالجها من منطلقات علمية وأسس نظرية وتطبيقية . وهذا لا يعنى خلو الساحة تماما من كتابات متناثرة تعرض أصول ومذاهب الترجمة من واقع تجربة وخبرة المترجمين العرب . وكانت هذه الكتابات مادة خصبة صاغها الاستاذ محمد عبد الغنى حسن فى كتابه « فن الترجمة فى الأدب العربى » (١) فى محاولة منه لسد الفراغ فى مضمار التأليف فى الترجمة . ولنتوقف قليلا عند هذا الكتاب لما به من قضايا تشكل مباحث يتعرض لها علم الترجمة ونظرياته المعاصرة .

يجمل المؤلف ما يحتويه الكتاب بقوله : « لم يصل الى علمنا كتاب عربى واحد كتب فى فن الترجمة وطرائقها ، وأصولها وقواعدها ، وعيوبها ومحاسنها ، ومزالقها وشرائطها ، وطرائف النقلة والمترجمين ، والترجمة اللفظية ، والترجمة بالمعنى والتصرف فى الترجمة ، وترجمة الشعر ، وتعدد الترجمات للأثر الأدبى أو الفكرى الواحد ، وترجمة الألفاظ وتعريبها » (٢) ويستعرض المؤلف ما جاء فى هذه النقاط والموضوعات من آراء على امتداد التجربة العملية للعرب فى الترجمة بدءا من العرب القدامى وحتى الكتابات الحديثة . والأمر الذى لا يختلف فيه اثنان هو ان الترجمة عملية خلق فنى وعلى هذا فانها — كما يذكر المؤلف على لسان الدكتور يعقوب صروف — ليست « بالأمر الهين ، بل هى صعبة ، وأصعب من التأليف ، لأن المؤلف طليق بين معانيه ، والمترجم أسير معانى غيره ، مقيد بها ، مضطر الى ايرادها كما هى ، وعلى علاتها ، اذا لزم الأمانة فى الترجمة — كما هو الواجب — والا فليس مترجما ، بل هو مصنف »(٣). وهذا يقتضى توافر شروط معينة فى المترجم كى يكون قادرا على دقة الأداء فى نقل الأفكار الواردة فى النص ، وايفاء المعانى والأساليب حقها من الصدق والأمانة أثناء نقلها . ويوجز الجاحظ فى عبارة بليغة الشروط الواجب توافرها فى المترجم ، اذ يقول فى معرض حديثه عن الشعر العربى وصعوبة ترجمته فى كتابه « الحيوان » : « لابد للترجمان من أن يكون بيانه فى نفس الترجمة فى وزن علمه فى نفس المعرفة . وينبغى أن يكون من أعلم الناس باللغة المنقولة أو المنقول اليها ، حتى يكون فيهما سواء » (٤) .

---

(١) محمد عبد الغنى حسن . فن الترجمة فى الأدب العربى . الدار المصرية للتأليف والترجمة . القاهرة ١٩٦٦ .

(٢) المرجع السابق ص ١٠ .

(٣) المرجع السابق ص ٢١ .

(٤) المرجع السابق ص ٢٧ .

والواقع ان هذه الشروط الثلاثة مجتمعة تمثل أساس عملية الترجمة . فالى جانب التمكن من اللغة المنقول منها واللغة المنقول اليها يحتاج المترجم الى معرفة تامة ودقيقة بالمجال والتخصص الذى يترجم فيه . فالترجمة تتنوع بتنوع مناحى المعرفة والعلوم ، الأمر الذى ينعكس على الترجمة منهجا ومذهبا وأسلوبا . فالترجمة العلمية تختلف بطبيعة الحال عن ترجمة الآثار الادبية ، كما ان منهج وأسلوب الترجمة الاعلامية لهما من الخصائص ما يميزهما عن مثيلتهما فى ترجمة الشعر على سبيل المثال .

والترجمة تتعامل مع نص بما يحتويه من الفاظ ومعان وأفكار . ومن المعروف أن الاتصالات الحضارية والثقافية بين مصر وأوروبا وما صاحب ذلك من تدفق للعلوم ومظاهر الحضارة الأوروبية فى نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين — قد أثارت قضية « التعريب » . فقد كان على اللغة العربية أن تتفاعل مع هذه التطورات الجديدة بحيث تصبح طيعة لاستيعاب المسميات الجديدة ومفاهيمها . وانقسم المهتمون بقضية « التعريب » الى فريق ينادى بسياسة الباب المفتوح ونقل الالفاظ الأعجمية كما هى ، ذلك لأن اللغة العربية « لغة بداوة » ولا تستطيع استيعاب مصطلحات العلوم الحديثة . وما من شك أن الاستعمار كان وراء هذه الأفكار ، يزكيها بغية اماتة اللغة العربية كعنصر هام من عناصر الشعور الوطنى . وذهب فريق آخر الى المطالبة بوضع مصطلحات عربية بدلا من المصطلحات والألفاظ الأعجمية ، ذلك لأن اللغة العربية بما لها من مقومات بنيوية واشتقاقية قادرة على استيعاب مفاهيم العلوم والحضارة والتعبير عنها بالفاظ عربية البناء . وفريق ثالث من أنصار « الترخيص المقيد غير المطلق » — كما يقول مؤلف كتاب « فن الترجمة فى الأدب العربى » — ويقصد به البحث عما يرادف اللفظ ويؤدى معناه فى اللغة العربية ، او ترجمته ترجمة حرفية اذا لم يوجد له مرادف . ومن هذا المنطلق يقسم الدكتور يعقوب صروف (١) المعانى المراد ترجمتها الى العربية الى أربعة أنواع : معان على سبيل الحقيقة المألوفة (مثل : ركوب الفرس ، شرب الشاى) ، ومعان على سبيل الحقيقة غير المألوفة (مثل : صوت لفلان فى الانتخاب — فالتصويت فى الانتخاب معنى جديد طارىء لم يكن معروفا عند العرب على صورته الحاضرة) ، معان على سبيل المجاز المألوف (مثل : أيقظ الفتنة ، وفرق الشمل — حيث لا يصعب العثور على

---

(١) المرجع السابق ص ١٥ .

ما يرادفه فى العربية) ، ومعان على سبيل المجاز غير المألوف (مثل : لعب دوره ، ذر الغبار فى العيون) وفى هذه الحالة « اذا لم نجد فى العربية ما يرادفها — كما يقول الدكتور يعقوب صروف — وصادفت العبارة الافرنجية استحسانا لخفة لفظها أبقينا عليها على حالها اى ترجمناها ترجمة حرفية » .

غير أن الترجمة ليست « تعريبا » بمعنى ايجاد الفاظ عربية مقابلة للألفاظ الأجنبية ومساوية لها فى المعنى . ذلك لأن مثل هذا التعريب « لا يشمل ما يرد فى النص من أفكار وروح وواقع يعيشه المؤلف . فالترجمة عملية معقدة تحتاج الى نهج فى التعامل مع النص كى تأتى على قدر كبير من الصدق والأمانة فى النقل . وفى هذا يعرض كتاب « فن الترجمة فى الأدب العربى » نهج الاستاذ أحمد حسن الزيات — (١) وهو النهج الذى ارتضاه « مذهبا » له فى الترجمة بعد تقديمه لمذاهب الترجمة عند العرب . يقول الاستاذ احمد حسن الزيات : « ان مذاهب الترجمة عند العرب تنحصر فى طريقين كما ذكر الصلاح الصفدى . الطريق الأول هو « طريق يوحنا البطريق وابن ناعمة الحمصى وغيرهما » . ويعتمد هذا النهج على النظر الى كل كلمة مفردة من الكلمات اليونانية وما تحمله من معنى « فيأتى الناقل بلفظة مفردة من الكلمات العربية ترادفها فى الدلالة على ذلك المعنى، فيثبتها أو ينتقل الى أخرى ، حتى يأتى على ما يريد تعريبه » . وهذه الطريقة رديئة لسببين : السبب الأول « انه لا يوجد فى الكلمات العربية كلمات تقابل كل كلمات اليونانية » ، ولهذا بقى الكثير من الكلمات اليونانية على حالة اثناء التعريب . والسبب الآخر يرجع الى اختلاف « خواص التراكيب والنسب الاسنادية » من لغة الى أخرى ، ولذا يقع الخلل من جهة استعمال المجازات وهى كثيرة فى جميع اللغات » . أما الطريق الثانى فى الترجمة فهو طريق حنين بن اسحاق والجوهرى وغيرهما » . ويقوم هذا النهج على استيعاب الناقل لجملة فى ذهنة ثم « يعبر عنها من اللغة الأخرى بجملة تطابقها سواء ساوت الألفاظ أو خالفتها » . وهذه الطريقة — كما يقول الاستاذ احمد حسن الزيات — أجود من الطريقة الأولى ، ثم يستطرد مبينا مذهبه فى الترجمة بقوله : « هذان مذهبا الترجمة فى الاسلام ولا ثالث لهما عندهم . والمذهب الذى اتبعته فيما ترجمت ، توفيق بين المذهبين ، يجمع ما فيهما من المحاسن ، وينفرد فى ترجمة الآثار الأدبية بمزية لم يتميز بها المترجمون الأوائل ، لأنهم

---

(١) انظر المرجع السابق ص ١٩ — ٢١ .

لم يعالجوا الا ترجمة العلوم والفلسفة ، ما عدا ابن المقفع ونفر آخرين ، تلك المزية هى استشعار التجربة العاطفية التى شعر بها الكاتب والشاعر ، ليكون التعبير عنها قويا صادقا . فأنا أنقل النص الأجنبى الى العربية نقلا حرفيا على حسب نظمه فى لغته ، ثم أعود فأجريه على الاسلوب العربى الأصيل ، فأقدم وأؤخر دون ان أنقص أو أزيد ، ثم أعود ثالثة فأفرغ فى النص روح المؤلف وشعوره ، باللفظ الملائم ، والمجاز المطابق ، والنسق المنتظم فلا أخرج من هذه المراحل الثلاث الا وانا على يقين جازم بأن المؤلف لو كان كتب قصته أو قصيدته باللغة العربية لما كتبها على غير هذه الصورة » . والترجمة على هذا النحو — كما يقول الاستاذ أحمد حسن الزيات — أشق وأتعب « لأن المؤلف ينقل مباشرة من ذات نفسه الى ذات قلمه ، أما المترجم فانه ينقل من لغة تخالف لغته كل الاختلاف فى تأليف الجملة ، ونظم الاسلوب ، وتصوير الطبيعة والبيئة على مقتضى التربية والعقلية والحضارة ، فجهده الأول تطويع اللغة العصية لقبول المعانى الأجنبية قبولا لا يظهر فيه شذوذ ولا نشوز ، وجهده الآخر اندماج فيمن يترجم عنه ، فيشعر بقلبه ، وينظر بعينيه ، وينطق بلسانه . وبهذا التطويع وهذا الاندماج يتحقق الصدق فى التعبير والأداء ، ويكون المؤلف والمترجم كالشخص وصورته فى المرآة » (١) .

واذا نظرنا الى كلمات الاستاذ أحمد حسن الزيات هذه نجد انه يشير الى عنصرين هامين من عناصر الترجمة ، يتناولها كتاب «فن الترجمة» فى سياق عرضه لشروط الترجمة . وهذان العنصران هما « روح المؤلف » و « التطويع » . فالترجمة ليست عملية نقل « آلى » لنص من النصوص ، ولذا يقول الاستاذ الزيات فى منهجه : « ثم أعود ثالثة فأفرغ فى النص روح المؤلف وشعوره » . ومن هنا كانت ضرورة معرفة الكاتب معرفة جيدة بمعنى فهمه ومعايشة وجدانه وأحاسيسه فيما كتب ، أو كما يؤكد كتاب « فن الترجمة » على لسان عادل زعيتر : « ان مهمة المترجم ليست نقل العبارة الأجنبية الى العربية . بل ان هناك ما هو أهم وأعظم من هذا بمراحل كثيرة ، وهو أن ينفذ المترجم الى روح الكاتب ، وأن يفهم شخصية المؤلف تمام الفهم » (٢) .

---

(١) المرجع السابق ص ٢١ .

(٢) المرجع السابق ص ٣٥ .

أما عنصر « التطويع » فالمقصود به « تطويع اللغة العصية لقبول المعانى الأجنبية قبولا لا يظهر فيه شذوذ أو نشوز » . وعملية « التطويع هذه — كما جاء فى كتاب « فن الترجمة » — تقوم على مقومات هامة ، هى فى حد ذاتها من بين الشروط الواجب توافرها فى الترجمة . ومن بين هذه المقومات عدم الخلط بين الأساليب الكتابية ، حيث ينقل المترجم « الرواية المؤثرة مثلا الى عبارة المترسلين القدماء أو أصحاب المقامات ، ويستعمل للوصف الخيالى أوضاعا ضخمة لا تصلح الا فى الملاحم والمساجلات » . وهذا الأمر يقتضي من المترجم التمكن من اللغة ، أذ لابد « قبل النقل من اجادة اللغة التى ينقل اليها النص . فاذا قعدت اللغة بالناقل عز عليه أن يترجم ترجمة صحيحة يعول عليها ، وجاء كلامه مهلهلا، لا ينضبط معنى ، ولا يؤدى رسالة محددة الأهداف » (١) . والمراعاة الاسلوبية أمر بالغ الأهمية فى الترجمة بشرط الا يؤدى هذا الى الخروج عن هدف المؤلف أو الى الابهام والغموض . ولا شك أن الا يغال فى استخدام الألفاظ المعجمية المبهمة — وقد يصل هذا الايغال الى حد المباهاة بمعرفة الفاظ لا يعرفها القراء — يفسد الترجمة . فالاسلوب الواجب اتباعه فى الترجمة ينبغى أن ينطلق — كما يقول الشاعر مطران خليل مطران (٢) — من « السنة الشريفة التى سنها النبى القدسى بقوله : أمرت أن اخاطب الناس على قدر عقولهم » .

ومن بين شروط الترجمة التى يعرض لها كتاب « فن الترجمة » قضية الالتزام بالنص . وترتبط هذه القضية بعنصرين هامين من عناصر أمانة النقل وصدق الأداء فى الترجمة . والعنصر الأول هو « الزيادة على النص أو الحذف منه » . وفى هذا ينبغى على المترجم الالتزام بالنص وعدم التقديم والتأخير الا فيما يقتضيه تركيب اللغة العربية . وقد تضطر مقتضيات الترجمة وبعض ضروراتها المترجم الى اسقاط عبارة من الأصل أو اضافة عبارة ليست فى أصل الترجمة . كما قد يلجأ المترجم الى البتر والحذف أو اهمال بعض العبارات الواردة فى الأصل كيلا « يؤذى شعور القارىء بما يخدش الحياء أو يجرح الفضيلة . وقد يستعين المترجم فى مثل هذه الأحوال بالاشارات اللبقة والكنايات المقبولة بغية نقل معانى الأصل . وقد يكون الحذف نتيجة عجز المترجم ترجمة الأصل ترجمة أمينة بسبب ضعفه فى اللغة التى ينقل منها وعدم فهمه لها فهما دقيقا .. وأخيرا

---

(١) انظر رأى الاستاذ أنيس المقدسى ص ٣٦ — ٣٧ .

(٢) المرجع السابق ص ١٨ .

فان الترجمة عن ترجمة أخرى قد تكشف عن بتر وحذف من الأصل فى اللغة الأساسية وذلك نتيجة تمايز وسائل التعبير فى اللغات المختلفة (١) .

والعنصر الثانى المرتبط بقضية الالتزام بالنص هو « التلخيص فى الترجمة » . ويذكر كتاب « فن الترجمة » أن بعض المترجمين اتخذوا التلخيص منهجا لهم فى الترجمة لا لعدم قدرتهم على الأداء الكامل فى ترجمة النص ، بل لاعتبارات خاصة . وفى هذا يقول الكتاب على لسان درينى خشبة (٢) فى ترجمته للالياذة والأوديسة : « ولم يبق الا أن يعلم القارىء لماذا آثرت تلخيص الالياذة والأوديسة ولم أوثر ترجمتهما ؟ ولا احب أن أطيل فى ايراد سبب ذلك .. فأنا لا أزال عند رأيى من وجوب تحبيب الادب اليونانى الخالد الى قراء العربية ، وازالة ما عساه أن يصرفهم عن ورده ، والاستمتاع بروائعة . والأدب اليونانى مثقل بمئات من أسماء الآلهة والاشارات الاسطورية التى تصرف القارىء عن لب الموضوع ، بل ربما صرفته عن الموضوع نفسه ، وزهدته فيه ، فلا يعود اليه أبدا . لهذا آثرت التلخيص على الترجمة » . ومن ناحية أخرى يرى الكثيرون أن ظاهرة « التلخيص فى الترجمة » ظاهرة معيبة ، تخرج — كما يقول كتاب فن الترجمة — بالمترجم عن مناهج الصواب ، حيث يطلق العنان لقلمه ، ويجد فى النص ما لم يكن يريده المؤلف ، ويتصرف فى المعنى بالزيادة والنقصان حسب هواه ، فيفسد بذلك النقل ويضيع الأصل . والى جانب ذلك قد يؤثر التسرع على أداء المترجم ، فيلتبس عليه فهم العبارة وادراك المعانى وتصبح الترجمة بذلك تضمينا أو اختصارا أو معارضة أو «مسخا» للنص الأصلى (٣) .

ويفرد كتاب « فن الترجمة » فصلا خاصا عن ترجمة الشعر . ويؤكد الكتاب أن ترجمة الشعر عملية شاقة تحتاج الى جهد خاص ، لأن لكل لغة موازينها الشعرية الخاصة ، ومحاولة فرض الوزن الشعرى فى اللغة المنقول منها الى اللغة المنقول اليها ليست سوى محاولة للقيام بما يستحيل أو ما لا يستطاع . ويتناول مؤلف كتاب « فن الترجمة » ترجمة الشعر عند العرب من وجهة نظر تاريخية ، فيشير الى أن العرب قد

---

(١) أنظر المرجع السابق ص ٥٣ — ٦٢ .

(٢) المرجع السابق ص ٦٤ .

(٣) انظر المرجع السابق ص ٦٣ — ٧١ .

تحاموا نقل الشعر الأعجمى فى عصر ازدهار الترجمة فى القرنين الثانى والثالث من الهجرة ، حيث ركزوا جهدهم على ترجمة العلوم من طب وهندسة وفلك وزراعة وتاريخ وجغرافيا وفلسفة ومنطق وما الى ذلك . ويرجع الاستاذ جورجى زيدان — كما يقول كتاب « فن الترجمة » — السبب فى هذا الى « استغنائهم بما عندهم من الشعر العربى والاكتفاء بشاعريتهم » (١) فقد اقتضت الحاجة ضرورة ترجمة العلوم المختلفة لخدمة أهدافهم العملية ، أما الشعر الأعجمى — مهما كان قدرة ومهما كانت قوته — لم يكن لتألفه الأذن العربية بعد سماع شعر اعلام الشعر العربى، وفضلا عن ذلك كان النقلة والمترجمون فى أكثرهم « من نصارى النساطرة والحرانيين والسريان واليعاقبة ، ولم تكن لديهم ميول أدبية ، فقد كان اشتغالهم بالفلسفة والطب والتنجيم أكثر ، وعقولهم بها أعلق ، ونفوسهم بها الصق ، ولم تكن العربية لغة سليمة لهم ، ولا صحيحة عندهم » (٢) .

ولقد نشطت ترجمة الشعر فى نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين . الا أن الاقبال على ترجمة النثر كان أكثر منه على نقل الشعر ، ذلك لأن « الشعر للخاصة لا للعامة ، الأمر الذى لا يصعب استنتاجه من واقع توزيع دواوين الشعر وتوزيع الرواية والقصة . ومن ناحية أخرى نجد أن « الشعر فيه من الفنية الخاصة ما يجل نقله الى لغة أخرى مشقة وتضحية بالوقت تخولان دون التوفر على ترجمته » (٣) وترجمة الشعر لها شروط خاصة . ويرى مؤلف كتاب « فن الترجمة » أنه من الضرورى لكل من « يتصدى لترجمة الشعر من لغة الى أخرى أن يدرك الفوارق بين موسيقى اللغتين المنقول منها والمنقول اليها ، كما عليه أن يتقمص شخصية الشاعر الذى يترجم شعره ، وأن يضع نفسه تماما فى نفس الظروف والمواقف التى كان فيها » (٤) . ومن هذا المنطلق يشترط البعض أن يكون مترجم الشعر شاعرا اصلا أو أن يكون متمتعا بملكة الشعر . وفى هذا يقول الكتاب على لسان الاستاذ على أدهم : « والمترجم الذى يوفق فى ترجمة الشعر لابد أن تتوافر فيه صفتان ليس من السهل اجتماعهما . اذ يلزم أن يكون هو نفسه شاعرا . ومهما كانت براعته

---

(١) المرجع السابق ص ١٠٣ .

(٢) المرجع السابق ص ١٠٦ .

(٣) انظر رأى الاستاذ أنيس المقدسى ص ١٠٢ .

(٤) المرجع السابق ص ١٢٤ .

ومعرفته بأسرار اللغتين ـ اللغة التى ينقل عنها ، واللغة التى يترجم اليها ـ فان الترجمة لا ترتفع الى المستوى الرفيع ان لم يكن عنده ملكة الشعر . والذى يستطيع أن يؤدى ترجمة الشعر أداء مقبولا لابد أن ينظر الى الأشياء بعين الشاعر الذى ينقل عنه ، أو يتقمص شخصيته ، ويشعر بعواطفه ، أى لا تعوزه الشخصية الشاعرية ، وأن يكون معتمدا فى وحيه الشعرى على ما يتلقاه من وحى الشعر الذى ينقل عنه » (١) .

واذا كان الحديث يدور هنا حول ترجمة الشعر شعرا فان بعض المترجمين ينحو نحو التخلص من قيود الشعر المقيدة ويؤدى ترجمة الشعر شعرا مرسلا . وهذا الاتجاه ـ كما يرى مؤلف كتاب « فن الترجمة » ـ ليس سوى اتجاه وسط بين ضرورة ترجمة الشعر شعرا بكل ما تعنيه هذه الكلمة من معان وما يتبع ذلك من وزن وموسيقى وتفعيلات ، وبين الاتجاه الذى يرى امكانية ترجمة الشعر فى أسلوب النثر على أساس أن الوزن ليس كل شىء فى الترجمة ، وان المهم فى حالة ترجمة الشعر هو الأمانة فى نقل المعانى والصور والخيال مع المحافظة على الروح فى الأثر المنقول .

ويتناول مؤلف الكتاب ترجمة الكتب المقدسة وتاريخها وينتقل الى ترجمة القرآن بين الجواز والمنع . ويرى أنصار ترجمة القرآن ضرورة ترجمة معانى القرآن لما يقتضيه العمل على نشر هداية الاسلام ، أما المنادون بعدم جواز ترجمة القرآن ، فيقيمون رأيهم على ان القرآن روح والروح لا تترجم ، وأن القرآن نور والنور لا يترجم . واذا كان الأمر يقتضى العمل على نشر هداية الاسلام ، فمن الممكن تفسير القرآن للشعوب الأخرى بلغاتها . والتفسير شىء آخر غير الترجمة ، كما يرى أصحاب عدم جواز ترجمة القرآن ، فانه لا يغير النص الأصلى ، ولا ينقله من وجه الى وجه . ويقف مؤلف كتاب « فن الترجمة » موقف المؤيد من أنصار عدم جواز ترجمة القرآن ، وذلك خشية أن يكون « جواز الترجمة سبيلا الى التصرف الذى قد يكون مزلقة الى التحريف ، وقد يتصرف المترجم حتى تكون الترجمة للقرآن شيئا آخر غير القرآن » ، وفى هذه الحالة يصبح هناك « قرآن أصلى ، وقرآن بتصرف ، وقرآن مختصر ملخص » (٢) .

---

(١) المرجع السابق ص ١١١ .

(٢) المرجع السابق ص ١٥٠ .

ويتعرض المؤلف بعد ذلك لظاهرة تعدد الترجمات للأثر الأدبى الواحد وفى لغة واحدة ، ويرى أن مثل هذه الترجمات « نوافذ مفتوحة على المعانى التى يتضمنها الأصل المترجم ، وكلما كثرت هذه النوافذ كان الاستمتاع بالأصل أكثر » (١) . ولا يعتبر تعدد الترجمات للأثر الأدبى الواحد ازدواجا فى العمل أو اسرافا لا طائل تحته ، ولكنه ضرورة تفتح أمام القراء رحابا جديدة . ومن ناحية أخرى فان تطور اللغة فى المجتمع بصفة مستمرة ، ومتابعة هذا التطور يقضيان القيام بترجمات جديدة تلائم الجيل الصاعد ، وترضى ذوقة ، وتماشى اتجاهه .

وبتطور النشاط الترجمى تطورت حركة وضع المعاجم الأجنبية العربية والعربية — الأعجمية فى مختلف مجالات المعرفة لسد حاجة المترجمين من المعينات التى تساعدهم فى اختيار اللفظة أثناء الترجمة . واختيار اللفظة أثناء الترجمة — كما يقول كتاب « فن الترجمة » — ليس عملية سهلة كما يعتقد البعض فاختيار هذه اللفظة أو تلك يدل على فهم المترجم للنص ، ولروحه ، وادراك المعنى المقصود فى هذا الموطن أو ذاك ، حتى لا توضع الكلمة فى غير موضعها ، أو لا تكون دلالتها على المعنى المراد غير تامة . ومن ناحية أخرى ينبغى أن تنم الكلمة المختارة عن ذوق أدبى يوجهه أحساس بجمال اللفظة ، وعدم نفور الذوق العام أو العرف العام منها ، هذا بجانب ضرورة أن تكون سهلة على الألسن فى الاستعمال ، ولا يكون فيها تنافر فى الحروف يتنافى مع الفصاحة . والى جانب هذه الشروط الواجب اتباعها فى اختيار اللفظ أثناء الترجمة ، من الضرورى « أن يستغنى قدر الامكان عن ترجمة اللفظة الأجنبية الواحدة بجملة قد تقتصر أحيانا ، وقد تطول فى بعض الحين . فالايجاز البليغ الأداء شرط فى صحة الترجمة وجودتها » (٢) .

غير أن المترجم يواجه فى النص ، الى جانب الالفاظ المستخدمة فى معناها الحقيقى ، مجازات واستعارات يوردها الكاتب وفقا لطرائق التعبير والذوق الأدبى فى لغته ومجتمعه . ويشير مؤلف كتاب « فن الترجمة » الى أن معالجة المجازات والاستعارات تختلف من مترجم الى آخر . فالبعض يرى أن الترجمة أمانة ولذا يجب أن تؤدى المجازات

---

(١) المرجع السابق ص ١٥١ — ١٦٥ .

(٢) المرجع السابق ص ١٦٨

والاستعارات كما كتبها أصحابها الاصليون . ويرى البعض الآخر عدم التقيد بما جاء فى الاصل الاجنبى من مجازات واستعمارات اذ لم يكن تقع موقع الذوق الحسن فى اللغة المنقولة اليها ، ذلك لان الترجمة « ذوق » قبل أن تكون قيدا وتقيدا .ويؤكد مؤلف الكتاب أن المجازات والاستعارات تتقارب فى اللغات بتقارب أصلها ومتنها وفكرها ، أما حين تتباعد اللغتان المنقول منها والمنقول اليها « أصلا وجذورا ونحوا وبيانا ومجازا وفكرا ، فان الاستعارة والمجاز يبدوان صارخين حين الترجمة ويبدو بينهما من واسع المفارقات ما يحمد معه الالتجاء الى المجاز العربى لانه أقرب الى الذوق العربى (١) .

ويتناول كتاب « فن الترجمة » موضوع تعريب الاعلام الاجنبية على نطاق تاريخى بدءا بعصر الترجمة عند العرب حتى ماورد فى تقرير لجنة اللهجات بمجمع اللغة العربية بالقاهرة (١٩٦٤) من مقترحات فى هذا الخصوص . ويتضمن التقرير مبادىء تعريب أسماء الاعلام وهى كما عرضها كتاب « فن الترجمة » :

١ — تطبيق قواعد كتابة الاعلام الاجنبية على أسماء الاشخاص والمصطلحات العلمية المعربة لانها بمثابة الاعلام .

٢ — يكتب العلم الاجنبى على حسب نطقه فى موطنه ، وبذا نسلم من البلبلة التى نلمسها فى نطق اللغات الاوربية الحديثة لعلم واحد من أصل يونانى أو لاتينى بطرق مختلفة : وليم فى الانجليزية ، وفلهم فى الالمانية ، وجيوم فى الفرنسية .

٣ — اذا كان المستشرقون قد وجدوا رموزا للدلالة على الاصوات العربية غير الموجودة فى لغاتهم ، ففى وسعنا أن نجد فى العربية الرموز التى تعبر عن الاصوات الاجنبية .

٤ — الى أن تستقر الصورة العربية للعلم الاجنبى وتشيع بين الدارسين ، يحسن أن تكتب معها بين قوسين صورته الاجنبية (أى يرسم بحروفه الاجنبية) . ثم يقدم الكتاب ما وضعته اللجنة من قواعد وتوجيهات فى كتابة الاصوات والحروف الاجنبية برموز عربية (٢) .

---

(١) المرجع السابق ص ٢٠٨

(٢) المرجع السابق ص ٢٢٣ . ولمزيد من التفصيل انظر ص ٢١١ — ٢٢٩

بعد هذا العرض الموجز لكتاب « فن الترجمة » تتضح لنا اهميته فى مجال التاليف فى الترجمة ، حيث لا يقتصر على آراء المحدثين وحدهم ، بل يمتد تاريخيا ليشمل فن الترجمة عند العرب فترة ازدهار حركة الترجمة والنقل . وتجدر الاشارة الى أن الكتاب يتبع نهجا معياريا فى معالجة الترجمة . ويقوم هذا النهج على تعميم الاستنتاجات من واقع خبرات المترجمين ليسترشد بها المترجم فى عمله التطبيقى . وما ورد فى الكتاب من استنتاجات قوامه الموازين الجمالية الفنية للترجمة . فالترجمة ليست سوى عملية أدبية فنية ينبغى أن تتحرى مقتضيات الشكل والمضمون ، وروح المؤلف ، وبناء الصورة الواردة فى الاصل المنقول منها وما الى ذلك من قضايا أدبية . ويتبع النهج المعيارى الملاحظة التجريبية للخروج بمعايير ومواصفات لعملية الترجمة وتقييم ناتجها . واذا نظرنا الى المعايير التى يمكن استخلاصها من كتاب « فن الترجمة » الذى عرضناه له ، نجد أنها تتفق وتلك التى صاغها تيودور سافورى فى كتابه « فن الترجمة » (١) من واقع الخبرة العملية وآراء المترجمين على امتداد تطور حركة الترجمة فى أوربا ومجمل هذه المعايير هى :

١ — الترجمة ينبغى أن تكون نقلا للألفاظ الواردة فى النص .

٢ — الترجمة ينبغى أن تكون نقلا للأفكار الواردة فى الاصل .

٣ — الترجمة ينبغى أن تقرأ كالنص الاصلى .

٤ — الترجمة ينبغى أن تقرأ كترجمة .

٥ — الترجمة ينبغى أن تعكس أسلوب الاصل .

٦ — الترجمة ينبغى أن تعكس أسلوب المترجم .

٧ — الترجمة ينبغى أن تقرأ كنص معاصر للنص المنقول منه .

---

1. Theodore Savory. The Art of Translation. Jonthen Cape. 1968 p. 50.

٨ — الترجمة ينبغى أن تقرأ كنص معاصر للغة المترجم .

٩ — يمكن أثناء الترجمة الاضافية الى النص أو الحذف منه .

١٠— لا ينبغى الحذف أو الاضافة أثناء الترجمة .

١١— الشعر يترجم نثرا .

١٢— الشعر يترجم شعرا .

من الملاحظ أن هذه المعايير متناقضة تناقضا منهجيا ، ذلك لانها وليدة نظرة ذاتية نابعة من التجريب العملى للمترجم من ناحية ، كما أنها نتيجة تتناول جانب واحد من جوانب عملية الترجمة البالغة التعقيد من ناحية أخرى ، اذ أنها تتناول أسلوب الاداء وحده . ولا جدال أن هذه المعايير غير الثابتة لا يمكن أن تصلح قاعدة أساسية لعملية علمية — تعليمية فى مؤسسة من المؤسسات . ولنا أن نتصور ما يمكن أن يكون عليه الحال اذا ارتأى البعض توصيل المعلومات الى الطلاب استنادا على بعض هذه المعايير واغفال الاخرى ، ناهيك عن احتمال تغير المعايير باختلاف القائمين بالتدريس ، زد على ذلك عوامل الانطباعية الذاتية التى قد تزيد من الخلل فى عملية توصيل المعلومات .

ولا يخرج عن النهج المذكور كذلك كتاب « علم الترجمة » للدكتور صلاح عبد الحافظ (١) ، حيث يعد الكتاب امتدادا للنظر الى قضايا الترجمة كمجموعة من المعايير والوصايا الارشادية . ويوجز المؤلف محتويات الكتاب على الغلاف فى عبارات مختصرة هى « علم الترجمة . كتاب يبحث فى اعداد المترجم وشروط الترجمة الجيدة وأنواعها ومشكلاتها مع مقارنات وتراجم مختارة من القرآن الكريم والشعر العربى باللغة الانجليزية . » وفى الكتاب يتناول المؤلف هذه القضايا مؤكدا بادىء ذى بدء أن الترجمة لم تعد مجرد عمل يقوم به المترجم وينتهى منه ، بل هى « علم كامل متكامل له أصوله وقواعده

---

(١) د. صلاح عبد الحافظ . علم الترجمة . دار المعارف . الاسكندرية ١٩٨٣ .

وذو شروط ، علم عملى يمارس ، ينبغى أن يقوم له كيان مستقل بجانب العلوم الاخرى » . (١) أما فيما يتعلق بجوهر الترجمة ، فيرى الدكتور صلاح عبد الحافظ ضرورة التفريق بين مفهومى translation و interpretation حيث تعنى الاولى نقل المادة المكتوبة من لغة الى أخرى ، أما اللفظ الثانى فيعنى تفسير الشيء الغامض بشيء مفهوم أو « تحويل غير المفهوم الى مفهوم ، و بما أن اللغة فى النص الاجنبى تبدو للطرف الآخر فى الترجمة غير مفهومة ، فان تحويلها الى لغة مفهومة ، أو شرحها بلغة مفهومة يعد ترجمة » . (٢)

ويتناول كتاب « علم الترجمة » الشروط الواجب توافرها فى المترجم ، الا أن المؤلف لا يخرج عن الاطر العمومية الطابع ، فضلا عن الخلط بين الترجمة التحريرية والترجمة الشفوية والشروط الواجب توافرها فى كل مترجم لهذه النوعية أو تلك . ففى اطار توافر « الموهبة والاستعداد الشخصى » يركز المؤلف على مواصفات المترجم الشفوى ومنها « دقة الملاحظة ، والاذن اللاقطة والعين اللماحة والذاكرة القوية والمقدرة على اختزان المعلومات فيها واسترجاعها كيفما شاء وفى الوقت المناسب ، مع القدرة على الحفظ الفورى وحسن التصرف فى المواقف الصعبة ، والقدرة على التكيف حسب ما يتطلب الموقف ، وكذلك التحكم فى الاعصاب والتصرفات . » (٣) ويبدو منطق الخلط بين متطلبات الترجمة التحريرية والترجمة الشفوية فى اشارة مؤلف الكتاب الى أن بعضا من هذه المواصفات يخص المترجم الفورى ، والبعض الآخر يخص المترجم التحريرى ، وذلك دون تحديد لما يخص هذا أو ذاك . والى جانب الموهبة والاستعداد الشخصى يتطلب الامر اتقان اللغتين المنقول منها والمنقول اليها ، ومعرفة موضوع الترجمة الى حد التخصص . وهنا يفرض الدكتور صلاح عبد الحافظ مقولات جانبه الصواب فيها فى رأينا . حيث يؤكد أن المترجم ذا التخصص العلمى لا يستطيع ترجمة كتاب فى الادب ، لان المامه العلمى وعمله وما يبذله فى دراسته لا يمكنه من دراسة الاساليب الادبية على اختلافها ، ولكنه لا بد من أن يكون ملما بآداب اللغة الى حد ما لكى يتسنى له عرض موضوعه العلمى بأسلوب واضح ومفهوم وبعبارة سليمة ودقيقة . وفى مقابل ذلك يرى المؤلف أن المتخصص فى الآدب

---

(١) المرجع السابق . المقدمة ص « ز » .
(٣) المرجع السابق ص ٨
(٢) المرجع السابق ص ٨

أوسع قدرة واطول باعا فى الترجمة ، اذ انه لو قام « المتخصص فى الادب بترجمة كتاب علمى ، فالعمل هنا اقل صعوبة ومشقة من سابقه (أى من ترجمة المتخصص العلمى لكتاب فى الادب) — خلافا لما يعتقده الكثيرون ، لان الترجمة هنا لا تحتاج الى أسلوب عال ، وانما تحتاج الى الدقة العلمية فى فهم المصطلحات والبيان فى التفسير أو الشرح ، وهذا متوفر لدى دارس الادب . » (١) والترجمة فى واقع الامر تحتاج الى التخصص ولا سيما لو كانت تؤدى لنقل العلوم المتخصصة ، الا أن هذا لا يمنع وجود الكثير من العلميين ومن مترجمى العلوم ممن شهد لهم واقع الممارسة العملية بالبراعة فى الترجمة الادبية ومن لغات مختلفة ، كما أن هناك الكثيرين ممن يزاولون الترجمة الادبية ومن دارسى الادب لا يستطيعون طرق مجال الترجمة العلمية حتى عن طريق سؤال المتخصصين أو عن طريق المراجع ، كما يؤكد صاحب الكتاب . والى جانب الشروط المذكورة ينبغى أن يتمتع المترجم بقدر كبير من الثقافة وسعة الاطلاع لتغطية احتياجات الترجمة فى ميدان العناصر الحضارية والبيئية .

ثم ينتقل كتاب « علم الترجمة » الى أنواع الترجمة ، فيرى المؤلف فى الترجمة الاشكال التالية :

أ — الترجمة الكتابية أو التحريرية .

ب — الترجمة الشفهية ، وهذه بدورها تنقسم الى :

١ — الترجمة الفورية .

٢ — الترجمة المباشرة .

والفرق بين الترجمة الفورية والترجمة المباشرة هو أن الاولى تتم فورا ودون كتابة وبوجود طرفين متحدثين ، كلاهما يحادث الآخر وينتظر حتى تتم ترجمة الجملة . اما الترجمة المباشرة فهى ترجمة حديث شخص فى مؤتمر عام أو محاضرة أو خطبة سواء على الملأ أو فى اماكن الاذاعة ، وترجمة ذلك مباشرة الى لغة اخرى فى نفس الوقت للمستمع . وفى هذا الشكل من الترجمة لا يوجد متحدثان

---

(٢) المرجع السابق ص ١٥

ولا ينتظر أحدهما الآخر ، ولذا فعلى المترجم أن يســاير هذا المتحدث أو المحاضرة تماما . (١) ويبدو من هذا التقسيم الخلط بين المصطلحات المتعارف عليها فى الدراســات الترجميــة ، فضــلا عن الاقتصــار على هذه النوعيــات وحدها . اذ أن المؤلف يقصــد بالنوعية الاولى الترجمــة التتبعية ويقصــد بالثانية الترجمــة الفورية ، الامر الذى لم يعد يشــكل لبسا فى اســتخدام المصطلحات وتفســير جوهرها فى الكتب التى تناول قضايا الترجمة .

والشرط الاســاسى للترجمة ، كما يرى مؤلف كتاب « علم الترجمة » هو ألا تبدو كترجمة ، أى تخفى نفســها وكأن المؤلف نفسه هو كاتبها بلغتها المنقولة اليها . وينعكس هذا الشرط فى معالجــة الكتاب لمراحل الترجمة . فالمرحلة الاولى هى مرحلة تفســير المفردات والعبارات ، وبحيث يقرأ المترجم النص عدة مرات حتى يتمكن من فهمه تماما ، ثم تأتى مرحلة الكتابة الاولية Rough Copy وتعقبها المرحلة النهائية ، والتى يركز المترجم فيها على « النص العربى ويسرع فى اعادة كتابته بالاسلوب العربى الصحيح بغير اخلال بالمعنى الاصلى » ، وبعد أن ينتهى المترجم من هذه العملية عليه ان يراجع ما قبــل النص وما بعده مراجعــة شاملة ، فربما أضــاف شــيئا أو صحح عبارة أو اســتبدلها حتى تستوى الترجمة كاملة تامة (٢) . ومن المسلم به أن يكون أســلوب نص الترجمــة مفهوما خاضعا لقواعد لغــة الترجمة وخصائصها . فان عدم صــياغة الجملة صــياغة عربية سليمة تؤدى الى عجز القارىء عن فهم ما يريده الكاتب تماما .

ويشير كتاب « علم الترجمــة » الى اختــلاف الترجمة باختــلاف المترجمين من حيث طريقــة العرض وترتيب الجمل والالفــاظ ، ولذا « لا نستطيع اغفــال شخصية المترجم . فالمترجم لا بد وأن يكون له تأثير ما ، وشخصــية ما فى ترجمــة . » (٣) وتنعكس شخصــية المترجم فى أسلوب الترجمة . ان أساليب الترجمة تتفاوت بتفاوت ثقافة المترجم ومدى تمكنه من اللغــة . غير أن الاســلوب ينبغى أن يخضع

---

(١) المرجع السابق ص ٢١

(٢) أنظر المرجع السابق ص ٢٥ — ٢٧

(٣) المرجع السابق . ص ٤٧

لمتطلبات ضرورية اثناء الترجمة منها جزالة اللفظ وسهولة العبارة والاستخدام الاقصى لطاقات اللغة ، ولكن في غير اسفاف . واذ كانت طبيعة الموضوع والمعانى لهما تأثير فى إختيار أسلوب الترجمة ، الا أن مقتضيات الترجمة تفرض صياغة الاسلوب صياغة عربية سليمة . (١) وفى نهاية الكتاب يعقد الدكتور صلاح عبد الحافظ مقارنات لترجمة الشعر والقرآن الى الانجليزية ، ويرى أن ترجمة القرآن أقرب الى شرح المعنى منه الى نقل لغة القرآن . وان كانت الترجمة دقيقة وبلغة عالية المستوى الا أنها فقدت النظم القرآنى الرائع ، ولذا من غير الممكن أن تحدث تلك الترجمة تأثيرا مساويا لما يحدثه النص العربى ، حتى وان أدت نفس المعنى .

وعلى هذا النحو يتضمن كتاب « علم الترجمة » للدكتور صلاح عبد الحافظ مجموعة من المواصفات الواجب توافرها فى المترجم وفى الترجمة كنتاج لعملية النقل من لغة الى أخرى . ولم يهتم الكتاب بعملية الترجمة ذاتها وما يحدث خلالها وطرق معالجة النص المنقول منه أثناء هذه العملية ، وتأثير عامل اللغة وخصائصها ونوعيات النصوص فى سير هذه العملية . ومن ناحية أخرى ، لا يمكن للترجمة أن تكون شرحا أو تفسيرا ، بل هى عملية انتقال من نظام للرموز الى نظام آخر وفق ضوابط محددة موضوعية الطابع .

ان الترجمة عملية معقدة متعددة الجوانب جوهرها النقل من لغة الى أخرى ، وأساسها التطابق على مستويات مختلفة وفقا لمكونات النص الشكلية والمضمونية والاسلوبية والتأثيرية — الانفعالية . ولقد أدى تطور الدراسات الادبية واللغوية فى عصرنا الحاضر الى استقلالية الترجمة كعلم قائم بذاته ، له مادته التى يعالجها بواسطة مناهج نظرية متنوعة ، ولذا لم تعد الترجمة مجالا من مجالات الدراسات الادبية أو اللغوية أو الدراسات المقارنة . واذ كنا قد ذكرنا هنا مفهومى « علم » و « مناهج نظرية » ، فان هذا لا يعنى الفصل بين الجانب النظرى فى الترجمة وبين الجانب التطبيقى . بادىء ذى بدء ان الترجمة كعلم بمناهجه النظرية المتنوعة تمتد بجذورها الى الواقع التطبيقى . ومن ناحية أخرى ، فان الحاجة الى التنظير فى الترجمة مرجعها الى المشاكل التى يواجهها العمل التطبيقى . وما

---

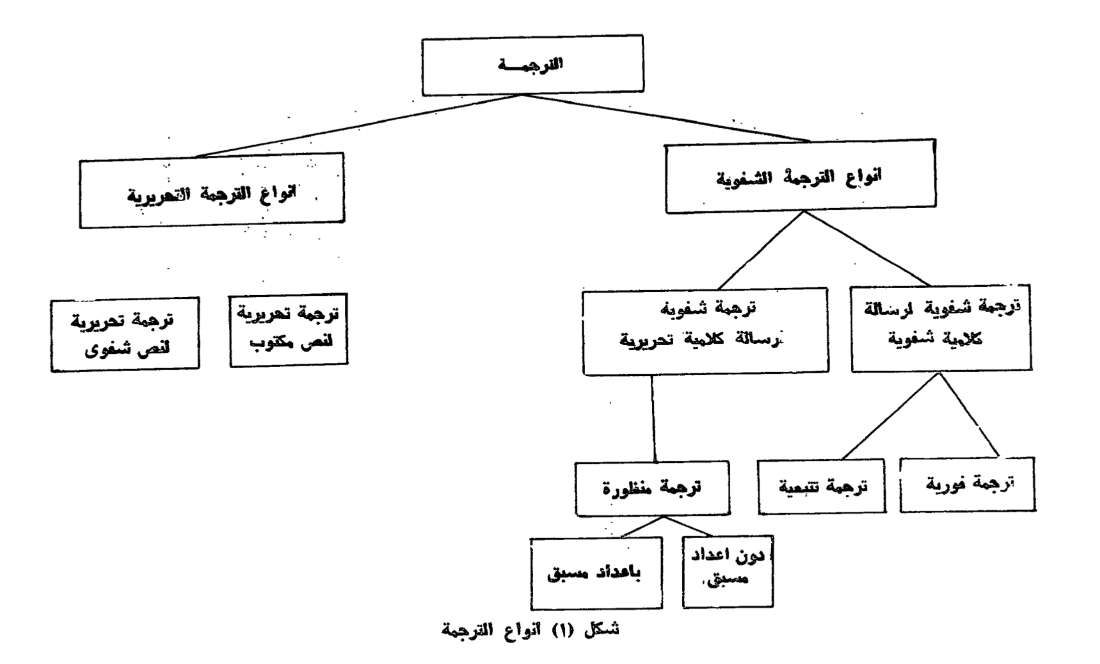
(١) أنظر المرجع السابق ص ٥٥ .

من جدال فى أن العمل التطبيقى فى الترجمة يعتبر تربة خصبة لاثراء الفكر النظرى لها ، كما أن الاسس النظرية لهذا الفكر تخدم مجالات الواقع العملى .

تنقسم الترجمة من حيث شكل الاداء الى ترجمة شفوية وترجمة تحريرية . والترجمة الشفوية هى الترجمة التى يتلقى المترجم أثناءها النص الاصلى عن طريق السماع ، فيخرج هذا النص بلغة الترجمة شفاهة ليصل الى المتلقى عن طريق السماع كذلك . أما الترجمة التحريرية فهى الترجمة التى يتلقى أثناءها المترجم النص مكتوبا ، فيخرجه مكتوبا ليقرأ . وينقسم هذان النوعان بدورهما الى نوعيات وفق شكل الرسالة الكلامية بلغة النص الاصلى . فالترجمة الشفوية يمكن أن تكون ترجمة لرسالة كلامية شفوية يستوعبها المترجم سماعا ، كما يمكن أن تكون ترجمة لرسالة كلامية مكتوبة يستوعبها المترجم بالنظر — الترجمة من مصدر مكتوب وهو ما يعرف بالترجمة المنظورة . كما يمكن أن تؤدى عملية الترجمة التحريرية من نص شفوى مسجل ، أو عن طريق الاملاء ، فضلا عن النقل من نصوص مكتوبة الى نصوص مكتوبة .

ويلعب الزمن دورا هاما فى تحديد نوعيات الترجمة الشفوية . فالترجمة الشفوية أما تؤدى فى وقت متزامن مع وقت اخراج الرسالة الكلامية (الترجمة الفورية) واما تؤدى عقب أخراج الرسالة الكلامية ببعض من الوقت (الترجمة التتبعية) . والترجمة الفورية تتم شفاهة دوما ، أما الترجمة التتبعية فقد تؤدى شفاهة أو تحريرا ، حيث يسجل المترجم ما يقال كتابة ثم ينطلق منه فى ترجمته بعد ذلك . والترجمة المنظورة اما أن تكون دون اعداد سابق ، فيقوم المترجم بترجمة النص متزامنا مع القاء المتحدث ، واما تكون باعداد سابق ، حيث يقوم المترجم بترجمة النص مسبقا ثم يقرأه متزامنا مع القاء المتحدث ; ويوضح الشكل التالى أنواع الترجمة .

وهناك اتجاهان فى دراسة قضايا الترجمة . الاتجاه الاول يتناول الترجمة من منظور أدبى ، والثانى يعالج قضاياها على اسس لغوية . ويرى أصحاب الاتجاه الاول فى الترجمة فنا ابداعيا ، ومن ثم فان قدرات المترجم الادبية وامكاناته الفنية تلعب دورا كبيرا فى عملية النقل من لغة الى أخرى . فالمترجم ، مثله مثل كاتب النص الاصلى ، ينبغى أن يكون متمتعا بشخصية منفردة من حيث أسلوب وطرق الاداء أثناء الترجمة . وهذا المنطلق هو الذى يجعل من تحليل امكانات وحدود الابداع الفنى للمترجم وسيلتين من وسائل وضع



شكل (1) انواع الترجمة

المعايير الواجب اتباعها سواء أثناء عملية النقل أو اثناء تقييم الترجمة كنتاج لهذه العملية . وترتبط هذه المعايير عادة بتطور الآداب والفنون وغيرهما من ضروب الثقافة ، مما يجعلها متغيرة الحدود والمضمون باختلاف الفترات التى ظهرت فيها كما سيتبين للقارىء من خلال العرض التاريخي لتطور الفكر الترجمى فى أوربا فى هذا الكتاب . والجدير بالاهتمام أن الاتجاه الادبى فى معالجة الترجمة يركز كل جهده فى دائرة ترجمة الآثار الادبية وحدها . غير أن الترجمة كنشاط أصبحت تشمل الآن كل مجالات الحياة ، وتنوعت النصوص بقدر تنوع نتاج الفكر الانسانى ، الامر الذى تطلب وضع أسس عامة لمعالجة الترجمة . ومن هذه الاسس العامة ينطلق « علم الترجمة » بمدخله اللغوى . ويعنى هذا العلم بدراسة القضايا المشتركة بين مختلف نوعيات الترجمة التحريرية والشفوية فيما يتعلق بنقاط التلاقى بين اللغات فى سبيل نقل المعلومات ووسائل التعبير اللغوى . ويمكن القول ان الاتجاه اللغوى يحصر قضايا الترجمة فى اطار اللغة المنقول منها واللغة المنقول اليها ومضمون النص وعوامل الزمان والمكان والخصائص المرتبطة بشخصية المرسل ، فضلا عن نوعية النص من حيث المجالات التخصصية .

وهذا الكتاب يبحث قضايا الترجمة من منظور لغوى . فاللغة هى الاداة الرئيسية التى يتعامل معها المترجم أثناء الاداء . كما تعتبر اللغة الوسيلة الاساسية لنقل المعلومات الواردة فى مضمون النص الاصلى على اختلاف أنواعها وفق ما يستهدفه النص الجارى ترجمته الى لغة أخرى ، أى وفق الوظيفة التى يريد المرسل للنص أن يؤديها : اما التبليغ والاعلام واما التأثير الجمالى الفنى فى المتلقى . ويعرض الباب الاول لتطور الفكر الترجمى فى أوربا من خلال المناهج التى كان يتبعها مشاهير المترجمين — وغالبيتهم من الادباء والمفكرين — فى معالجة الترجمة . وحاولنا الربط بين تطور الفكر الترجمى وبين المذاهب الفكرية التى سادت أوربا فى فترات تاريخية مختلفة ، وهى المذاهب التى كانت تحدد منطلقات العمل الادبى والمناخ الثقافى فى دول أوربا المختلفة . وجاءت الاسس النظرية لمعالجة الترجمة خلال فترة تطورها هذه فى شكل معايير وموازين يمكن الاسترشاد بها سواء أثناء أداء المترجم للترجمة أو أثناء الحكم على قيمة الترجمة كنتاج لعملية النقل . ثم أوضحنا بعد ذلك انتقال أسس معالجة الترجمة الى دائرة الدراسات اللغوية بعد ما تنوعت الاحتياجات الى الترجمة وتعددت نوعياتها وأشكالها ، مما تطلب ايجاد تقنيات وضوابط نظرية منهجية من شأنها رسم خطوات الاداء والابتعاد عن العوامل الذاتية ، التى قد تؤدى بالترجمة الى الخروج عن كونها ترجمة دقيقة صادقة التعبير .

ويبحث الباب الثانى من الكتاب فى علم الترجمة والقضايا المتعلقة بجوهر عملية الترجمة — بمعنى ما الذى يقوم به المترجم منذ لحظة تلقيه النص بلغة الاصل حتى لحظة اخراج ما يقابل هذا النص بلغة الترجمة . ان عملية الترجمة هى عملية اتصال ثنائية اللغة يقوم خلالها المترجم بدورين : الاول هو دور متلقى النص باللغة الاصلية ، والثانى هو دور مرسل مكونات وعناصر هذا النص باللغة المنقول اليها . وكان من الضرورى التعرض بالتفصيل لما يقوم به المترجم بوصفه متلقيا للنص الاصلى ، ووصف الوحدات التى ينبغى على المترجم أن يجد لها مقابلات فى لغة الترجمة ، هذا مع التركيز على أهمية نوعيات المعانى التى يصادفها المترجم أثناء استيعابه لمضمون النص الاصلي ، ولا سيما ما يرتبط منها بالعبارات المسكوكة والامثال والاقوال الشعبية والحكم والاقوال المأثورة . ويقضى البحث فى جوهر عملية الترجمة بدراسة دور المترجم كمرسل للنص بلغة الترجمة ، وتأثير نوعية النص فى اختيار المترجم لسبل ووسائل التعبير أثناء الاداء . ويوضح هذا الباب كذلك جوهر عملية تركيب النص بلغة الترجمة ، والمناهج النظرية المتبعة فى معالجة هذه القضية ، وطرق اخراج النص باللغة المنقول اليها ، وما يمكن أن يعد فاقدا فى الترجمة أثناء الاداء نتيجة الفوارق اللغوية والبيئية الحضارية بين اللغتين اللتين يتعامل معهما المترجم .

ويلقى الباب الثالث من هذا الكتاب الضوء على التطابق والتكافؤ فى الترجمة بوصفهما معيارين بالغى الاهمية يسترشد بهما المترجم أثناء الاداء ، كما يتحراهما الناقد أثناء الحكم على قيمة الترجمة كنتاج لعملية النقل .

ولقد حاولنا أثناء تناول قضايا الترجمة الواردة فى هذا الكتاب عرض مختلف اتجاهات الدراسات الترجمية فى مدارس الشرق والغرب ، مما يتيح امكانية التعرف على المدى الذى حققته هذه الدراسات فى تقدمها . ونود الاشارة الى أن هذا الكتاب يتناول الترجمة تناولا نظريا عاما — بمعنى انه لا ينحو نحو التناول التطبيقى على اساس معالجة قضايا الترجمة من خلال لغتين محددتين ومن واقع نصوص وشواهد من هاتين اللغتين . ان الهدف الرئيسى من هذا الكتاب هو بحث القضايا العامة للترجمة والتى يمكن أن تطبق عمليا على النقل من أية لغة الى أية لغة أخرى . ومن ناحية ثانية ، تشمل قضايا الترجمة موضع الدراسة فى هذا الكتاب كل نوعيات النصوص ، بما فى ذلك النصوص الادبية ، ما عدا النصوص الشعرية ، لانها تتطلب معالجة خاصة . كما لم نتعرض فى الكتاب لقضايا الترجمة الشفوية . ونأمل أن تحظى هذه النوعيات بدراسات خاصة فى المستقبل .

والله ولى التوفيق

البـــاب الاول

تطــور الفـــــكر الترجمى

فى أوربــــــا

الترجمة ــ مثلها مثل أى نشاط انسانى ضارب فى التاريخ ــ لم تبق داخل أطر جامدة غير متغيرة ، بل كانت دائبة التطور على مدى العصور ارتباطا بتطور المجتمع والفكر الحضارى وما يميزه من سمات قومية فى مختلف البلدان ، كما أن تطورها لم يكن سوى جزء لا يتجزأ من عملية تطور الابداع الفنى الانسانى عامة ، وهى العملية التى تجسدت نتائجها فيما اعترى اللغات والآداب والعلوم الانسانية والطبيعية من تحولات وتغيرات على مر التاريخ .

واذا كان من الممكن القول اليوم بوجود نظريات للترجمة بمفاهيم العصر الحديثة ، وان هذه النظريات تشكل أساس علم الترجمة فان هذه النظريات لم تنشأ ، بطبيعة الحال ، من فراغ ، بل كانت نتيجة حتمية لتبلور مجموعة من الأفكار والمبادىء والمناهج النابعة من الممارسة التطبيقية للترجمة على امتداد العصور التاريخية المختلفة واذا عدنا بأنفسنا الى المراحل الأولى من تاريخ الترجمة فى العالم القديم ، نجد أنها لم تكن سوى مزيج من التقاليد ، ارتبطت بنشاطات المجتمع الدينية والعسكرية والاقتصادية من ناحية ، وبتطور اللغة والانتاج الأدبى من ناحية أخرى . ولقد كانت الترجمة الشفوية أسبق الى الظهور من الترجمة التحريرية . فقد احتاجت اليها القبائل فى العصور السحيقة من التاريخ للاتصال والتفاهم مع غيرها من القبائل سواء وقت السلم بهدف القيام بالمبادلات الاقتصادية والتجارية وغير ذلك من تعاملات ، أو وقت الحرب وما يقتضيه الموقف من تعامل مع الأسرى وعقد اتفاقات الصلح وما الى ذلك . وبنشأة الكتابة اتخذت الترجمة طورا جديدا بانتشارها لا داخل الحدود الاقليمية لدولة واحدة فحسب ، بل بين الدول بعضها البعض ، وأصبحت تغطى مختلف نواحى الحياة الرسمية والدينية والاجتماعية .

ولقد شملت الممارسة التطبيقية للترجمة ــ التحريرية والشفوية ــ فى مجتمعات الشرق القديم المجالات التالية :

١ ــ نقل تعاليم الآلهة الى البشر وهى مهمة أخذها الكهنة على عاتقهم ، فكانوا يترجمون لغتهم المميزة الى لغة التعامل اليومى بين أفراد

الشعب . وكانت ترجمة التعاليم الالهية هذه تتطلب الحفاظ على دقة التعبير اللغوى ، ولذا التزمت عملية الترجمة بالتقاليد الحرفية .

٢ — نقل اللغة الرسمية لجهاز الدولة والمتمثلة فى اقوانين والوثائق والاوامر الرسمية — الى لغة التعامل اليومى للشعب . فضلا عن نقلها كذلك الى لغات الشعوب الأخرى . واتسمت عملية الترجمة هنا أيضا بالتقاليد الحرفية من منطلق الحرص على الدقة فى نقل المضمون .

٣ — نقل لغة التعامل الرسمى بين الدول المختلفة بجانب نقل لغة الاتصال المباشر بين ممثلى الدول . ولما كان من الضرورى أن تنطوى العلاقات بين الدول على مبدأ التكافؤ فان لغة الاتصال والتعامل كانت تضع نصب عينيها آنذاك اعتبار التكافؤ هذا ، ولذا كانت تعتمد على حسن اختيار اللفظ وفصاحة التعبير الأمر الذى انعكس دون شك على الترجمة ، حيث كانت تتحلل من التقليد الحرفى وتسعى الى مطابقة لغة الأداء لمقتضيات وأصول اللغة المنقول اليها .

٤ — أدى تطور الكتابة الى ازدياد امكانية انتشار الآثار الأدبية فى المجتمعات المختلفة . ولقد تعدت هذه الآثار حدود الاقليم الواحد بفضل الترجمة . وكانت ترجمة الآثار الأدبية من لغة الى أخرى تتطلب قدرا أكبر من حرية التعبير للوصول بالنص المترجم الى المعايير الأدبية والفنية التى تتفق والذوق المتعارف عليه فى المجتمع آنذاك .

وعلى هذا النحو يمكن القول بوجود تقليدين اتبعا فى الترجمة فى العالم القديم : تقليد يعتمد على الالتزام والحرفية ، وتقليد يتيح حرية النقل والأداء بهدف التأثير وفق المعايير الفنية السائدة . والجدير بالذكر أن هذين التقليدين أصبحا أساس مختلف الاتجاهات والمذاهب التى واكبت تطور الفكر الترجمى على امتداد حقبة طويلة من التاريخ ، حيث كان لكل منهما أنصاره ، يزودون عنه ، ويضيفون عليه عناصر جديدة نتيجة التفاعل مع التطور الحضارى للعصر .

ولقد لعبت الترجمة دورا كبير فى التبادل الحضارى فى العالم القديم ، حيث شملت كل جوانب النشاط الانسانى ، مما أدى الى تداخل الحضارات البابلية والأشورية والفينيقية والفرعونية والحيثية . ولقد ساهمت انجازات هذه الحضارات فى مجالات الرياضيات والفلك والهندسة وغير ذلك من علوم فى بناء حضارة الاغريق ، وهى الحضارة التى أصبحت منبعا لتطور الفلسفة والفكر والعلوم على امتداد فترة زمنية طويلة ، ونهل منها الرومان فيما بعد ،

واستقى منها العرب الأصول ليعودوا بالثقل الحضارى من جديد الى مهده الأول فى الشرق ، ويقيموا حضارتهم الشامخة التى أضاءت الطريق أمام تطور الحضارة الأوروبية فيما بعد .

ويمكن القول ان الترجمة فى الفترة التى سبقت أولى المعالجات النظرية على يد شيشرون (١) ظلت تعتمد على التقاليد النابعة من واقع الممارسة العملية كما كان الحال فيما سبق : أى اتباع الحرفية والترجمة كلمة كلمة أو الانطلاق فى حرية النقل بدرجات متفاوتة . غير أن تلك الفترة لم تشهد تنظيرا لقضايا الترجمة وارتباطها بالممارسة التطبيقية ، ولذلك فان شيشرون يعتبر أول من حاول تقنين الجانب الجمالى فى الترجمة تقنينا نظريا ، فأسس بمنهجه هذا المدرسة الجمالية فى الترجمة ، والتى لا يزال بعض المترجمين ينتهج منهجها حتى يومنا هذا مع الأخذ فى عين الاعتبار بعناصر التطور الفكرى والثقافى والحضارى المعاصر . وتعتمد مدرسة شيشرون فى الترجمة على الحرية المطلقة فى النقل على أساس المقومات البلاغية فى التعبير .

منهج الترجمة الحرة غير المقيدة :

كان لشيشرون دور هام فى وضع أسس ونظرية وتطبيق فن الخطابة ، كما تركت كتاباته أثرا كبيرا فى نهضة النثر الرومانى ومن هنا كان اهتمامه بالنواحى الجمالية والبلاغية فى الترجمة . وينطلق نهج شيشرون فى الترجمة من مبدأ رفض الترجمة الحرفية — أى الترجمة كلمة كلمة ، ذلك لأن مثل هذه الترجمة تؤدى حتما الى تشويه النص . والى جانب ذلك فمن الصعوبة بمكان كما يشير شيشرون — أن يحتفظ المترجم بمكونات الاسلوب من بلاغة وسبل تعبير أثناء عملية النقل من لغة الى لغة أخرى ، ولأهمية هذه المكونات، التى تعتبر من السمات اللازمة والمميزة لكل اثر أدبى ، ينبغى تغيير مواضع الألفاظ والتراكيب أثناء الترجمة : أى الابتعاد عن تتبع الكلمات والتراكيب كلمة كلمة وتركيبا تركيبا ، وذلك للوصول بالنص المترجم الى أكبر قدر من سلاسة الاسلوب وبلاغة التعبير . ويوضح شيشرون منهجه فى الترجمة فى معرض حديثة عن ترجمته لخطب اسخن وديمسفن من الاغريقية التى

---

(١) شيشرون (١٠٦ — ٤٣ قبل الميلاد) كاتب وخطيب من أعظم الخطباء الرومان ، ومن أكبر مشرعى النظام الجمهورى الرومانى .

اللاتينية بقوله : « لقد حافظت على فكر وروح ووجه خطبهما ، غير أننى انطلقت فى اختيار الالفاظ من مقتضيات لغتنا ، وعلى هذا لم أكن بحاجة الى الترجمة كلمة كلمة ، بل أخرجت النص بالتعبير عن مضمون الالفاظ وقوة تأثيرها ، وانى أعتقد أن القارىء لن يتطلب منى الدقة من منطق الكم ، بل يتطلب الدقة من منطق القيمة اذا جاز التعبير » ، ثم يستطرد شيشرون قائلا : « لقد وضعت نصب عينى أثناء ترجمة خطبهما نقل كل مميزات الخطب وخصائصها الى لغة الترجمة ، أى نقل الأفكار سواء من حيث الشكل أو من حيث المضمون والتتابع ، أما الألفاظ فلم أكن أعالجها الا بقدر ما تسمح به مقتضيات لغتنا بمعالجتها » (١) .

وعلى هذا النحو نجد أن شيشرون قد ابتعد فى ترجمته عن الالتزام بحرفية وتسلسل الألفاظ وانتهج مذهبا قوامه حرية النقل . ولقد ترجم شيشرون هذه الخطب لا كمترجم ، بل كخطيب يستهدف التأثير الجمالى فى سامعيه أو قارئيه عن طريق استخدام مختلف السبل البلاغية والتعبيرية ، وذلك اعتمادا على خصائص ومميزات اللغة التى يترجم اليها . فالترجمة — من وجهة نظر شيشرون — لا تختلف عن العمل الأدبى فى شىء ، حيث أن أساس كل منهما هو وفرة الفكر وخصوبته ، وطبيعية التعبير اللغوى دون تكلف . فالترجمة ، مثلها مثل العمل الأدبى تماما ، ينبغى أن تكون تركيبا لمضمون فكرى (res) وصياغة لغوية (verba) تنقل الشىء ومعناه (intellecto) وقوته التعبيرية (inventio) وتكوينه (dispositio) من اللغة المنقول منها الى اللغة المنقول اليها وبحيث تكون الصياغة اللغوية للترجمة مطابقة تمام المطابقة لعادات (consuetedo) الاستخدام اللغوى عند المتعلمين من أبناء اللغة . وعلى هذا فان مهمة المترجم لا تقتصر فقط على القضاء على كل مظاهر الخروج عن المعيارية (mos) المتعارف عليها بين أبناء اللغة بل تمتد الى ايجاد تطابق فى قوة وبلاغة الصياغة اللغوية فى النص الأصلى ونص الترجمة (٢) ومن البديهى أن هذه الشروط لا يمكن أن تتحقق عن طريق الترجمة الحرفية ، والتى تلتزم بكلمات وتراكيب النص الأصلى ، وتعمل على احلال كلمة بدلا من أخرى . ويرى شيشرون أن نهجه هذا يرمى الى هدفين الأول — انه نوع خاص من التدريب على التقليد الفنى لنموذج أدبى

---

(١) انظر : بافل كوبينيف : قضايا تاريخ ونظرية الترجمة الأدبية . دار جامعة بيلوروسيا للنشر . مينسك ١٩٧٢ ص ١٢٤ باللغة الروسية .

(٢) أنظر : « قضايا تاريخ ونظرية الترجمة الادبية » ص ١٢٤ .

اجنبى ، والثانى — هو انه يساعد المترجم على اتقان لغته الأم اتقانا مطلقا ، الأمر الذى يتيح له امكانية التأثير فى قارىء نص الترجمة كما يؤثر النص المنقول منه فى قارئيه .

ولقد واصل أنصار (١) نهج شيشرون فكره فى الترجمة الحرة المبينة على المقومات الجمالية البلاغية مع حرية التعبير الى حد الابتعاد عن النص المنقول منه كلما اقتضت الضرورة ذلك . ولقد بلغ مبدأ حرية الأداء فى الترجمة حدا جعل بلينيو الأصغر يرى ضرورة تحليل النص الأجنبى الى مكوناته ، ثم تأليف نص أدبى جديد قوامه هذه المكونات . الا أن الحرية المطلقة فى الترجمة يمكن أن تكون منهجا فى ترجمة الشعر والخطب والآثار الأدبية الأخرى بهدف احداث التأثير الجمالى الكامن فى مقومات العمل الأدبى. غير أن هذا النهج لم يكن ليصلح لترجمة الانجيل فى وقت اقتضت الضرورة نشر الدين المسيحى .

جيروم والترجمة (٢) :

استمر الصراع بين أنصار الترجمة الحرفية وأنصار الحرية المطلقة فى الترجمة سائدا فترة طويلة الى أن اقتضت الضرورة ايجاد منهج جديد نتيجة انتشار المسيحية والحاجة الى ترجمة الانجيل والكتب الدينية الأخرى. ولقد لعبت ترجمة الانجيل (٣) وغيره من الكتب الدينية دورا كبيرا فى تطور نظرية وتطبيق الترجمة ولا سيما علي يد القديس جيروم . وكان البابا قد

---

(١) من أشهر أنصار مدرسة شيشرون فى الترجمة مارك فابيو كوينتليان (حوالى ٣٠ — ٩٦ ميلادية) وهو معلم خطابة رومانى معروف وبلينيو الأصغر (٦١/٦٢ — حوالى ١١٤ ميلادية) — خطيب معروف كذلك واول من كتب الرسائل الأدبية .

(٢) القديس جيروم سافرونيك (٣٤٠ — ٤٣٠ ميلادية) قس منح لقب القديس لخدماته للكنيسة . ولد فى دالماتسيا على بحر الادرياتيك ، وتلقى تعليمه فى روما ، وقضى الجزء الاكبر من حياته فى أديرة آسيا الصغرى عرف بترجمته للانجيل وتفسيراته له ، وكتاباته الدينية . انظر « قضايا تاريخ ونظرية الترجمة الادبية » ص ١٢٦ — ١١٢ .

(٣) لمزيد من التفصيل انظر « تيودور سافورى »: « فن الترجمة » .
Theodore Savory. The Art of Translation. Jonathen Cape 1968.

كلفه بترجمة الانجيل من اللغة الاغريقية الى اللغة اللاتينية . والجدير بالاهتمام فى الفكر الترجمى منطلق جيروم فى وجوب التمييز فى الترجمة بين الكتاب المقدس وبين الكتب الدنيوية . فترجمة الكتاب المقدس — كما يرى جيروم — عملية بالغة الصعوبة تتطلب من المترجم طاقة فوق طاقات البشر ، لأن الكتاب المقدس مرتبط باسم الرب ، ولذا فهو فى درجة تفوق كل ما يكتبه البشر . ومن هنا فان اتباع نهج الترجمة الحرة المطلقة وما يصاحبها من ابتعاد عن النص وفق مذهب شيشرون — نهج لا يصلح لترجمة الانجيل . ومن ناحية أخرى فان الترجمة الحرفية التى يلتزم فيها المترجم مبا ورد فى النص كلمة كلمة ، لا تفى بالحاجة كذلك ، لأن هذا النهج وذاك يشوهان النص ويفسداه . ولذا فان جيروم يرى أن قوام الترجمة الصحيحة هو استيعاب المترجم لمكونات النص الأجنبى بواسطة سبل التعبير فى لغة المترجم الأم ، لا فى لغة النص الأجنبى ، الأمر الذى يقتضى أن يكون المترجم متقنا تمام الاتقان للغته الأم ، وهذا لا يتأتى عادة الا عن طريق تعليم المترجم تعليما خاصا . ومن ناحية أخرى على المترجم أن يتحرى الدقة فى الأداء أثناء الترجمة ، وذلك عن طريق الحفاظ على كل ما يكتشفه من مكونات فى النص الذى ينقله الى لغته ، ثم يلتزم بترجمة هذه المكونات ترجمة سليمة . وفى بعض الأحيان قد يكون من غير الممكن تحقيق التطابق بين مكونات الأصل المنقول منه وبين ترجمته ، ولذا فواجب المترجم فى مثل هذه الأحوال هو السعى للحفاظ على الكل لا على الجزء ، أى يركز اهتمامه على المعنى الكلى للنص مع الأخذ فى عين الاعتبار بأن يكون كلامه مرتبطا بعضه ببعض .

غير أن النص المنقول منه يتضمن ، الى جانب المكونات المعنوية ، مكونات إسلوبية جمالية ، وعلى هذه فمهمة المترجم فى هذا المجال هى الحفاظ على الخصائص المميزة للنص (proprietos) وطلاوته (gratia) وقوته التعبيرية (robur) ومذاقه (sapor) وموسيقاه (euffonia). ويرى جيروم أن الخصائص الجمالية الاسلوبية تختلف باختلاف اللغات ، الأمر الذى يترك أثره فى عملية الترجمة ، حيث يصعب — كما يقول جيروم — الحفاظ فى بعض الاحيان على « سحر » الاشياء المعبر عنها تعبيرا بليغا فى اللغة الأجنبية . ويرجع ذلك الى أنه « لكل لغة خصائصها اللغوية وعباراتها المتناقضة من حيث المعنى ، وتراكيبها اللفظية المجازية ، فضلا عن اختلاف الصيغ النحوية والصرفية بين اللغات » (١) .

---

(١) قضايا تاريخ ونظرية الترجمة الأدبية . ص ١٣٢ .

وعلى هذا النحو نجد أن جيروم لا ينطلق فى منهجه فى الترجمة من الاعتبارات الجمالية البلاغية — مثلما كان يذهب شيشرون وتلامذته — بل اهتم بالمكونات المعنوية للنص المنقول منه والمطابقة بينها وبين مكونات مقابلة لها فى لغة الترجمة ، وذلك على أساس الأخذ فى عين الاعتبار بالخصائص اللغوية فى الأصل وفى الترجمة بغية أداء الترجمة أداء دقيقا . فهو فى منهجه يجمع بين الالتزام بما جاء فى النص المنقول منه من معان وأفكار ، لا بما جاء فيه من ألفاظ وعبارات تفرض الترجمة الحرفية الالتزام بها أثناء الترجمة بغض النظر عن صلاحية تسلسلها أو موافقتها لمقتضيات التعبير فى اللغة المنقول اليها ، وينادى جيروم بتحليل النص واستيعابه فى اطار أصول التعبير اللغوى فى لغة المترجم بشرط عدم الابتعاد عن فحوى الكل .

شهدت العصور الوسطى نشاطا ملموسا فى حركة الترجمة ويرجع ذلك إلى الكشوف الجغرافية واتساع رقعة التعامل السياسى والاقتصادى والثقافى بين الدول . ومن ناحية أخرى أدى تطور الفلسفة والأدب والدراسات اللغوية الى ازدهار حركة الترجمة حيث استوعبت كل الانجازات الأدبية والعلمية للعالم القديم والشرق العربى . ولقد كان للنهضة العربية عظيم الأثر فى اثراء الفكر الأوربى ودفع تقدم الفلسفة والعلوم والدراسات الأدبية واللغوية . وكانت حركة الترجمة عند العرب قد بلغت أوج رقيها فى القرنين الثامن والتاسع الميلاديين . « ففى بغداد قام السوريون بترجمة مؤلفات أرسطو وأفلاطون ، وجالينوس وأبو قراط وغيرهم الى اللغة العربية ، وأصبحت بغداد المكان المركز الذى يمكن أن يطلق عليه اسم « مدرسة الترجمة » بكل ما تحمله هذه الكلمة من معان ، وهى المدرسة التى أصبح التراث العربى مدينا لها فى الكثير » (١) ولقد امتدت أهمية الترجمات العربية للتراث القديم الى ما وراء حدود الزمان والمكان . فقد أدى اهتمام الأوربيين بما حققه العرب من تطور فى شتى مجالات العلوم الى انشاء مدرسة خاصة للترجمة فى توليدو (طليطلة) باسبانيا لنقل المؤلفات والترجمات العربية الى اللغة اللاتينية مما جعل التراث الحضارى العربى فى متناول أيدى العلماء والمفكرين الأوربيين . ومن ناحية أخرى شهدت العصور الوسطى تطورا كبيرا فى تبلور كيان اللغات القومية الأوربية ، بحيث لم تعد اللاتينية وحدها لغة الفكر والفلسفة والعلوم والأدب . وقد صاحب تطور اللغات القومية الأوربية رسوخ الاشكال

---

(١) تيودور سافورى . فن الترجمة . ص ٣٨ .

والانماط الأدبية وظهور أساليب جديدة فى الكتابة الأدبية ، كما كانت العصور الوسطى كذلك بداية تشكل أسس الفلسفة الحديثة ، وعلوم اللغة والأدب وغير ذلك من العلوم الانسانية . ولقد ارتفع كل ذلك بمستوى الترجمة سواء من ناحية الممارسة العملية أو من ناحية التنظير ، فجاءت مناهجها معبرة عن روح العصر .

المنهج التصحيحى فى الترجمة :

اسهمت المدرسة الفرنسية أسهاماكبيرا فى تثبيت دعائم وجود الترجمة ككيان ابداعى فنى قائم بذاته . ولقد ظهر فى فرنسا الى جانب الاتجاه الحرفى المبنى على الترجمة كلمة كلمة والاتجاه الحر المطلق الأداء ، اتجاه جديد قوامه التصحيح فى الترجمة . وكان اتين دوليه (١) أول من نادى بهذا الاتجاه فى كتابه الذى يحمل عنوان « الخطيب الفرنسى L'orateur français (١٥٤٠)» حيث تضمن بابا بعنوان « طريقة الترجمة ترجمة صحيحة من لغة الى أخرى » . ولقد بنى اتين دوليه اتجاهه التصحيحى فى الترجمة على أساس ضرورة فهم المترجم لمحتوى الأصل الذى يترجم منه فهما جيدا بجانب ادراك قصد الأديب الذى يترجم له ، وبالاضافة الى ذلك من الضرورى أن يكون المترجم متقنا للغته الأم واللغة الأجنبية التى يترجم منها ، كما ينبغى على المترجم أن يبتعد عن الترجمة كلمة كلمة لأن هذا من شأنه تشويه مضمون النص والاخلال بالتعبير الفنى ، وفى حالة ما اذا كانت الترجمة تؤدى من لغة أكثر تطورا الى لغة تقل عنها من حيث المستوى ، فينبغى على المترجم السعى الى تطوير اللغة الأخيرة بصفة مستمرة ، هذا الى جانب حسن اختيار الألفاظ والتعابير ، وتنظيمها فى السياق بهدف الوصول فى الترجمة الى ما يحتويه النص الأجنبى من فكر وجوانب فنية .

وفى اطار هذه المبادىء كان اتين دوليه يترجم واضعا نصب عينيه « تطوير » اللغة من خلال الترجمة ، مع التركيز على «السلاسة والتناسق» ، بحيث يمتد ذلك ليشمل لا شكل اللغة وحده ، بل وفكر الأديب كذلك . فقد

---

(١) اتين دوليه (١٥٠٩ — ١٥٤٦) من كبار أعلام عصر النهضة فى فرنسا ، وهو عالم لغوى وفيلسوف وشاعر ومترجم تلقى تعليمه فى فرنسا وايطاليا . ولقد دفع اتين دوليه حياته ثمنا للترجمة ، حيث اتهمته محاكم التفتيش بتحريف أفكار أفلاطون فى ترجمته له ، مما يزحزح أزلية الروح ، ولذا كانت الترجمة وليدة فكر المترجم الكافر ، وصدر الحكم باحراقه ، وتم ذلك فى ٣ يوليو ١٩٤٦ بباريس . أنظر « قضايا تاريخ ونظرية الترجمة الأدبية » ص ١٤٠ .

كان يستبعد أثناء الترجمة كل ما يراه غير ضرورى من وجهة نظره ، ويضيف من عنده ما يرى ضرورة اضافته . ولقد ساعد على انتشار الاتجاه التصحيحى فى الترجمة فى فرنسا وخارج حدودها على امتداد أوربا كلها — رجحان كفة الاسلوب الكلاسيكى فى الترجمة .

كان الاسلوب الكلاسيكى فى الترجمة ينطلق من قواعد جمالية ثابتة تشكل اساس الفنون والآداب بصفة عامة . وكان الأدب الفرنسى يعتبر المثل الأعلى فى هذا المجال ، ولذا كان من الضرورى أن تتفق الترجمات ومتطلبات معايير وذوق الأدب الفرنسى . وكان من الممكن للمترجم أن يقوم بأى شكل من أشكال التغيير سواء بالحذف أو بالاضافة بهدف ارضاء الذوق الفنى لأبناء وطنه ، هذا بغض النظر عن خصائص النص المترجم منه وما ورد فيه من أفكار ومعان وسبل تعبير . ولقد أزكت العقلانية التنويرية التى سادت عصر النهضة هذا الاتجاه ، حيث ركزت اهتمامها على محتوى الفنون والآداب القديمة دون التطرق الى القيم الفنية لصياغتها فى لغاتها الأصلية . ولقد أصبح الهدف الأساسى للترجمة فترة عصر النهضة هو موافقة ذوق الأمة النابع من طبيعتها ، وبات جمهور القراء مصدر المعايير السليمة للحكم على الترجمة ، الأمر الذى جعل من الضرورى أن يكون المترجم متمتعا بحس خاص بما يمكن أن يثير اهتمام القارىء أو اشمئزازه لدى الأديب الأجنبى .

كما ساهم فى انتشار اتجاه الترجمة التصحيحية والترجمة الحرة غير المقيدة والتى تصل الى حد اعادة صياغة الأثر الأدبى صياغة جديدة تماما — الجدل الذى ظهر فى فرنسا فى الثلث الأخير من القرن السابع عشرحول القديم والجديد ، حيث كان بعض المفكرين يرون تفوق الجديد على القديم، وعلى هذا فان فنون الرومان أسمى قدرا من فنون الاغريق لانها جاءت بعدها من حيث الفترة التاريخية فأخذت الكثير من فنون الاغريق واستفادت منها فى رقيها . وكان لهذه النظرة أثر كبير فى استيعاب الآداب القديمة فى أوربا ، مما انعكس بدوره على اساليب معالجة الترجمة والخروج بالأداء الى اعادة الصياغة وفق الأطر الجمالية الجديدة .

الالتزام ومسئولية المترجم :

لا شك أن الدقة فى الأداء من بين الأسس الضرورية فى عملية الترجمة. ولقد ارتبطت الدقة فى الترجمة فى بادىء الأمر بقضية الالتزام المقيد وغير المقيد فى الأداء ، وبحيث يجىء النص فى نهاية المطاف فى شكل امتزاج بين المضمون والألفاظ المكونة لهذا المضمون . ولا يتأتى هذا الامتزاج — كما

يقول ليوناردو بروني أرتينو — (١) الا بنقل كل خصائص النص الأجنبى نقلا تاما وبشرط أن تفى الألفاظ بالمضمون ، وتفى السبل البلاغية باحتياجات الألفاظ . ويرى ليوناردو برونى أن كل عنصر من عناصر النص لا يقل أهمية عن غيره ، ومن هنا ضرورة عدم اغفال أى عنصر من العناصر أثناء الترجمة. ولكى يتحقق الامتزاج المطلوب بين مضمون النص والفاظه ، ينبغى على المترجم ألا يكون عارفا باللغة والأدب فحسب ، بل متقنا لهما اتقانا تاما ، مما يتيح له امكانية الابتعاد عن الالتزام الحرفى فى الترجمة . فمن المفروض فى المترجم أن يكون جامعا لقدرات لغوية ومعرفية — وهى قدرات يمكن تنميتها من خلال التعليم وتحصيل العلوم — وملكة أدبية ، وذلك كى يتمكن من اخراج النص المترجم اخراجا فنيا ابداعيا . ومن ناحية أخـرى على المترجم أن يكون واعيا بمسؤليته تجاه عظمة الأديب الذى يترجم له من جهة ، وتجاه القارىء من جهة أخرى ، لأن الترجمة الرديئة من شأنها أن تضلل القراء . ومع توافر كل هذه الشروط ينبغى على المترجم أن يكون واعيا بأن كل ما جاء فى النص الذى يترجمه من ألفاظ وتعبيرات مجازيـة وسبل بلاغية — من وضع الأديب الأجنبى الذى ارتبط فى صياغتها بواقع الاستخدام اللغوى فى بيئة لغته الأم ، ولذا فان واجب المترجم هو ايجـاد مقابلات لذلك وفق ما تمليه عليه ضوابط الكلام فى لغته .

غير أن الالتزام بالنص المنقول منه قد يتخذ شـكلا آخر يعتمد لا على المطابقة بين النص المنقول منه وترجمته ، بل على المقاربة بينهما ، وذلك لأنه من غير الممكن تحقيق التطابق التام بين النص الأصلى والترجمة — كما يقول جاك بليتيه ديومانس(٢)ولذا فان غاية الترجمة هى الوصول الى أكبر قدر من المقاربة بين الأصل وترجمته . ان الالتزام المقيد ، أى الحرفية ، والترجمة غير مقيدة الحرية يفسدان كل ما يشكل جوهر النص الأجنبى . ويبنى جاك بليتيه نظرته الى الالتزام فى الأداء على أساس وصول المترجم الى مستوى مؤلف النص الأجنبى من حيث تمكنه من خصائص النص اللغوية والجمالية ، فضلا عن توافر الملكات الأدبية لديه . ومن هنا يسـهل على المترجم المحافظة على أسلوب الكاتب الذى يترجم له وعلى مميزات كتابته ،

---

(١) ليوناردو برونى أرتينو (حوالى ١٣٧٤ — ١٤٤٤) مفكر ايطالى كتب فى الفلسفة وعلم الجمال والتاريخ ، وله عدد من المؤلفات الأدبية ، ولقد وضع رسالة فى الترجمة عام ١٤٤٠ بعنوان «فى الترجمة الصحيحة». انظر « قضايا تاريخ ونظرية الترجمة الادبية » . ص ١٤٦ — ١٤٧ .

(٢) جاك بليتيه ديومانس (٨٥١٧ — ١٥٨١) أديب ومترجم فرنسى.

بجانب الالتزام بخصائص اللغة التى يترجم اليها . ويرى جاك بليتيه أن المترجم الذى يمكنه ترجمة فرجيل (١) عبارة وكلمة كلمة يستحق بالغ الثناء، ذلك لأنه ما من سبيل آخر أمام المترجم سوى تحقيق المقـــاربة بينه وبين الأديب الأجنبى . وفى هذه الحالة وحدها يستطيع المترجم أن يرى تطابق لغة الترجمة ولغة النص الأجنبى فى كل جوانبها الجمالية ، وهنا تكمن عظمة الترجمة (٢) .

ويستكمل بيير دانييل جويه (٣) اتجاه الالتزام بالنص المترجم منه موضحا الجوانب المتعلقة بفن الأداء على أساس الالتزام . فالالتزام من حيث الأداء يعنى مواءمة الكلمة للكلمة والعبارة للعبارة . ويرى بيير جويه ضرورة التعبير عن الكلمة بكلمة مثلها مع مراعاة موقعها فى النص ، وبالتالى ينبغى صياغة العبارات بحيث تتضمن نفس الكم من الالفـــاظ الواردة فى النص المنقول منه ، ولكن بشرط أن يكون ترتيب الالفاظ فى العبارة مستهدفا الافادة المعنوية . ولكن الأمر لا يقتصر على هذا وحده ، بل من الضرورى أن يعكس هذا الترتيب الخصائص الجمالية والفنية الموجـــودة فى النص الأصلى . وبهذه الضمانات وحدها لا يزيد النص المترجم شيئا عن النص الأجنبى الذى ترجم منه ، وتصبح الترجمة عملا متكاملا ، تقـــدم الأديب الأجنبى للقارىء كما هو بكل ما له من مميزات ترفع منزلته ، ومن عيوب تحط من شأنه .

وعلى هذا النحو نجد أن الالتزام بالنص المترجم منه يقوم على أساس المكونات اللفظية الواردة فى النص ، ويتطرق الى شكل الأداء أثناء الترجمة بهدف الوصول الى التطابق أو المقاربة بين النص الأصلى والترجمة ذاتها . غير أن الالتزام بالنص المترجم منه قد يشمل جانبا واحـــدا فقط من تلك الجوانب التى تشكل بنيان الأصل مع امكانية الحرية فى التعبير على أساس من الانطلاق غير المقيد . فقد كان نيكلاس فون فيلى (٤) من أنصار الحرية غير المقيدة فى الترجمة ، الا أن منطلقه فى الأداء كان الإلتزام بتطابق المعنى

---

(١) فرجيل (٧٠ — ١٩ قبل الميلاد) شاعر ومفكر رومانى شـــهير .

(٢) أنظر « قضايا تاريخ ونظرية الترجمة الأدبية » ص ١٥٦ .

(٣) بيير دانييل جويه (١٦٣٠ — ١٧٢١) أديب ومترجم فرنسى . انظر المرجع السابق ص ١٥٦ .

(٤) نيكلاس فون فيلى (حوالى ١٤١٠ — بعد عام ١٤٧٨) أديب ومفكر انسانى المانى .

بين الأصل المترجم منه والترجمة . فالتطابق المعنوى هو الأســاس فى الترجمة ، وبغض النظر عن اللغة التى تكتب بها الترجمة ، مفهومة هى أم غير مفهومة للقارىء ، هذا أمر غير هام ، ذلك لأن الترجمة لا تؤدى للقارىء العادى ، بل تؤدى لمن يستطيع فهمها ومقارنتها بالأصل المترجم منه . ومثل هذه المقارنة لا يمكن أن تتحقق الا فى اطار التطابق المعنوى بين النص الأجنبى وترجمته .

كما كان الالتزام بتطابق المعنى فى الأصل وفى الترجمة أساس نهج هنريخ شتينخفيل (١) كذلك . فضرورة الترجمة الصحيحة — كما يقول — تقضى بالالتزام بما ورد فى النص الأجنبى من معان الى جانب الأخذ فى عين الاعتبار بخصائص اللغة المنقول اليها ، وذلك كيلا ينزلق المترجم الى المحاكاة اللغوية بين الأصل والترجمة . وفى اطار هذا النهج سار البريخت فــون أيبى (٢) فى ترجماته . فالترجمة من وجهة نظره ليست عملية نقل للألفاظ ، بل هى عمل يعتمد فى أساسه على نقل المعنى وفهم الموضوع قيد الترجمة ، بحيث يمكن التعبير عنه فى لغة الترجمة بأكبر قدر من الوضوح وأفضــل صورة من صور الأداء .

ولقد خطى مارتن لوثر (٣) خطوات واسعة على أساس الالتزام بمكونات المعنى الواردة فى النص المنقول منه . ولقد اشتهر مارتن لوثر بترجماته لحكايات ايسوب ، وبترجمته للانجيل التى استغرق أداؤهــا خمســة عشر عاما . واذا كان مارتن لوثر قــد انطلــق فى ترجماتــه من منطلق الالتزام بالتطابق المعنوى بين الأصل والترجمة ، الا أنه اتبــع نهجا مرنا فى صياغة العبارات أثناء الأداء بهدف التأثير فى القارىء بقــدر تأثير النص الأصلى فى قارئيه . ولقد راعى مارتن لوثر فى ترجماته لحكايات ايسوب تقاليد الفلكلور فى صياغة اسلوبه فى الترجمة بغية أن تجىء الترجمة صورة من صور قص الحكايات الشعبية بين الأهل والأصدقاء . أما النهج الذى اتبعه مارتن لوثر فى ترجمته للانجيل فيعتمد على صدق نقل المضمون المعنوى مع مرونة صياغة نص الترجمة وفقا لمقتضيات اللغة الألمانية ، وهو بذلك ينحى نحو جيروم فى التحرر من قيود وتأثير لغة النص المنقول منــه

---

(١) هنريخ شتينخفيل (١٤١٢ — ١٤٨٢) طبيب وأديب ومفكــر المانى .

(٢) البريخت فــون أيبى (١٤٢٠ — ١٤٧٥) أديب ومفكر المانى ، اشتهر بترجماته من الأدب الايطالى والأدب القديم .

(٣) مارتن لوثر (١٤٨٣ — ١٥٤٦) المصــلح الــدينى والاجتماعى الألمانى الكبير ومؤسس المذهب البروتستانتى .

والتعبير عن المضمون بلغة ألمانية مفهومة وسليمة . وفى هذا يقول مارتن لوثر : « لا ينبغى سؤال حروف اللغة اللاتينية عن كيفية الحديث باللغة الألمانية كما يجب ، بل ينبغى سؤال أم الأسرة ، والأطفال فى الشوارع ، والرجل العادى فى السوق والتمعن فيما يقولون ، ووفقا لذلك تؤدى الترجمة ، وعندئذ سيدركون ويلاحظون أن الترجمة تخاطبهم باللغة الألمانية » (١) ويشير يوجين نايدا (٢) الى اهتمام مارتن لوثر باختيار الألفاظ وتركيب العبارات واغفال الألفاظ الاغريقية والعبرية القديمة المعبرة عن الواقع اذا كان هناك ما يقابلها فى اللغة الألمانية ، كما كان مارتن لوثر يستخدم المجاز حيث لا يتطلب الأمر ذلك ، ولا يستخدمه فى حالات وفقا لمتطلبات السرد باللغة الألمانية .

من خلال هذا العرض الموجز نجد أن الفكر الترجمى قد تركز على العلاقة بين الأصل المنقول منه كعمل أدبى وبين الترجمة كنشاط ابداعى قوامه الخلق الفنى ، هذا بجانب التركيز على العلاقة بين لغة الأصل ولغة الترجمة . أما الأداء ، فقد انتهج المترجمون اما الالتزام الحرفى بما ورد فى الأصل المترجم منه ، أو صياغة النص صياغة جديدة تتراوح بين الحرية المقيدة بما ورد فى النص من معان ، أو الحرية المطلقة مع حذف أو اضافة كل ما يروق للمترجم . ويحدد درايدن ثلاثة انماط للترجمة سادت عصر النهضة هى :

١ — التقيد بالنص الأصلى بمعنى ترجمة النص كلمة كلمة وسطرا بسطر .

٢ — صياغة النص صياغة جديدة وهو نمط يظهر فيه عمل المؤلف واضحا وضوحا دقيقا ، ولكن المترجم يلاحق المعنى والاحساس بدلا من الكلمات .

٣ — المحاكاة حيث لا يمنح المترجم لنفسه حرية تغيير الكلمات والمعنى وحسب ، ولكنه يقلع عن الاثنين اذا اتضح له أن روح النص الأصلى

---

(١) انظر « قضايا تاريخ ونظرية الترجمة الأدبية » ص ١٥٠ .

(٢) انظر : نحو علم للترجمة . يوجين ا . نايدا . ترجمة ماجد النجار . مطبوعات وزارة الاعلام . الجمهورية العراقية ١٩٧٦ ص ١٥٣ .

تقتضى ذلك (١) .

كما نلاحظ اهتمام أصحاب المناهج الترجمية والمترجمين بلغة الترجمة واسلوبها ، فأوصوا بأن تكون منسجمة مع ضوابط اللغة المنقول اليها وأصولها ، وبحيث تجيء الترجمة طبيعية وسلسة . فالترجمة الجيدة كما يقول الكسندر تايتلر (٢) هى « التى تنقل مميزات النص الأصلى نقلا كاملا وبحيث تكون مفهومة لأبناء لغة الترجمة كفهم أبناء لغة الأصل للغتهم الأم » .

ولقد شهد القرنان الثامن عشر والتاسع عشر تطورا كبيرا فى الفكر الترجمى ارتباطا بتطور الفلسفة والتاريخ والآداب والدراسات اللغوية وغير ذلك من العلوم الانسانية والطبيعية . كما ساعد على هذا التطور نمو كيان اللغات القومية فى أوربا وتميز ملامح استقلاليتها وخصائصها ، فضلا عن الاهتمام بتأثير الكلمة لا كوسيلة للتعبير عن الفكر وحدة ، بل وكأداة للتعبير عن وجدان الانسان وأحاسيسه وتصوير قيمته كشخصية لها مقوماتها الخاصة بها . وبجانب ذلك تفتحت اللغات الأوربية لاستيعاب الصور الفنية الأجنبية عن طريق الترجمة ، الأمر الذى أثرى الامكانات اللفظية والتعبيرية فى هذه اللغات .

ومن ناحية أخرى ازدهرت الترجمة وتباينت اتجاهاتها ومناهجها نتيجة تبلور مناهج الفكر الابداعى ، وهى المناهج التى انحصرت فى : ١ — منهج عقلانية الفكر وفيه تغلب الفكرة على الصورة الفنية . ٢ — منهج التعبير عن الذات وما يتبع ذلك من تغليب للصورة الفنية على الفكرة وتغليب الشكل الانفعالى الشعورى على التحليل فى التصوير الفنى ، وسيطرة الاتجاه نحو التعميم ، وهى العناصر التى كانت أساس تطور الرومانتيكية وغيرها من المذاهب غير الواقعية . ٣ — النهج التحليلى الفنى وما ينادى به من وحدة الفكرة والصورة الفنية والتى يمكن تحليلها الى مكوناتها .

العقلانية والترجمة :

جاء النهج العقلانى فى الترجمة ليسد الطريق على الترجمات الحرة التى كانت تضع فى اعتبارها ذوق الفرد ، سواء المترجم أو القارىء ، أو

---

(١) انظر « نحو علم للترجمة » ص ٤٩ .

(٢) المرجع السابق ص ٥٢ . ولقد وضع الكسندر تايتلر (١٧٤٧ — ١٨١٣) رسالة فى الترجمة بعنوان « مبادىء الترجمة » .

ذوق المجتمع وقيمه وتقاليده . ومن ناحية أخرى برز النهج العقلانى فى الترجمة ليكون على طرفي نقيض مع سيطرة المدخل الجمالى البلاغى فى معالجة نصوص الترجمة وهو المدخل الذى جعل من الآداب الفرنسية مثلا اعلى يحتذى به فى صياغة الترجمات . ولقد أدى الى ظهور النهج العقلانى فى الترجمة انتشار النظرية المنطقية الرياضية فى فلسفة ونظرية اللغة تحت تأثير فكر ديكارت (١) وسيطرة النهج العقلانى فى المعرفة . فالعقل له الدور الاكبر فى المعرفة الانسانية ، كما يعتبر المعيار الحاسم فى تقييم نتائج البحث العلمى . ومهما كان دور التجربة عظيما ، الا أن أهميتها دون أهمية الاستدلال العقلانى ، والذى يتجسد تجسيدا كاملا فى الرياضيات ، ولذا فان الرياضيات هى المثل الأعلى الذى تحتذى به كل العلوم الأخرى . ومن ناحية أخرى فان كل أشكال المعرفة تتكرر بصفة دائمة بنفس أشكالها ، ومن هنا وحدة الفكر بصفة عامة . ولقد تركت أفكار ديكارت هذه بصماتها على الفكر والعلوم عامة . ولم يكن الفكر الترجمى بمعزل عن تأثيرها . ولقد انعكس هذا فى نظرة بريتنجر (١) الى الترجمة . فالدقة المطلقة — كما يرى بريتنجر — هى السبيل الوحيد الذى يجعل النص المترجم يحمل سمات الأصل الذى ترجم منه . غير أن هذه الدقة تعنى الدقة اللغوية وحدها ، ذلك لأن اللغات — كما يقول بريتنجر — هى الوسيلة التى يعبر بها الناس عن أفكارهم بعضهم لبعض . وطالما كانت الأشياء والظواهر والحقائق ، واشكال وصور العالم الروحى الوجدانى للانسان واحدة فى الواقع العالمى، فان البشر على اختلاف أجناسهم يشتركون فى الأفكار . وبما أن الالفاظ والتعبيرات فى اللغات المختلفة تعبر عن هذه الأفكار ، فيمكن القول بانها صالحة لتحل محل بعضها البعض فى اللغات . ولا يوجد اختلاف بين اللغات وفقا لذلك الا فى الخصائص الشكلية وحدها ، مثل الكيان الصوتى للغة ، والبناء النحوى وما الى ذلك . ومن هذا المنطلق فان مهمة المترجم هى نقل المعانى والمفاهيم فى تواردها ، وبنفس العلاقات المتبادلة بينها فى الأصل المنقول منه ، وبنفس قوة تأثيرها فى قارىء الأصل ، الأمر الذى يتطلب من المترجم عدم الخروج عما جاء فى النص المنقول منه من حيث الفكرة وسموها أو من حيث شكل وطريقة الأداء .

---

(١) رينيه ديكارت (١٥٩٦ — ١٦٥٠) فيلسوف وعالم طبيعة ورياضيات وفسيولوجيا فرنسى كبير .

(٢) يوهان بريتنجر (١٧٠١ — ١٧٧٦) ناقد سويسرى تناول مبادىء الترجمة فى كتاب يحمل عنوان « نظرية الشعر النقدية » انظر « قضايا تاريخ ونظرية الترجمة الأدبية » ص ١٥٨ — ١٦١ .

وللجمع بين روح النص وروح اللغة من الضرورى أن يكون المترجم — كما يقول جردر (١) مبدعا عبقريا ، يدرس الأديب ويعيش أحاسيسه ، بحيث يتمكن بعد ذلك من ترجمة خصائص اسلوب لغته فى الكتابة ونقل سمات واشكال التعبير الواردة فى النص الأصلى . وما من سبيل — كما يرى جردر — الى تحقيق التطابق بين الأصل والترجمة الا أن تكون الترجمة مبنية على أسس لغوية فنية تستهدف نقل الالفاظ والتعابير الواردة فى النص الأجنبى بدقة لغوية يمكن معها تتبع ما جاء فى النص الأجنبى من مكونات لغوية ، مع عدم اغفال المضمون الفكرى والفنى للأصل ، واختيار الأشكال والصيغ التى من شأنها عدم الايحاء لقارىء الترجمة بأنه يقرأ نصا أجنبيا .

غير أن هذا المنطلق العقلانى فى معالجة الترجمة واعتماده على ايجاد التطابق بين مكونات النص اللغوية لم يكن ليرضى الكثير من المفكرين . فعملية الترجمة ليست عملية نقل آلية قوامها أن يحل لفظ محل الآخر . فاللفظ لا يعبر عن مفهوم فقط ، بل يتضمن بالاضافة الى ذلك مكونات أخرى تعكس مختلف الجوانب التأثيرية الانفعالية . ولهذا نجد ديدرو (١) يفرق بين اللغة العامة المشتركة بين أبناء الأمة ، واللغة الخاصة المتمثلة فى لغة الأحاسيس والوجدان — أى لغة الشعر والأدب . واللغة الأولى واضحة المعالم ، مفهومة ، تعبر عن الفكر وتصل الى أسمى منزلة لها فى الفلسفة . أما اللغة الأخرى فتعتمد على الاحساس والشعور وبما أن الاحساس والشعور يختلفان من شخص الى آخر ، فمن الوهم الاعتقاد بتطابق الأقوال والافكار فى اطار هذه اللغة . وبجانب ذلك فان لغة الاحساس والشعور لغة غير محدودة ، وتتكون من عدد لا حصر له من لغات خاصة مثيلة تجود بها عبقرية الشعراء . وعلى هذا الأساس — كما يرى ديدرو — تختلف طرق التعبير عن نفس الأفكار من فرد لآخر ، ومن شعب لآخر ، وبالتالى فان كل أثر أدبى يتميز بخصائص لغوية ترتبط ارتباطا عضويا بلغة معينة بما فيها من وسائل تعبيرية خاصة بها .

لم يكن الفكر الأوربى بعد عصر النهضة والتنوير ليقتصر على الأسس الفكرية للعالم القديم والعصور الوسطى وما ارتبط بها من معايير فنية فى الآداب والفنون . ولقد شهد النصف الثانى من القرن الثامن عشر مولد

---

(١) يوهان جردر (١٧٤٤ — ١٨٠٣) أديب ومفكر ألمانى له دور كبير فى الحركة الفكرية الالمانية .

(٢) دينى ديدرو (١٧١٣ — ١٧٨٤) فيلسوف وكاتب ومفكر تنويرى ، ومنظر للفنون ومن كبار الانسكليبيديين الفرنسيين . وكان لفكره دور كبير فى الاعداد للثورة الفرنسية .

الرومانتيكية وما أثرته من تأثير بعيد المدى فى الفكر والآداب والفنون الأوربية . لقد استهدفت الرومانتيكية التأكيد على القيمة الذاتية للفرد وعالمه الروحى ، ونادت بحرية الفرد كشخصية لها كيانها ، وحرية الابداع الفنى بعيدا عن المعايير المقيدة للحركة ، بحيث يصدق الفرد التعبير عن نفسه وابراز ما بها من ثروة وجدانية . والى جانب ذلك اهتم الرومانتيكيون بدراسة لغة الشعب ، وأدبه وفنونه الشعبية ، وأفادوا منها فى مؤلفاتهم الأدبية والفنية . ولقد اثرت الرومانتيكية الفكر الترجمى ، وأضافت الكثير من العناصر الابداعية فى فن الأداء لا سيما أن معالجة الترجمة فى اطار الرومانتيكية كانت تنطلق من مبدأ الشاعرية وعالمية الشعور والوجدان .

الرومانتيكية والترجمة :

انطلقت الرومانتيكية فى معالجتها للترجمة من مفهوم دقة الترجمة فى شاعريتها . فأساس الترجمة الجيدة — كما يقول شليجل (١) هو الاحساس بالنص الى أقصى درجة وحتى ينسى المترجم « أنا » تماما أثناء الترجمة . والى جانب ذلك من الضرورى أن يبذل المترجم كل جهده فى الاقتراب من النص الأصلى قدر الامكان أثناء الأداء ، على أن يخرج ما ورد بالنص من مضامين بأدوات مختلفة تنبع أساسا من أصول اللغة المنقول اليها . غير أن الأمر لا يقتصر على نقل المضامين وحدها ، بل يتعداها الى الصياغة فى اطار المعالجة الفنية كى يصبح النص المترجم عملا أدبيا ابداعيا . والسبيل الذى يصل بالمترجم الى هذا الهدف هو — كما يرى شليجل — تقسيم النص الذى يترجمه الى وحدات اسلوبية شكلية ثم محاولة الحفاظ على هذه الوحدات الشكلية فى الترجمة . وكانت ترجمات شليجل تجسيدا لمنهجه هذا فى الترجمة ، وهو المنهج الذى أوجزه فى شعار يقول : « ان كل شعر ليس سوى ترجمة ، والأكثر من ذلك ، ان الترجمة الشاعرية الموضوعية ليست سوى شعر بكل ما تحمله هذه الكلمة من معان » (٢) .

كان اهتمام الرومانتيكيين بالشكل كبيرا بغية التأثير فى وجدان القارىء. فالعمل الأدبى من وجهة نظر نوفاليس (٣) عبارة عن وحدة متكاملة من الشكل

---

(١) اغسطس شليجل (١٧٦٧ — ١٨٤٥) مفكر ومترجم المانى .

(٢) انظر « قضايا تاريخ ونظرية الترجمة الأدبية » ص ١٨٥ .

(٣) نوفاليس اسم مستعار ، والاسم الحقيقى هوفريدريك فون جاردنبرج (١٧٧٢ — ١٨٠١) أديب المانى ومن كبار منظرى الرومانتيكية .

والمضمون ، مع اهمية الشكل ، لأنه أساس النغمة الاسلوبية فى النص وسبيل قوة السحر فى السرد ، هذه القوة التى تسلب اللب أثناء القراءة ، فضلا عن انها تشكل الروح الحقيقية للعمل الأدبى . والترجمة اما تكون ترجمة لغوية أدبية ، واما تحويلية ، واما اسطورية . والترجمة الاسطورية هى الضرب الأسمى من الترجمة ، ذلك لأن نص الترجمة يصبح فى هذ ه الحالة نصا أدبيا متكاملا يصل الى المثل الأعلى فى الأداء على غرار الاساطير الاغريقية . والترجمة اللغوية الأدبية تتطلب قدرا كبيرا من المعرفة والامكانات اللغوية ، ويعتمد أداؤها أساسا على الارتباط بروح الأديب الأجنبى وبما ورد فى النص . أما الترجمة التحويلية فقوامها الشاعرية ، والمترجم الذى يؤدى مثل هذه الترجمة — فنان بمعنى الكلمة ، وعليه أن يكون « شاعرا لشاعر آخر » ، يستطيع التعبير عن فكرته هو وفكرة من يترجم له فى آن واحد .

لم يكن الرومانتيكيون يقصدون بالمثل الأعلى فى الأداء نمطا محددا من العمل الأدبى كما كان متبعا فى أسلوب الكلاسيكية ، كما لم يكونوا من أنصار النهج التصحيحى فى الترجمة الذى يجعل المترجم أسير أذواق القراء والقيم الجمالية السائدة ، بل أسهموا فى ايجاد صيغ جديدة فى الأداء تعتمد على المقارنة اللغوية بين الأصل المنقول منه والترجمة ، والكشف عن المقابلات الوظيفية التى تؤثر فى القارىء فى اطار المتعارف عليه فى بيئته اللغوية . ولا جدال أن هذا المنطلق كان يتطلب من المترجم قدرا كبيرا من المعرفة بالأسس اللغوية العامة ، وبما يميز اللغتين المنقول منها والمنقول اليها من سمات وخصائص . ومن ناحية أخرى انتهج الرومانتيكيون نهجا تحليليا فى تنظيرهم لمبادىء وأصول الترجمة ، حيث اهتموا بتوصيف طرق وأنواع الترجمة .

يصنف جوته (١) طرق الترجمة الى ثلاثة أنواع تميز بدورها ثلاث مراحل تاريخية للاتصال بين الشعوب . والمرحلة الأولى هى المرحلة التى يستهدف فيها المترجم التعريف بالأثر الأدبى لأديب من أبناء بلد آخر انطلاقا من مفاهيم البيئة الحضارية للمترجم وخصائصها . وفى هذه الحالة يمحو المترجم كل خصائص النص الأجنبى ويجعل الترجمة عنصرا من عناصر البيئة الأدبية المحلية — عنصرا مصاغا بلغة واضحة مفهومة للجميع . والمرحلة الثانية هى المرحلة التى نحاول الانتقال فيها « الى البيئة الأجنبية ومناخها ،

---

(١) يوهان فولفجانج جوته (١٧٤٩ — ١٨٣٢) شاعر ومفكر المانى كبير ، ترجم العديد من المؤلفات من الايطالية والانجليزية .

ولكنا لا نخرج فى الواقع عن اطار استيعاب الأفكار والأحاسيس الغريبة عنا هذه ونسعى الى التعبير عنها بطريقتنا نحن ، أى بأفكارنا وأحاسيسنا » (١) وفى هذه الحالة يعالج المترجم النص الذى يترجمه والمعانى الواردة فيه على أساس من الحرية مع بذل كل الجهد لايجاد المقابل لوسائل التعبير المتضمنة فى النص المنقول منه ، ولكن بشرط أن تكون المقابلات نابعة من البيئة القومية . أما المرحلة الثالثة فهى المرحلة الأسمى والأخيرة . ويقوم مذهبها على السعى الى جعل نص الترجمة مطابقا تمام التطابق مع النص المترجم منه ، وبحيث يكون النص المترجم لا صورة طبق الأصل من النص الأصلى ، بل نصا أدبيا فنيا يحل محل النص الأصلى — نصا يبدو بوتقة تنصهر فيها الخصائص القومية والخصائص الأجنبية ، الأمر الذى يجعل القارىء يخرج بذوقه من المستوى القومى الى مستوى العالمية على أساس مبدأ الاندماج والتقارب الوجدانى مع أبناء الشعوب الأخرى . ومن خلال هذا التوصيف لمراحل الترجمة وأنواعها يتطرق جوته الى قضية هامة من قضايا الترجمة هى : هل وظيفة المترجم هى نقل القارىء الى عالم مؤلف النص المنقول منه أو على النقيض من ذلك ، نقل عالم المؤلف الى القارىء ؟ وفى هذا يحدد جوته منهجين للترجمة بقوله : « هناك مبدءان للترجمة : المبدأ الأول يتطلب نقل المؤلف الأجنبى الينا ، بحيث يمكن أن نرى فيه واحدا من ابناء وطننا ، والمبدأ الثانى ، على العكس من ذلك ، يتطلب منا أن ننتقل نحن الى عالم هذا الأجنبى ونتكيف مع ظروف حياته ، ونظام لغته وخصائصها » (٢) . غير أن جوته لم يتعرض للتمييز بين هذين المنهجين ، ولكنه يتناول الطريق الذى ينبغى على المترجم اتباعه خلال ممارسته للترجمة . فعلى المترجم « أن يصل الى كل العناصر الواردة فى النص الأصلى حتى العناصر التى من غير الممكن ترجمتها ، وفى هذه الحالة وحدها يمكن معرفة الأمة الأجنبية واللغة الأجنبية معرفة حقة » (٣) .

لم تكن قضية العلاقة بين المترجم والمؤلف والواقع الذى يعيشه القارىء تشغل اهتمام المفكرين والأدباء والمترجمين الالمان وحدهم ، بل امتدت لتشمل الفكر الترجمى فى دول أوربية أخرى . فقد تناول عدد كبير من الكتاب والشعراء والمترجمين فى روسيا هذه القضية من خلال معالجتهم للترجمة معالجة رومانتيكية المنهج ممزوجة باتجاهات تصحيحية أو بأسلوب

---

(١) « قضايا تاريخ ونظرية الترجمة الأدبية » ص ١٩١ وما بعدها .

(٢) المرجع السابق . ص ١٩٤ .

(٣) المرجع السابق . ص ١٩٤ .

التنوير تأثرا بالمثل الأعلى الفرنسى . ويتضح هذا بجلاء فى فكر وترجمات جوكوفسكى (١) الذى كان يتتبع خطى الرومانتيكية ونهج المدرسة التصحيحية فى الترجمة اقتناعا بضرورة تمتع المترجم بموهبة الابداع الفنى بمعنى القدرة على التخيل والاحساس بامكانيات الوسائل التعبيرية فى اللغة بحيث يصبح على مستوى المؤلف نفسه . ويسير فيدينسكى (٢) على نهج جوكوفسكى فى الترجمة الا انه كان يغلب التصحيحية فى تعامله مع قضية العلاقة بين المترجم والمؤلف والواقع الذى يعيشه القارىء ، لدرجة أنه كان يصور أبطال ترجماته وكأنهم من مواطنى بلده يعيشون الواقع الروسى . ويعلل فيدينسكى منطلقه هذا بقوله : « ان أولى واهم واجبات المترجم الموهوب فى عملية نقله الفنى لأديب من الأدباء هو أن يوجه اهتمام القارىء الى روح الأديب وجوهر أفكاره . وحين يتهيأ المترجم للترجمة ، عليه أن يندمج فى قراءة الأديب ، ويعيش معه ويعايش أفكاره ، ويفكر بعقله ، ويحس بقلبه ، ويتخلى فى هذه الأثناء عن ذاته ونمطه فى التفكير . على المترجم أن ينتقل بالأديب الى السماء التى يعيشها هو ، ثم يسأل نفسه : ما هو الشكل الذى كان يمكن أن يصيغ فيه الأديب أفكاره وينقلها الى الآخرين ، لو كان يعيش فى نفس الظروف التى يعيشها المترجم » (٣) .

ويعارض بيلينسكى (١) النهج التصحيحى فى الترجمة من منظور المنطلق الواقعى فى معالجة الأدب . فالترجمة التصحيحية تخل بامانة النقل، ولذا فان نهج الترجمة الصحيحة هو العمل على نقل روح النص الأجنبى ، الأمر الذى يتطلب أن يكون المترجم فنانا مبدعا . واذا نقل روح النص الأجنبى يقتضى بعضا من التعديلات والتغييرات ، فان لكل مترجم حدود تقيد حركته فى التعديل أو التغيير. «فمن الذى يملك الحق فى تعديل أو تغيير أو اختصار أو توسيع فكر العبقرى؟لا يقوى على ذلك الا عبقرى مثله!اذن ماهو هدف الترجمة؟أن هدفها هواعطاء أقرب تصورعن الأثر الأدبى الأجنبى

---

(١) فاسيلى أندريفتش جوكوفسكى (١٧٨٣ — ١٨٥٢) شاعر ومترجم روسى كبير .

(٢) ايرنارخ ايفانفتش فيدينسكى (١٨١٣ — ١٨٥٥) مترجم وعالم تربوى ومؤرخ للأدب الروسى .

(٣) « قضايا تاريخ ونظرية الترجمة الأدبية » ص ٢٢٠ .

(٤) فيسريون جريجورفتش بيلينسكى (١٨١١ — ١٨٤٨) ناقد أدبى روسى شهير .

على حالته كما هو.وفى حالة قيام المترجم بادخال اضافات أو تعديلات على النص كى يصبح أفضل من صورته التى وضعها فيه مؤلفه ، فان الترجمة لن تكون دقيقة وبالتالى لن تكون جيدة . ولا يحدث مثل هذا التصرف من جانب المترجم الا اذا كان الأصل الأجنبى ضعيفا ، اذ أنه يستحيل جعل الأثر الأدبى الجيد لشاعر عظيم عملا أفضل من الأصل عن طريق الترجمة ، ذلك لان التعديلات والاضافات تفسده : فاننا فى ترجمات جوته نريد أن نرى جوته نفسه ، وليس شخص مترجمه ، وحتى لو تولى بوشكن (١) نفسه ترجمة جوته ، فاننا نطالبه أن يرينا جوته لا نفسه » (٢) ومن ناحية أخرى ينبغى مراعاة التجسيد اللغوى للنص المترجم بحيث تكون لغته مفهومة طبيعية سلسة كما لو كان كاتب الأصل المنقول منه روسيا من وجهة نظر دقة التعبير وتناسق الاسلوب .

ويقسم بيلينسكى الترجمة الى ترجمة شاعرية قوامها حرية التعبير الجمالى وهدفها الاساسى تعريف القارىء بالأثر الأدبى وكاتبه ، والنوع الثانى من الترجمة هو الترجمة الأدبية والتى تتحرى الالتزام بما ورد فى النص الأجنبى ،فلا تسمح بالاضافة أو التعديل أو الحذف ، وهدفها هو أن يحل النص المترجم محل النص المنقول منه من حيث القيمة الفنية والأدبية والتاريخية ، بحيث يؤثر فى القارىء ويتيح له امكانية التمتع بالأثر الأدبى والحكم عليه .

ولقد اتبع الكاتب الروسى تورجينيف (٣) منهجا رومانتيكيا تنويريا فى معالجته لقضية الترجمة . فالترجمة — كما يقول تورجينيف — مخصصة بصفة أساسية لكل من لا يعرف النص الأصلى من القراء ، ومن هنا فانها اما تكون ترجمة تستهدف تعريف القارىء بأثر أدبى جيد من الأثار الأدبية الأجنبية ، أو تكون ترجمة « يحاول الفنان فيها اعادة خلق عمل عظيم على أسس ابداعية وبقدر ما له من موهبة ابداعية ، وبقدر ما له من قدرة على التشرب بأفكار وأحاسيس الأديب الأجنبى — يكون اقترابه من تحقيق هذه المهمة الصعبة » (٤) وهذا النوع من الترجمة هو الذى يصبح فيه النص

---

(١) ألكسندر سيرجيفتش بوشكن (١٧٦٦ — ١٨٣٧) من كبار الشعراء والأدباء الروس .

(٢) أنظر « قضايا تاريخ ونظرية الترجمة الأدبية » ص ٢٣٩ .

(٣) ايفان سيرجيفتش تورجينيف (١٨١٨ — ١٨٨٣) كاتب رومانتيكى روسى كبير .

(٤) « قضايا تاريخ ونظرية الترجمة الأدبية » ص ٢٤٢ .

المترجم اثرا أدبيا أصيلا ، لا يشعر فيه القارىء بأى من مظاهر تكييف النص مع الواقع أو بما تعرضت له مكونات النص المنقول منه من معالجات داخل العالم الوجدانى للمترجم نفسه .

اللغة والفكر الترجمى :

لم يغفل احد ممن تناولوا أصول وضوابط الترجمة عنصر اللغة أثناء صياغته لمبادىء ومذاهب الأداء الترجمى . فاللغة كانت ولا تزال الأداء الرئيسية لنقل نص من النصوص من لغة الى أخرى . ومن الملاحظ أن محور التناول اللغوى لقضية اللغة والترجمة كان يدور حول العلاقة بين النص المنقول منه والنص المنقول اليه . واتسمت هذه العلاقة عند أنصار الالتزام الحرفى بالنص المنقول منه بالمحاكاة اللغوية لمكونات النص الأجنبى بغض النظر عن مواءمتها لمتطلبات البيئة اللغوية لقارىء الترجمة ، ودون مراعاة لما اذا كانت لغة الترجمة مفهومة أو غير مفهومة . أما أصحاب المدارس الأخرى فقد أولوا لغة الترجمة عناية كبيرة نابعة من اهتمامهم بالشكل . فنجد أنهم أشاروا الى ضرورة تحليل مكونات النص المنقول منه ، وتحديد خصائصه المعنوية اما على أسس اسلوبية جمالية ، كما كان منطلق أنصار النهج الجمالى البلاغى ، واما على أسس معنوية ، كما ركز جيروم وتلامذته فيما بعد . وكان الهدف الرئيسى لهؤلاء وأولئك هو سلاسة التعبير وتناسقه فى الترجمة ، وتحقيق التكامل المعنوى بين النصين المنقول منه والمترجم ، والوفاء بالمضمون الى جانب الوفاء بمتطلبات الاسلوب . وعلى هذا نجد أن التناول اللغوى فى اطار هذه المعايير لم يكن يخرج عن الجانب الوظيفى للغة كأداء للتعبير الجمالى . ولقد أضافت المدرسة التصحيحية الى الجانب الوظيفى هذا عنصرا جديدا يتمثل فى امكانية تطوير اللغة من خلال الترجمة . وكانت الحاجة آنذاك تتطلب ذلك ، لأن اللغات الأوربية لم تكن قد اكتسبت بعد اشكالها المستقلة ، وكان تأثير الاغريقية واللاتينية لا يزال واضحا فى الكتابات العلمية والأدبية . ومن ناحية أخرى حاولت المدرسة التصحيحية صياغة أسلوب كلاسيكى فى التعبير اللغوى يعتمد على الانموذج الفرنسى كمثل أعلى فى معالجة الترجمة وفق القيم الجمالية السائدة آنذاك . ثم انتقلت المدرسة الالمانية بلغة الترجمة الى أرضية جديدة تقوم دعائمها على تطوير اللغة القومية من واقع البيئة اللغوية ذاتها ، وبحيث تكون لغة النص المترجم مفهومة وواضحة للجميع . وتطورت المعالجة اللغوية للترجمة على يد العقلانيين بتطرقها الى قضية ارتباط وسائل التعبير اللغوية بالفكر والواقع . ولقد أوضحت هذه المعالجة وجدة الفكر ووحدة سبل التعبير اللغوى ، وانه اذا كان هناك اختلاف بين اللغات ، فانه ينحصر فى

الخصائص الشكلية للغة من حيث النظام الصوتى والنحوى وما الى ذلك . ثم أهتم الرومانتيكيون بجانب هام من جوانب التعبير اللغوى — هو الجانب الانفعالى التأثيرى مستهدفين بذلك التعبير عن روح اللغة والوصول الى وجدان وشعور القارىء . وانتهج الرومانتيكيون فى هذا طريق المقارنات اللغوية والكشف عن المقابلات اللغوية وارتباطها بالواقع اللغوى فى مجتمع ما .

ولقد أضافت المدرسة الالمانية عناصر لغوية جديدة فى الفكر الترجمى . فكان شليرماخر (١) أول من حدد مجالات وأنواع الترجمة على أسس الاستخدام اللغوى . وتنحصر مجالات الترجمة من وجهة نظر شليرماخر فى الاشكال التالية :

١ — ترجمة تتم فى نطاق محور المكان والمقصود بها الترجمة من لغة الى أخرى على أساس المعاصرة .

٢ — ترجمة تتم فى نطاق محور الزمان والمقصود بها الترجمة من حالة تاريخية الى حالة تاريخية أخرى فى اطار لغة واحدة .

٣ — ترجمة تتم فى اطار محور الزمان المعاصر وفى اطار لغة واحدة مثل الترجمة من اللغة الفصحى الى اللغات العامية أو الى اللهجات ، وكذلك الترجمة بين مختلف أساليب اللغة كالنقل من اللغة الفصحى الى الأساليب النوعية التى تميز لغة مختلف طوائف وفئات المجتمع .

٤ — ترجمة بين شخصين من أبناء اللغة الواحدة للتعبير عن الحالات النفسية والوجدانية أو الترجمة بين الشخص ونفسه لادراك فحوى أفكاره وأقواله فى مرحلة سابقة من تطور شخصيته .

ثم يتطرق شليرماخر بعد ذلك الى تصنيف الترجمة الى نوعين : النوع الأول يشمل الترجمة الشفوية وترجمة الوثائق المكتوبة والتى يعتمد نقلها على أنماط ومقابلات ثابتة وفقا لقوانين الأشياء والأحداث . ولا تشكل عملية النقل فى مثل هذه الأحوال صعوبة ، اذ انها تبدو — كما يقول

---

(١) فردريك شليرماخر (١٧٦٨ — ١٨٤٣) فيلسوف وعالم لاهوت المانى ترجم أفلاطون الى الالمانية . انظر « قضايا تاريخ ونظرية الترجمة الأدبية » ص ١٩٤ — ١٩٩ .

شليير ماخر — عملية آلية بحتة . ومن أمثلة هذه النوعية من الترجمة — ترجمة المراسلات التجارية والوثائق الرسمية وترجمة الأقوال الشفوية . والنوع الثانى من الترجمة يتضمن نقل المؤلفات والآثار الأدبية الابداعية ، والتى يعتمد كاتبوها فى تصوير الأشياء والأحداث على المقومات التعبيرية والفنية ، حيث يعمل الأديب على ابداع الأشياء والأحداث مع حرية اختيار ترتيبها وتركيبها فى النص وحرية اختيار سبل التعبير فيها . وتمثل عملية النقل فى اطار هذا النوع من الترجمة صعوبات كبيرة ، ذلك لأنه ليس من السهل أن يجد الناقل لفظين متماثلين أو صيغتين متماثلتين فى لغتين من اللغات . ويرى شليرماخر ان هذا النوع من الترجمة يشمل الى جانب النصوص الأدبية نصوصا غير أدبية مثل الكتابات العلمية والصحفية .

وينتهج شليرماخر نهج جوته فى عرضه لمذاهب الترجمة حيث يقول « فى الترجمة مذهبان فقط لا ثالث لهما : الأول اما أن يترك المترجم بقدر الامكان الأديب الذى يترجم له وشأنه ويقترب بالقارىء منه ، واما أن يترك القارىء وشأنه ويقترب بالكاتب منه بقدر الامكان » (١) . ويرى شليرماخر أفضلية المذهب الأول انطلاقا من خصائص اللغة كوسيلة من وسائل الاتصال ولكن بشرط الا يصل الأمر الى التوغل فى عالم الأديب الأجنبى لدرجة المحاكاة . والدقة مطلوبة أثناء الترجمة ، الا أن مطابقة نص الترجمة للنص المنقول منه لا ينبغى أن تكون الا فى اطار اللغة المنقول اليها بمعنى مطابقة علاقة قارىء النص المترجم بعلاقة قارىء النص الأصلى فى لغته الأصلية . ولهذه العلاقة جانبان تتكامل بهما : هما الاحساس بروح اللغة وادراك روح الأديب المتميزة . ومن هنا كانت الصعوبات التى تواجه المترجم أثناء عملية الترجمة . فالمترجم يتعامل مع أمرين : مع نظام لغة أجنبية من ناحية ، ومع العمل الابداعى للأديب والذى يجسد تمكن هذا الأديب من لغته وحرية التعبير بها من ناحية أخرى . وعلى هذا فان اللغة التى يتعامل معها المترجم ، الى جانب خصائصها كنظام متكامل ، تستخدم للتعبير عن فكر وخيال الأديب فى حدود ما هو مألوف فى بيئته اللغوية ، الأمر الذى يزيد الصعوبات أمام المترجم فى عمله . « فكل حدث كلامى تلقائى ابداعى يمكن أن يفهم من ناحيتين : من وجهة نظر الروح التى تشكل عناصرها هذا الحدث الكلامى بوصفه سلسلة كلامية حية كامنة فى قدرات المتحدث نفسه وترتبط بهذه الروح ارتباطا وثيقا متبادلا ، وكذلك من وجهة نظر روح المتحدث نفسه حيث ينبع الحدث

---

(١) انظر « قضايا تاريخ ونظرية الترجمة الأدبية » ص ١٩٦ .

الكلامى من كيانه هو ، كما أنه يفسر من خلال هذا الكيان » (١) ومن هنا كانت نظرة شليرماخر المزدوجة الى لغة النص الجارى ترجمته ، اذ انه يعكس الجانب الموضوعى للغة والمعروف لجميع أبنائها والمصوغ وفق المتعارف عليه من أصول النحو والصرف والتعبير ، بجانب تجسيده للعنصر الذاتى فى استخدام اللغة ، وهو العنصر المرتبط بأسلوب وروح الأديب ذاته .

ثم ينتقل شليرماخر بعد ذلك الى قضية الأداء فى الترجمة ، ويحاول التفريق بين ظاهرة التأويل وظاهرة « المحاكاة » فى الاداء الترجمى على أسس لغوية . فالمترجم الذى ينتهج التأويل فى أدائه يستخدم عناصر اللغتين كما لو كانت رموزا رياضية ولذا يقدم تفسيراته فى مختلف المواضع بهدف تغطية ما ورد فى النص من مضامين ، أما المحاكاة فصورة من صور العجز عن ادراك خصائص اللغات المختلفة ، حيث لا يقوى المترجم على اخراج الالفاظ التى من شأنها تجسيد ما ورد فى النص بصورة تامة . وعلى هذا النحو تصبح المحاكاة وسيلة يتخلى بها المترجم عن المطابقة بين الأصل والترجمة بهدف احداث التأثير فى القارىء . والمترجم بذلك لا يسعى الى الجمع بين الأديب والقارىء ، بل يقلب ميزان العلاقة بينهما على حساب السعى وراء التأثير على القارىء . واشكال الأداء هذه — كما يقول شليرماخر — لا تفى باحتياجات ابراز القيمة الفنية للأثر الأدبى الأجنبى .

ولقد لاقى الفكر الترجمى المبنى على أسس لغوية تطورا كبيرا على يد العالم الألمانى الكبير فلهلم همبولت (٢) . فقد تناول همبولت عددا كبيرا من القضايا اللغوية لا تزال تشكل أسس اللغويات المعاصرة . وينطلق همبولت فى فكره اللغوى من أن الشكل يطابق المضمون فى وحدة متماسكة، وبذا فأنهما يصفان شيئا واحدا . فالشكل هو الصورة المحسوسة للمضمون والمضمون هو الصورة الروحية للشكل . والمضمون من وجهة نظر همبولت ليس سوى الصيغة الذهنية للاشكال الصوتية ، ومن خلال

---

(١) المرجع السابق ص ١٩٧ .

(٢) فلهم همبولت (١٧٦٧ — ١٨٣٥) عالم ألمانى كبير اشتهر بمؤلفاته فى الفلسفة واللغويات الكلاسيكية والقانون ، وله اهتمامات نظرية وتطبيقية فى الانثربولوجيا واللغات . انظر « قضايا تاريخ ونظرية الترجمة الأدبية » ص ١٩٩ — ٢٠٧ .

هذه الصيغة تصبح اللغة قادرة على التعبير عن كل شىء . وتعتمد خاصية المضمون هذه على التناسق والتفاعل بين قوانين الجانب الوظيفى للمضمون من جهة ، وعلى قوانين التأمل والفكر والاحساس من جهة اخرى . ولا تختلف لغة عن أخرى من حيث المضمون ، ذلك لأنه صورة من صور قوة ابداع لغوية واحدة لدى كل الشعوب ، ولذا فما من لغة قاصرة عن التعبير عن أسمى وأعمق الأفكار وأرق المعانى . ويركز همبولت على الوظيفة الاجتماعية للغة . فاللغة من الخصائص الاساسية لشعب من الشعوب ، « وما من شىء داخل الانسان مهما بلغ عمقه ومهما بلغت دقته وشموليته ، الا وانتقل الى اللغة أو يمكن التعرف عليه من خلال اللغة » (١) فاللغة على هذا المنوال هى المرآة التى تعكس الروح الجماعية الموضوعية والروح الذاتية للأفراد فى مجتمع من المجتمعات .

ويتناول همبولت الترجمة فى أطر عامة نابعة من فلسفته اللغوية . فالترجمة نوع من أنواع الاتصال بمكوناته التى تعتمد على الحدث الكلامى والفهم . فحين يتلقى المتلقى الحدث الكلامى فانه لا يتلقاه فى قالب جاهز ، بل يعيد صياغته فى قالبه هو ، وهذا ما يسميه همبولت بعملية الفهم . وعلى هذا يقوم المتلقى بتحويل لغة الآخرين الى قالبه اللغوى ، أو قد تضطره عملية الفهم الى الانتقال الى عالم اللغة الأجنبية وقد تزود بالمعرفة والتمكن من هذه اللغة . وعملية الفهم هذه ليست سوى عملية ترجمة لها حدود تقف عندها ارتباطا بامكانات الفرد العقلية . فالترجمة على هذا النحو — كما يقول همبولت — اتصال بين عالمين ذاتيين من الادراك ، وتعتبر فى جوهرها احدى الصيغ العديدة للفهم المثمر .

ثم يتطرق همبولت الى شروط الترجمة ، فيشير الى ضرورة التغلغل الى كل مكونات النص اللغوية بغية نقله بكل دقة . ولتحقيق هذا الهدف يقترح همبولت طريقين : الطريق الأول هو الطريق العقلانى الذى يقوم على تحليل مختلف مكونات النص : المكونات اللفظية ، والنحوية والصرفية، واللحنية الصوتية ، وبحيث يتم التحليل بصورة عميقة تتيح امكانية تغطية كل جوانب الأثر الأدبى . وهذه المكونات تمثل الشكل الذى تكتسب فيه الفكرة والصورة الفنية والأصوات تجسيدها الابداعى (٢) . غير أن طريقة التحليل هذه تتطلب الكثير من الوقت والجهد . ولذا فان الطريق الأبسط والاقصر — من وجهة نظر همبولت — هو الطريق الثانى والذى يعتمد على

---

(١) المرجع السابق ص ٢٠٢ .
(٢) المرجع السابق ص ٢٠٥ .

فهم النص المراد ترجمته فهما قوامه الحدس ، وبما أن هذا الطريق لا يكفى وحده لأداء الترجمة أداء كاملا ، فمن الضرورى الجمع بين الطريقين مع أضافة عنصر قوة التجسيد الفنى فى الترجمة .

ورغم امكانية اللغات المختلفة فى التعبير عن مختلف الأفكار والتصورات نتيجة وحدة المفاهيم ومرونة التعبير عنها ، الا انه لا يمكن القول بامكانية ترجمة كل عنصر من عناصر اللغة . ويرى همبولت أن الالفاظ هى العنصر الرئيسى فى اللغة القابل للترجمة من لغة الى أخرى بدرجة سهلة نسبيا ، أما الصيغ النحوية فتشكل ترجمتها صعوبة ذلك لأنها تتجسد على مستوى الفكر ، لا على مستوى المادة الصوتية ، ولذا لا يمكن أن تحل صيغة نحوية فى لغة ما محل أخرى فى لغة أخرى . غير أن سهولة ترجمة الالفاظ لا تعنى أن المترجم لا يواجه صعوبات بالمرة أثناء ذلك لأنه : « ما أن يتجرد المرء من التعبير عن الخصائص المادية المحسوسة ، حتى يجد أنه ما من لفظ يطابق تمام التطابق لفظا آخر فى لغة أخرى . فان كل لفظ يعبر عن مفهوم بدرجات متفاوتة من التغاير ، وبقدر أو بآخر من المعانى الاضافية ، وبقدر أكثر أو اقل على مستوى مقام الوجدان » (١) .

والترجمة — كما يقول همبولت — احدى أهم وسائل استيعاب الانجازات الأدبية والفنية والفكرية للشعوب الأخرى ، كما أنها سبيل الى الرقى باللغة القومية . وقوام الترجمة هو الدقة من خلال استيعاب لغة الأمة وروحها ، « وطالما لا يشعر المرء فى الترجمة بما هو أجنبى عنه ، بل بظلال هذا الأجنبى فحسب فان الترجمة فى مثل هذه الحالة تكون قد حققت أعظم أهدافها ، ولكن حين تنضج الترجمة بكل ما هو أجنبى وبكل جلاء ووضوح ، بل وقد تصل الى حد تشويه ما هو أجنبى ، فان هذا يعنى أن المترجم لم يصل بعد الى مستوى النص » (٢) .

لقد أبرز الفكر اللغوى قضايا هامة لا تزال تشغل حيزا كبيرا فى مجال الدراسات الترجمية حتى يومنا هذا . ومن بين هذه القضايا علاقة التطابق بين مكونات النص المنقول منه ونص الترجمة ومجالات وأنواع الترجمة من منطلق الاستخدام اللغوى ، وحدة الشكل والمضمون فى النص ، وحدة

---

(١) « قضايا تاريخ ونظرية الترجمة الأدبية » ص ٢٠٦ .

(٢) المرجع السابق ص ٢٠٧ .

المضامين فى اللغات المختلفة مع اختلاف الشكل وفقا لمقتضيات البيئة اللغوية ، اللغة كانعكاس للروح الجماعية والروح الذاتية ، ارتباط الحدث الكلامى بالفكر ، عملية الفهم كأساس سيكلوجى فى تحليل مكونات النص المنقول منه تحليلا لفظيا ونحويا وصوتيا ، استخدام عناصر اللغة كأدوات للتعبير الفنى واختلاف اللغات من حيث امكانيات اللفظ التعبيرية .

ومع اختلاف الفكر الترجمى فى معالجة النص المنقول منه اختلفت النظرة الى الترجمة وأهدافها على امتداد الفترة التاريخية التى عرضنا لها ، وهى الفترة التى تعتبر مقدمة الدفعة القوية التى شهدتها الترجمة فى عصرنا الحالى سواء فى مجال التنظير أو فى ميدان التطبيق . ويمكن القول أن أهداف الترجمة على امتداد هذه الفترة التاريخية كانت تنحصر فيما يلى :

١ — الترجمة نشاط يبين أن تميز النص الأصلى على نص الترجمة حقيقة واقعة . فان الترجمة مهما بلغت من دقة لا يمكن لها أن تصل الى مستوى النص الأصلى من حيث القوة التعبيرية والتأثيرية .

٢ — الترجمة وسيلة لتشجيع القارىء المثقف على الرجوع الى النص الأصلى ذلك لأن القارىء المثقف آنذاك كان على علم باللغتين الاغريقية واللاتينية ، الأمر الذى يتيح له امكانية عقد المقارنات بين الأصل والترجمة .

٣ — الترجمة وسيلة لمساعدة القارىء على الوصول الى نفس مستوى قارى النص الأصلى . فالهدف من الترجمة هو ايجاد تطابق فى العلاقة بين القارىء وبين النص المترجم والعلاقة بين القارىء والنص المنقول منه .

٤ — الترجمة وسيلة يقدم من خلالها المترجم اختياره الذاتى للقارىء ، وذلك لاعتماد الترجمة على الخلق الابداعى .

٥ — الترجمة وسيلة لرفع مستوى الأصل المنقول منه لأنه يعبر عن مستوى حضارى أقل تطورا ، وذلك انطلاقا من فكرة استطراد التطور الفكرى والحضارى وما يصاحبه من سمو وارتقاء فى الحضارات

اللاحقة (١) .

نحو علم الترجمة فى مدخله اللغوى :

يستخدم لفظ « الترجمة » فى معنيين . الأول يعنى الترجمة كنتاج لعملية النقل من لغة الى أخرى ، ويقصد بالمعنى الثانى عملية النقل ذاتها. كانت معالجة الترجمة فيما سبق تركز على الترجمة كنتاج لعملية النقل مع العمل على ايجاد مواصفات يمكن أن تستخدم كمعايير لتقييم النص المترجم أو كارشادات للمترجم يمكن أن يأخذ بها أثناء الأداء . أما الترجمات ، فقد انحصرت بصفة أساسية فى النصوص الأدبية شعرا ونثرا ، ولذا كان الشعراء والكتاب هم الذين تعرضوا للمبادىء الأساسية لمناهج ومذاهب الترجمة من واقع المنطلقات الجمالية والأدبية وفق تطور العصور . أما القضايا المتعلقة بجوهر عملية الترجمة ذاتها ، وبخصائصها اللغوية والفنية والسيكلوجية — وهى الخصائص الكامنة فى طبيعة الحدث الكلامى — فلم تنل قسطا وافرا من التحليل والتنظيم غير أن التطور الذى شهدته الدراسات اللغوية والأدبية مع بداية هذا القرن بظهور الشكلية والبنائية وغير ذلك من اتجاهات معاصرة أسهم اسهاما كبيرا فى تنظير الترجمة ووضع تطبيقها العملى فى ميزان التحليل العلمى . ولم يكن هذا وحده هو الدافع الى تطور نظرية وتطبيق الترجمة . فقد اقتضى التقدم العلمى والتكنولوجى المعاصر ، والحاجة الى مزيد من سبل الاتصال بين الشعوب للوقوف على انجازات البشرية — تنشيط الترجمة كوسيلة طيعة فى يد الأمم تستخدمها فى تبادل الفكر والعلم والثقافة . ولقد انعكس هذا بدوره على تعدد نوعيات الترجمة وأهدافها ووسائل أدائها ، فكانت الترجمة الاعلامية ، والعلمية المتخصصة ، والأدبية وكانت الترجمة الشفوية بأنواعها التتبعية والمنظورة والفورية ، ثم وصل الأمر الى محاولات ميكنة عملية الترجمة . ولا شك أن هذا التغير الكيفى والكمى فى الترجمة قد أملى ضرورة توصيف هذه الظاهرة وتقنين ضوابطها وتنظيم خصائصها . وأصبحت الترجمة الآن علما قائما بذاته ، يستمد مادته النظرية من عدد كبير من مبادىء ومناهج علوم اللغة والأدب ، وعلم النفس ، وعلم الاجتماع وغير ذلك من علوم انسانية ، فضلا عن أحدث ما وصلت اليه نظريات الاتصال والمعلومات والاحصاء اللغوى والدراسات اللغوية التطبيقية . كما لم تعد الترجمة وقفا على المترجمين وحدهم ، بل أصبحت ميدانا لنشاط علماء اللغة ، وعلماء النفس ، والرياضيات ، والمهندسين ومؤرخى الحضارات وغيرهم .

---

(١) انظر هذه الاهداف عند :
Susan Bassnett — McGuire. Translation studies. Muthuen. London — New York. 1980 p. 71.

ظلت الترجمة فنا من فنون النشاط الابداعى تعالج معالجة أدبية جمالية حتى ظهر كتاب العالم السوفيتى أندريه فيودرف « مقدمة فى نظرية الترجمة » (١) . ولقد أحدث هذا الكتاب دويا بين المشتغلين بالترجمة ، ذلك لأن فيدروف قبل كتابه هذا كان من بين الذين يرون فى الترجمة فنا ابداعيا قوامه الأسس الأدبية الجمالية . ولكنه فى هذا الكتاب قد مال بزاوية قدرها مائة وثمانين درجة فى الاتجاه المعاكس . فقد أعلن أندريه فيودرف أن الترجمة ليست سوى نشاط ابداعى فى مجال اللغة ، ومن ثم فان دراسة الترجمة وتنظيرها ينبغى أن يستندا على أسس لغوية بغية الكشف عن ظواهر التطابق اللغوى بين لغتين من اللغات . ويؤكد فيودرف هذا بقوله : « بما أن الترجمة تتعامل دائما مع اللغة ، وتستهدف معالجة اللغة دائما ، وبما أن الترجمة تحتاج الى المزيد من الدراسة فى المنظور اللغوى نتيجة ارتباطها بقضية العلاقات المتبادلة بين اللغات وبين وسائلها التعبيرية ، فان نظرية الترجمة كفرع قائم بذاته من فروع الفيلولوجيا تعتبر علما لغويا أولا وقبل كل شىء » (٢) . فاللغة — كما يرى فيودرف — ليست وسيلة مساعدة فى أى من الترجمات ، ذلك لأن الترجمة لا يمكن أن تحقق هدفها — سواء كان هذا الهدف تعريفيا كما هو الحال فى الترجمة العلمية والاعلامية ، أو جماليا كما هو الحال فى ترجمة النصوص الأدبية — الا عن طريق وسائل التعبير اللغوى . ورغم أن فيودرف لم يستبعد امكانية دراسة الترجمة من منطلقات أخرى غير الأسس اللغوية، فان كتابه أثار ثائرة أنصار النظرة الى الترجمة كفن أدبى قوامه الابداع . وتركز نقدهم للتناول اللغوى لقضايا الترجمة على استحالة وجود مقابلات متطابقة ثابتة بين اللغات ولا سيما فى حالة ترجمة النصوص الأدبية ، كما أن النظرية اللغوية فى معالجة الترجمة من شأنها أن تؤدى الى حرفية الأداء . ويفند أندريه فيودرف هذه الانتقادات فى الطبعة الثانية من كتابه(١) موضحا أن الترجمة ظاهرة معقدة متعددة الجوانب قابلة للدراسة من وجهات نظر مختلفة . ويؤكد فيودرف أن الدراسات اللغوية لا يمكن لها أن تقر بوجود مقابلات متطابقة ثابتة بين اللغات على أساس من التجريد

---

(١) أندريه ف.فيودرف : مقدمة فى نظرية الترجمة . دار « الأدبيات باللغات الأجنبية » للنشر موسكو ١٩٥٣ . باللغة الروسية .

(٢) المرجع السابق ص ١٤ .

(٣) أندريه ف.فيودرف : مقدمة فى نظرية الترجمة . دار « الأدبيات باللغات الأجنبية » للنشر . الطبعة الثانية موسكو ١٩٥٨ . باللغة الروسية .

ودون الانطلاق من واقع النص فى اللغتين المنقول منها والمنقول اليها — باستثناء المصطلحات والمسميات الجغرافية وما الى ذلك . وعلى هذا فان أهداف الدراسة النظرية للترجمة على أسس لغوية « تنحصر فى الكشف عن المقابلات المتطابقة الأكثر تعقدا وتشابكا ومطاطية ، وتعميم الملاحظات فيما يتعلق بأكثر الظواهر تنوعا فى الترجمة » (١) . ثم يتطرق فيودرف الى مقولة الحرفية فى الترجمة نتيجة الالتزام بالمنهج اللغوى فى التنظير ، فيرفض هذه المقولة مؤكدا أن « الاهتمام بالشكل للعمل الأدبى لا يتساوى فى حد ذاته بالشكلية والحرفية ، لأن المدخل اللغوى المتعمق فى معالجة وسائل التعبير فى لغتين مختلفتين هو وحده الكفيل بضمان خلو الترجمة من الأخطاء الحرفية المحتملة الحدوث بسهولة أثناء التطبيق نتيجة عدم التمكن نظريا بما فيه الكفاية فى مجال اللغة » (٢) . ويعود فيودرف للتأكيد من جديد على أهمية دراسة الترجمة على أسس لغوية . فاللغة هى الأداة الرئيسية فى اخراج الترجمة . والترجمة تختلف عن العمل الأدبى الذى يتطلب من الأديب البحث عن الفكرة والموضوع والبطل والبناء وغير ذلك من مكونات أدبية ، أما الوضع فى الترجمة ، فان « اللغة هى المجال الرئيسى الوحيد الذى يتجلى فيه ابداع المترجم فى نقله لفكر الكاتب والتعبير عنه . ان الصور الفنية التى يتضمنها الأصل قد تم التعبير عنها بوسائل لغوية معينة ، ومن غير الممكن نقلها أو « اعادة التعبير عنها » الا بوسائل لغوية معينة فى اللغة الأخرى (وان كانت هذه الوسائل فى كثير من الأحيان بعيدة عن تلك من الناحية الشكلية) . ومن هنا فان الأساس اللغوى العميق ، ومعرفة الضوابط الموجودة فى العلاقات بين لغتين محددتين — أمر ضرورى لا بالنسبة لتطبيق الترجمة فحسب ، بل ولنظريتها على وجه الخصوص » (١) . ويخلص فيودرف الى أن عملية الترجمة هى التعبير بوسائل لغة ما تعبيرا دقيقا وكاملا عما تم التعبير عنه بوسائل لغة أخرى مع مراعاة وحدة المضمون والشكل . أما نظرية الترجمة فتختلف عن النظرة الى الترجمة كفن ابداعى ، اذ أنها تعتبر علما قائما بذاته . ويستهدف هذا العلم الكشف عن الضوابط فى العلاقات بين الأصل والترجمة . وتعميم الاستنتاجات التى يمكن استخلاصها من دراسة بعض حالات الترجمة فى ضوء البيانات العلمية ، هذا الى جانب مساعدة التطبيق العملى للترجمة بحيث يمكن الاسترشاد بنظرية الترجمة فى ايجاد

---

(١) المرجع السابق ص ٥ .

(٢) المرجع السابق ص ٥ .

(٣) المرجع السابق ص ٦ .

سبل التعبير الضرورية والاستفادة منها فى استقاء الدلائل والبراهين التى يمكن أن تسهم فى حل مشاكل الترجمة (١) .

كانت دعوة أندريه فيودرف الى دراسة الترجمة كظاهرة لها كيانها الخاص مع ضرورة استقلاليتها كعلم قائم بذاته بداية تطور علم الترجمة بنظرياته المعاصرة . وبدأت النظرة الى الترجمة تأخذ شكلا آخر عما سبق ، بحيث أصبحت الترجمة موضوعا للدراسة كنشاط له جوهره الخاص به،وجوانبه وأنواعه المتعددة،الأمر الذى جعل الدراسات الترجمية تهتم بتحليل كل نوع من أنواع الترجمة دون اللجوء الى المنطق المطلق فى دراسة كل نوع ، بل تعتمد على العلاقات والتأثيرات المتبادلة بين مختلف أنواع الترجمة بهدف التعميم والخروج بنظرية عامة للترجمة . ومع تنوع الدراسات اللغوية اختلفت المناهج التى تقوم عليها دراسة الترجمة. فجورج مونين يعتمد فى « المشاكل النظرية للترجمة » (٢) على الدراسات المتعلقة بظاهرة الامتزاج بين اللغات والذى يحدث عادة حين يستخدم شخص واحد لغتين مختلفتين (أو أكثر) فى آن واحد ، أو ما يسمى بازدواجية اللغة . ومن الملاحظ فى مثل هذه الأحوال حدوث تداخل بين العناصر اللغوية فى استخدام الشخص للغتين تأثرا بهذه اللغة أو تلك . ويعتبر الشخص المزدوج اللغة موضع الامتزاج بين اللغتين (٣) . وانطلاقا من هذا يرى جورج مونين فى الترجمة نوعا من أنواع ظاهرة الامتزاج بين اللغات ، ذلك لأن المترجم شخصية مزدوجة اللغة ، وبالتالى فانه موضع امتزاج لغتين (أو اكثر) مع مراعاة النوعية الخاصة لاستخدامه للغتين ، وهى النوعية النابعة من عملية الترجمة . كما أنه من الممكن اكتشاف ظاهرة التداخل interferrence الناتجة عن الامتزاج بين اللغتين اللتين يتعامل بهما وما يتبع ذلك من تأثره بهذه اللغة أو تلك — من خلال الأخطاء او عدم دقة الأداء أو من خلال التجسيد اللغوى والذى يتضح منه الميل نحو استخدام الألفاظ الأجنبية المحدثة او الاقتباس أو اغفال بعض الألفاظ أو التعبيرات فى الترجمة . ويرى جورج مونين أنه اذا كانت

---

(١) أنظر المرجع السابق ص ١٤ — ١٥ .

(٢) أنظر :
G. Mounin, Les problems theorique de la traduction. Paris. 1963.

(٣) انظر فى هذا الموضوع :
U. Weinreich. Languages in contact New York. 1953.

الدراسات اللغوية تعترف بوجود الترجمة كنشاط الا أن الترجمة كعملية لغوية وكحقيقة لغوية لم تلق حظا وافرا من الدراسة على أسس لغوية ولذا فان علم اللغة المعاصر سواء البنائى او الوظيفى ينبغى أن يقدم للمترجم طرق حل مشاكل الترجمة من خلال وضع نظرية فى الترجمة تقوم على أقل الانجازات جدلا فى الدراسات اللغوية المعاصرة (١) . ويسعى جورج مونين بعد ذلك الى تطبيق نظرية المعنى اللغوية على قضايا الترجمة الرئيسية مع التركيز على العناصر المشتركة بين اللغات وتاثير الملامح الخاصة بكل لغة فى رؤية أبناء اللغة للواقع المحيط .

وكان رومان ياكبسون من أوائل المهتمين بارتباط قضايا الترجمة بالدراسات اللغوية (٢) . فالترجمة — كما يرى ياكبسون — ما هى الا عملية نقل لرموز ورسائل كلامية من لغة الى أخرى ، ولذا فانها ترتبط ارتباطا وثيقا بالدراسات اللغوية . ويقسم رومان ياكبسون الرموز الى رموز لفظية verbal ورموز غير لفظية non verbal (الاشارات والحركات الدلالية على سبيل المثال) . ولكل رمز من هذه الرموز معنى ملازم له ، اذ أن الرمز ومعناه يدخلان فى علاقة تبادلية ، فما من رمز دون معنى ، وما من معنى خارج الاطار المجسد له ماديا فى شكل رمز من الرموز . والمعنى — من وجهة نظر ياكبسون ليس سوى ترجمة للرمز برمز آخر . ويحدد ياكبسون ثلاثة طرق لترجمة الرمز :

١ — الترجمة فى اطار اللغة الواحدة Intralingual translation أو اعادة التسمية — وهى عبارة عن تأويل interpretation للرموز اللفظية بواسطة رموز أخرى من اللغة ذاتها .

---

(١) انظر كتاب جورج مونين المذكور ص ٣ — ٩ ، وترجمة هذه الصفحات الروسية المنشورة فى كتاب « قضايا نظرية الترجمة فى الدراسات اللغوية الأجنبية » . دار « العلاقات الدولية » للنشر موسكو ١٩٧٨ ص ٣٦ — ٤١ .

(٢) R. Jacobson. On Linguistic Aspects of Translation In R.A. Brower (ed.) On Translation. Cambridge, Mass : Harvard University Press 1959 p.p. 232 — 239.

٢ — الترجمة بين اللغات Interlingual translation أو الترجمة بمعناها الحقيقى — وهى عبارة عن تأويل للرموز اللفظية بواسطة لغة مغايرة .

٣ — الترجمة بين الدلالات Intersemiotic translation أو التحويل — وهى عبارة عن تأويل للرموز اللفظية بواسطة رموز نظام غير لفظى الرموز » (٢) .

ثم يتناول ياكبسون قضية محورية من قضايا الترجمة هى قضية التطابق . والتطابق على مستوى الترجمة فى اطار اللغة الواحدة يتم من خلال الترادف أو التفسير اللفظى للرمز . اما فى حالة الترجمة بين اللغات ، فلا يوجد تطابق تام بين الرموز فى لغتين ، ذلك لأن كل وحدة من وحدات اللغة قد تشتمل على مجموعة من الايحاءات والظلال المعنوية قد لا توجد فى الوحدة المقابلة لها فى اللغة الأخرى . ولهذا فان الرسالة الكلامية هى وحدها الكفيلة بتحقيق التطابق فى الترجمة . فعملية الترجمة من لغة الى اخرى لا تعنى احلال رمز بدلا من رمز آخر ، بل هى احلال لرسالة كلامية بدلا من رسالة كلامية اخرى . ومن الممكن القول على هذا النحو انها عبارة عن حدث كلامى غير مباشر ، حيث يقوم المترجم باستيعاب الرسالة التى يتلقاها من المرسل ، ثم يعيد تشفيرها برموز لغته وينقلها الى المتلقى بعد ذلك . ومن هذا المنطلق فان الترجمة نشاط قوامه عملية الاتصال بين لغتين ، ومن هنا ضرورة خضوع الترجمة للتحليل على أسس لغوية . وتتأكد هذه الضرورة — كما يقول رومان ياكبسون — بجوهر وخصائص ظاهرة التطابق ، اذ أن التطابق مع وجود فوارق بين الرموز فى اللغات يعتبر قضية أساسية من قضايا اللغة .

ولقد تنوعت أوجه الدراسات اللغوية وشملت العديد من عناصر عملية الترجمة ومذاهب أدائها ، وقضايا المعنى والمكونات اللغوية والحضارية فى وسائل التعبير المختلفة ، والتطابق بين الوسائل اللغوية . وبتنوع الدراسات اللغوية تنوعت مناهج البحث فى الترجمة . فنرى يوجين

---

(٢) Susan Bassnett-McGuire. Translation Studies. Methuen. London-New York. 1980, p. 14.

نايدا (١) يعتمد فى نظريته للترجمة على انجــازات العلــوم اللغويــة والانثربولوجيا وعلم النفس ، ويحدد العلاقة بين النص الأصلى وترجمته من خلال نظريات المعنى والاتصال communication والعلاقات الاجتماعية بين الفئات . ففى اطار نظرية الاتصال يرى يوجين نايدا فى الترجمة عملية لغوية تعتمد على فك رموز decoding النص الأصلى واعادة تشفيرها recoding برموز لغة الترجمة . فالمترجم يتلقى الرسالة ويقوم بتحليل مكوناتها الأساسية ثم ينقلهــا الى لغــة الترجمة من خلال عملية اعادة بنائها فى لغة الترجمة لتتطابق مع النص الأصلى . غير أن للتطابق أحكاما عامة نابعة من طبيعة اللغات . فلا يمكن القول بوجود لغتين متطابقتين سواء من حيث المعنى الذى تجسده الرموز أو من حيث أصول وقواعد تنظيم هذه الرموز فى سلاسل كلامية . ويضيف يوجين نايدا الى أحكام التطابق العامة هذه عناصر جديدة ترتبط بخصائص الأداء فى الترجمة هى : طبيعة الرسالة ، قصد مؤلف الرسالة ومن ثم قصد المترجم ، نوعية متلقى الرسالة . وتلعب هذه العناصر دورا كبيرا فى تحديد نوع الترجمة وما يقتضيه ذلك من ضرورة الاختيــار الســليم للمقابلات المتطابقة أثناء الترجمة . فالرسائل الكلامية تختلف بعضها عن بعض وفق درجة ظهور الشكل أو المضمون فى النص . واذا كان من غير الممكن الفصل بين الشكل والمضمون ، الا أن المضمون فى بعض النصوص يبرز كهدف أساسى للنص ، وفى البعض الآخر نجد التركيز على الشــكل واضحا الى حد بعيد (كما هو الحال بالنسبة لعنصر الشكل فى الشعر) . أما فيما يتعلق بالقصد ، فمن المفروض أن يتفق قصد المترجم وقصد مؤلف الرسالة ، أو على الأقل الا يختلفا . وقد يكون القصد نقل معلومات عن المضمون والشكل ، وقد يكون الاعلام مع خلق تأثير انفعالى لدى القارىء أو السامع ، وقد يكون القصد اثارة نوع من السلوك لدى القارىء أو السامع ، الأمر الذى يدعو المترجم الى استخدام الأدوات الكفيلة بتحقيق الغرض من الاتصال . ثم يتطرق يوجين نايدا الى العنصر المكمل لعمليــة الاتصال من خلال الترجمة ، فيشير الى اختلاف نوعية المتلقى من حيث القدرة على الفهم وامكانية الاهتمام بالرسالة . ويقسم يوجين نايدا القدرة على الفهم الى أربعة مستويات هى :

---

(١) أنظر :

Eugene Nida. Toward a Science of Translating. Leiden : E.J. Brill, 1964.

وترجمته العربية : نحو علم للترجمة . ترجمة ماجــد النجــار . مطبوعات وزارة الاعلام . الجمهورية العربية ١٩٧٦ .

١ — قدرة الأطفال المحدودى الحصيلة اللغوية والخبرة الثقافية
٢ — قدرة الملمين بالقراءة والكتابة بقدر محدود ويستطيعون فهم الرسائل الشفوية ولا يستطيعون فهم الرسائل التحريرية .

٣ — قدرة الشخص البالغ من ذوى المستوى المتوسط من العلم والذى يستطيع فهم الرسائل الشفوية والتحريرية بسهولة نسبية .

٤ — قدرة رفيعة المستوى من الفهم يتمتع بها المتخصصون حين يستوعبون الرسائل فى مجالات تخصصاتهم .

وتؤثر هذه المستويات فى نوع الترجمة ، اذ أن الترجمة للاطفال تختلف عن تلك التى تؤدى للمتخصصين أو للملمين بالقراءة والكتابة . ومن ناحية أخرى تختلف نوعية المتلقى من حيث درجة الاهتمام . فالترجمة المخصصة للقراءة المسلية تختلف عن تلك التى تخصص لمن يريد معرفة كيفية تجميع جهاز معقد . كما أن ترجمة الأساطير الافريقية لمن يريد الاستزادة من المعارف على سبيل المثال ، تختلف عن تلك التى تستهدف تلبية احتياجات علماء اللغة الذين ينصب اهتمامهم أساسا على التراكيب اللغوية (١) .

لم تكن الاستفادة قاصرة على نظرية المعنى أو الاتصال فى تناول جوانب عملية الترجمة . فقد انتهج ايساك رفزين وفيكتر روزنسفيج نهجا بنائيا توليديا فى معالجتهما للترجمة . (٢) فالترجمة من وجهة نظرهما — هى عملية انتقال من نظام للرموز الى نظام آخر الأمر الذى يقضى بدراستها فى أطر بنائية على أسس علم الرموز الدلالية semeotics . فموضوع « نظرية الترجمة قريب من موضوع التحليل البنائى للغة بصفة عامة ، ذلك لأن التحليل البنائى يستهدف دراسة قواعد أو قوانين تنظيم المادة الكلامية من خلال نظام اللغة » (٣) . ودراسة الترجمة من هذا المنطلق هى وحدها الكفيلة بضمان الحيدة والموضوعية ، لأن النهج

---

(١) انظر الفصل الثامن من كتاب يوجين نايدا .
(٢) ايساك أ . رفزين ، فيكتر يو . روزنسفيج . أسس الترجمة العامة والترجمة الآلية . دار « المدرسة العليا » للنشر . موسكو ١٩٦٤ باللغة الروسية .
(٣) المرجع السابق ص ٢٢ .

البنائى فى اللغة لا يهتم الا بالقوانين الطبيعية فى تنظيم اللغة بغض النظر عن نوعية هذه اللغة ، وبغض النظر عما اذا كانت هذه اللغة ثرية أو فقيرة ، اذ أن هدف النظرية البنائية هو تحليل جوهر عملية الاتصال اللغوى فى أكثر أشكالها عمومية . وعلى هذا فان نظرية الترجمة تستهدف وصف كل مراحل الأداء فى عملية الترجمة ، وايجاد القوانين والضوابط المنظمة لهذه العملية بوصفها عملية طبيعية كامنة فى طبيعـــة التعامل الكلامى بغض النظـــر عن اشتراك البشر أو الماكينات فيها ، وبغض النظر عن نوعية النصوص . واذا كان فرد يناند دى سا سيور قد نادى بضرورة التمييز بوضوح بين الحقائق المرتبطة بالتنظيم الداخلى للغة وكل ما يتعلق بمبنى اللغة وبـــين الحقائق اللغوية الخارجية والمتعلقة بالصلة بين اللغة والمجتمع ، وبين اللغة وتاريخ الشعب ، وبين اللغة والحضارة ، فان نظرية الترجمة فى مدخلها البنـــائى ينبغى أن تشتمل على هذين الجانبين ، فلا تفصل بين الظواهر اللغويـــة الداخلية والخارجية . ومن ناحية أخرى فان نظرية الترجمة — كما يرى مؤلفا الكتاب — تتضمن نوعين من أنواع الترجمة الثلاثة التى أوجزها رومان ياكبسون ، حيث يؤكد المؤلفان هذا بقولهما « ان موضوع نظرية الترجمة فى كتابنا هذا هو عملية الترجمة بين اللغات والمرتبطة ارتباطا وثيقا بالترجمة فى اطار اللغة الواحدة » (١) ، ذلك لأن المترجم يلجأ أثنـــاء الترجمـــة الى عمليات تحويلية transfomational فى اطار لغته وعلى مختلف المستويات اللغوية بغية الوصول الى التطابـــق التام بين مكونات النص الأصلى والنص الترجمة .

وينظر جون كا تفورد (٢) نظـــرة خاصـــة الى الترجمـــة . فنظرية الترجمـــة فى رأى كا تفورد تدرس نوعا معينـــا من العـــلاقات بين اللغـــات ، وبالتالى يمكن اعتبـــارها فرعا من فروع الدراســـات اللغوية المقارنة . وتتلخص عمليـــة الترجمة فى احلال مادة نص بلغة ما بدلا من مادة نص بلغـــة أخرى على أســـاس التطابق . والنص هو المقطع الكلامى ســـواء كان تحريريا أو شـــفويا . وتبعا للظروف قد يكون النص مكتبـــة كاملة ، أو مجلدا ، أو بابا فى كتـــاب ، أو فقرة أو جملة وما الى ذلك . ومن ناحيـــة أخرى قد يكون النص مقطعا لا يتطابق من حيث الشـــكل مع النص الادبى أو وحدات اللغة . والقضـــية المحورية فى التطبيق الترجمى هى ايجاد التطابق بين مكونات

---

(١) المرجع السابق ص ٢٨

(٢) انظر

J. Catford. A linguistic Theory of Translation. London 1964 p.p. 20 — 42.

النص المنقول منه والنص المنقول اليه ، ولذا فان الهدف الرئيسى لنظرية الترجمة هو وصف طبيعة التطابقات الترجمية وشروط تحقيقها .

ويقسم جون كاتفورد الترجمة الى أنواع من حيث الحجم والمستوى والمرتبة rank فمن حيث الحجم يمكن أن تكون الترجمة ترجمة كاملة . full translation حين يخضع النص بكامله لعملية الترجمة ، وترجمة جزئية partial translation حين يبقى جزء (أو عدة أجزاء) من النص دون ترجمة ، اما لانه غير قابل للترجمة واما لانه متعلق بوصف خصائص الواقع المحلى . ومن حيث المستوى يمكن أن تكون الترجمة شاملة أو محدودة total and restricted transfation والترجمة الشاملة هى ترجمة لكل مستويات النص : المستوى الصوتى ، النحوى الصرفى ، اللفظى المعنوى . أما الترجمة المحدودة فهى الترجمة التى تتم خلالها عملية احلال مادة نص الترجمة بدلا من مادة النص الاصلى على مستوى واحد من مستويات اللغة . ومثال ذلك الترجمة على المستوى الصوتى والتى تستخدم لخدمة أغراض خاصة منها التمثيل ، على سبيل المثال ، وكذلك الحال بالنسبة للترجمة على مستوى حروف الكتابة لخدمة أهداف مطبعية خاصة . أما الترجمة على مستوى النحو والصرف ومستوى الالفاظ فتتم باحلال وحدات مماثلة لوحدات هذين المستويين فى نص الترجمة ، وان كان من المتعذر القيام بمثل هذه الترجمة نتيجة الصلة الوثيقة المتبادلة بين مكونات الصيغ النحوية ومكونات الالفاظ ، فما من لفظ يخلو من المؤشرات الصيغية ، كما أن العناصر الصيغية لا يمكن لها أن توجد الا من خلال التجسيد اللفظى . ثم تأتى الترجمة فى اطار المرتبة ، وهى الترجمة داخل السلم المتدرج hierarchy للمستويات اللغوية على أساس التطابق وبحيث يكون مبنيا على المقابلات الصوتية أو النحوية أو اللفظية الى آخره . غير أن المرتبة التى يستهدفها التطابق قد تختلف وتتبدل فى النص الواحد : ففى موضع من المواضع نجد التطابق يتم بين الجمل ، وفى موضع آخر قد يكون بين التراكيب اللفظية وبين الالفاظ ، ناهيك عن التطابقات المختلطة الاشكال . وقد يكون اختيار التطابقات فى الترجمة الشاملة محدودا بمرتبة واحدة من مراتب السلم المتدرج اللغوى . وفى هذه الحالة تصبح الترجمة ترجمة مقيدة المرتبة rank-bound translation وفى مقابل ذلك قد تفرض عملية البحث عن التطابقات ضرورة الانتقال من مستوى الى آخر ، وفى هذه الحالة تصبح الترجمة غير مقيدة unbounded translation

وتتفق هذه التقسيمات — كما يقول جون كاتفورد — مع التقسيم التقليدى للترجمة الى ترجمة حرة ، وترجمة كلمة كلمة ، وترجمة حرفية . فالترجمة الحرة غير مقيدة دائما ، حيث تكون التطابقات فيها من مختلف المراتب ، أما الترجمة كلمة كلمة ، فهى الترجمة التى تتقيد بمرتبة الالفاظ . والترجمة الحرفية هى ترجمة وسط بين هذين النوعين ، فانها ترجمة كلمة كلمة ، ولكنها تحتوى على بعض التغيرات وفقا لمتطلبات التكيف مع لغة الترجمة . ويوضح جون كاتفور هذا على مثال ترجمة أحد التعابير الانجليزية الى اللغة الفرنسية :

It's raining cats and dogs

ترجمة كلمة كلمة	Il est pleuvant chats et chiers
ترجمة حرفية	Il pleut des chats et des chiens
ترجمة حرة	Il pleut a verse

والفرق بين الترجمة كلمة كلمة و الترجمة الحرفية هنا هو أن الاخيرة ترجمة على مستوى الالفاظ مع بعض من اعادة الصياغة فى البناء ، أما الترجمة الحرة فقد اقتضت ضرورة تغيير البناء التركيبى واعادة تكوين لفظى بغية التكيف مع أصول التعبير فى اللغة الفرنسية . وهذه الترجمة الحرة — كما يرى جون كاتفورد — هى التى يمكن أن تعتبر البديل المطابق للتعبير من حيث مقام الإستخدام فى لغته الاصلية .

وتطرقت دراسة الترجمة الى انجازات علم النفس اللغوى (١) . فالترجمة فى اطار مفاهيم هذا العلم عبارة عن نشاط كلامى ذهنى ، وعلى هذا فان نظرية الترجمة تستهدف الكشف عن جوهر العملية الابداعية فى الترجمة ، أى الكشف عن الضوابط التى تحكم فكر المترجم أثناء انتقاله من شكل النص الاصلى المراد نقله الى مضمونه ، ثم الانتقال من هذا المضمون الى مضمون وشكل الترجمة . والاسس التى تقوم عليها دراسة الترجمة كنشاط كلامى ذهنى فى اطار منهج علم النفس اللغوى هى :

---

(١) يورى ج . كوزمين . الترجمة كنشاط كلامى ذهنى . سلسلة « مفكرة المترجم » ، العدد ١٢ ، دار « العلاقات الدولية » للنشر موسكو ١٩٧٥ ص ٣ — ١٩ باللغة الروسية .

أولا : العلاقة المتبادلة بين الشكل والمضمون ، وبين اللغة والفكر . فالتجسيد الصوتى لرمز من رموز اللغة يرتبط بمضمون أو بعدة مضامين فى وحدة تبادلية . وهذه الوحدة ليست سوى حقيقة من حقائق النص الكلامى الذى يعتبر بدوره نتيجة من نتائج الفكر .
ثانيا : العلاقة بين الرموز فى لغتين من اللغات عبارة عن علاقة متبادلة بين بنيات structurs كامنة فى الذهن .فالرموز توجد فى الذهن على شكل وجدات معنوية قابلة للتحويل الى رموز اللغة الصوتية أثناء الحدث الكلامى ، مما يتيح امكانية الكشف عن ضوابط عملية التجويل هذه ، مع الاخذ فى الاعتبار أن هذه الضوابط تحمل صفة العموم بالنسبة للغات دون اختلاف لانها تحكم النماذج الكلامية للغة الذهنية .

وعملية الترجمة كنشاط كلامى ذهنى هى عملية تحويل مكونات الواقع الكامنة فى الذهن الى نماذج كلامية باستخدام وسائل اللغة . والواقع — أو مجموعة المعارف الخاصة بالواقع والمختزنة فى الخلايا العصبية للمخ على شكل علامات — يشكل نظام المادة — المصدر بالنسبة للغة ، أما اللغة — أو نظام الاصوات وتركيباتها الموجودة فى الخلايا العصبية للمخ — فتشكل نظام وسائل النمذجة بالنسبة للواقع . وينطبق على الترجمة ما يحدث أثناء الحدث الكلامى . اذ أن الادراك الحسى أو أى باعث آخر يؤثر فى علامات المادة — المصدر ويبعث على وجود موقف situation أى مجموعة من العلامات التبادلية العلاقات تشكل المعرفة بالمفهوم أو الموقف المفهومى . ويرتبط جزء من هذه العلامات بمجموعات أساسية خاصة بهذه اللغة هى وحدات المستوى المعنوى اللغوى monemes والتى تعتبر نماذج تجسيد المفاهيم . وتترابط هذه الوحدات فى مواقف معنوية لغوية هى نماذج الاقوال . ومن الممكن أن تدخل على وحدات المستوى المعنوى اللغوى علامات تستهدف توصيفها ، أما الرابطة بين وحدات المواقف المعنوية اللغوية (نماذج الأقوال) فانها وظيفة وحدات العلاقات (وهى مجموعة وحدات العلاقات التبادلية التى تجسد المضامين الصيغية فى وحدات شكلية — نحوية صرفية) . وترتبط علامات الوحدات المعنوية اللغوية بمجموعة كبيرة من علامات الموقف فتوجد بذلك النص ، والذى يثير موقفا مماثلا فى ذهن متلقى الحدث الكلامى فى حالة الاتصال .

هذا العرض المقتضب لاهم الاتجاهات اللغوية فى دراسة الترجمة يبين المدى الذى وصلت اليه هذه الدراسة فى اطار الاسس اللغوية . وما من شك أن دراسة الترجمة قد أصبحت الآن كيانا علميا

مستقلا بذاته يخدم بفكره النظرى النشاط التطبيقى للمترجمين ، ويشكل أسس الاعداد العلمى لهم فى المؤسسات التعليمية . ولقد دخلت الدراسات اللغوية بظاهرة الترجمة الى حيز تحليل وتعميم الاستنتاجات المستخلصة من واقع الممارسة العلمية ، وأسهمت معها فى وضع ضوابط العلاقات المتبادلة بين اللغات ، وفى الكشف عن عناصر الاختلاف والتطابق بين سبل التعبير فى اللغات المختلفة . كما امتد تأثير الدراسات اللغوية الى تحديد نوعيات الترجمة وأهدافها فى ضوء تنوع عملية الاتصال اللغوى والامكانات الوظيفية للغات . ولقد تفاعلت الترجمة مع علوم اللغة المختلفة ، فنراها ترتبط بعلم اللغة العام ، وبعلوم الالفاظ ، والمعانى ، والنحو والصرف ، والاسلوب ، وعلمى الاجتماع والنفس اللغويين . ومن ناحية اخرى باتت الترجمة مصدرا هاما من مصادر الدراسات اللغوية فى مجال الدراسات المقارنة ، وازدواجية اللغة ، وطرق تدريس اللغات .

الباب الثاني

علم الترجمة

ومباحثه

الهدف الرئيسى لعلم من العلوم هو معرفة خصائص ظواهر الواقع والوقوف على ضوابطها والعلاقات الداخلية المتبادلة بين مكوناتها وارتباطها بغيرها من الظواهر . ومن غير الممكن أن تكون عملية المعرفة هذه عملية عفوية الطابع لا سيما فى ظل ظروف التطور العلمى المعاصر ، بل ينبغى أن تكون خاضعة لمنهج من المناهج ، أو بمعنى آخر ، يجب أن تكون عملية المعرفة هذه منظمة تنظيما منهجيا . ويرجع ذلك الى سببين رئيسيين : الاول هو - قد لا تكون خصائص الظاهرة وضوابطها فى حيز الملاحظة المباشرة الامر الذى يتطلب مدخلا محددا لدراستها ، أو مجموعة من طرق البحث من شأنها الكشف عن هذه الخصائص . والسبب الثانى هو مدى أهمية المنهج فى تنظيم وتوجيه العمل العلمى مما يجنب الباحث احتمال الخروج عن اطار الموضوع الجارى دراسته . ومن ناحية أخرى ، من الضرورى أن يكون المنهج مبنيا على أساس نظرى ليصبح أداة فعالة للمعرفة العلمية ، وعلى أن يكون هذا الاساس النظرى نتاج منطلقات موضوعية واقعية .

كل هذا أدى الى نشأة علم الترجمة بتعدد نظرياته ومناهج بحثه . فالترجمة ظاهرة متعددة الجوانب لها طبيعتها وخصائصها ووظائفها ، وبالتالى فانها تخضع للتحليل والملاحظة فى اطار منهج موضوعى دون ما تدخل من الباحث بفرض عقيدته أو مشاعره للخروج باستنتاجات تحمل الطابع الذاتى . وموضوع علم الترجمة ليس دراسة نوعية معينة من نوعيات الترجمة مثل الترجمة الادبية أو الاعلامية أو العلمية وما الى ذلك ، بل يتناول هذا العلم الترجمة كظاهرة عامة لها جوهرها وقوانينها وضوابطها .

ولكن هل علم الترجمة علم توصيفى أم علم معيارى ينحصر هدفه فى وضع نماذج ومعايير وقواعد للترجمة ؟ أن أساس علم الترجمة هو التوصيف بمعنى وصف ودراسة الضوابط المصاحبة لعملية الانتقال من لغة الاصل الى لغة الترجمة وذلك من خلال التحليل والملاحظة . غير أن هذا لا يعنى عدم وجود عناصر معيارية فى علم الترجمة ، اذ أن ارتباط فكرة النظرى بواقعه التطبيقى يقضى بوضع قواعد

وتوصيات تستهدف الوصول الى الحد الادنى من عدم التطابق الناتج عن عملية التحويل بين اللغات أثناء الترجمة . وليس المقصود بعملية التحويل هنا النشاط السيكلوجى الذهنى الذى يجرى فى رأس المترجم (الامر البالغ الاهمية بالنسبة لنظرية الترجمة الشفوية) ، بل المقصود هو عملية الانتقال من نظام من الرموز (اللغة المنقول منها) الى نظام آخر من الرموز أيضا (اللغة المنقولة اليها) . فالمترجم يتعامل مع النص (أ) المكتوب باللغة (أ) ويقوم باستخدام تحويلات ترجمية ليوجد بذلك النص (ب) المكتوب باللغة (ب) وبحيث يرتبط هذا النص بعلاقات وضوابط محددة بالنص الاصلى (أ) . ويبحث علم الترجمة فى هذه العلاقات والضوابط المميزة بصفة العموم والدائمة التكرار فى عملية الترجمة . ونتيجة لتعقد عملية الترجمة وتعدد جوانبها كظاهرة يشتمل علم الترجمة على عدد كبير من المنطلقات النظرية ومناهج البحث كما سيتضح من خلال هذا الكتاب . الا أن نظريات الترجمة ترتبط بعضها ببعض بعلاقات متبادلة ذلك لانها توصف عملية وظاهرة واحدة ، كما أن كلا منها يتعرض لجانب من جوانب الترجمة .

وما من جدال أن اللغة هى الاداة الرئيسية للترجمة ، بل والاكثر من هذا يمكن القول بأن الترجمة نوع من أنواع السلوك اللغوى . وارتباط الترجمة باللغة ارتباط وثيق لاننا أثناء الترجمة نتعامل بادىء ذى بدء مع رموز لغوية وظيفتها الاساسية نقل المعلومات . ولنتوقف قليلا عند بعض المفاهيم اللغوية المستخدمة فى علم الترجمة .

اللغة وسيلة لنقل المعلومات :

تعتبر اللغة المرآة التى تعكس تجارب الانسانية وما حققته من انجازات فى معرفة الواقع على امتداد العصور . واللغة عبارة عن نظام محدد يتكون من رموز لها دلالات ومعان تقترن بالاشياء والاحداث والظواهر الموجودة فى الواقع . واللغة هى الأداة الضرورية للاتصال الاجتماعى والتفكير وتبادل الفكر . كما تستخدم اللغة للتعبير عن انفعالات الانسان سواء على مستوى اللفظ أو الصيغ النحوية أو التنغيم وما الى ذلك . فقد تشتمل الجملة الواحدة على العديد من انفعالات من ينطق بها فى موقف من المواقف . فاستخدام القسم أو التعجب أو ما الى ذلك على سبيل المثال — يستهدف التأثير الانفعالى فى السامع أو القارىء . ومن ناحية أخرى تؤدى اللغة وظيفة جمالية هدفها التأثير فى الاحساس الجمالى لدى الانسان ، الامر الذى نلمسه فى

العمل الادبى ولا سيما الشعر (١) غير أن أهم وظائف اللغة هى الاتصال بوصفها الاداة الرئيسية للتفاهم وتبادل الفكر بين الناس .

رغم تنوع وظائف اللغة ، فانها ، ومهما كانت الوظيفة التى تؤديها ، تتكون من وحدات ، وكل وحدة من هذه الوحدات تعتبر تجسيدا لجانبين : الجانب الاول هو الشكل المادى للوحدة اللغوية سواء كان أصواتا أو حروفا أصطلح عليها لتعبير عن هذه الاصوات . والجانب الثانى هو الجانب المضمونى ويشمل عناصر الفكر والاحاسيس والانفعالات والصور الادبية الفنية . واستخدام الشكل المادى لوحدة من وحدات اللغة يثير فى ذهن الانسان مضمونا فكريا أو انفعاليا أو جماليا . وهذه المضمون هو المعلومة التى تشكل أساس عملية النقل من لغة الى أخرى أثناء الترجمة . ومن هنا فان كل شكل مادى يعتبر رمزا لمضمون يعبر عنه . ومن ناحية أخرى فان المضمون وحده هو الذى يجعل من هذا الشكل المادى أو ذاك وحدة من وحدات اللغة المتعارف عليها بين أبناء اللغة الواحدة فالشكل المادى « وطن » ، على سبيل المثال ، لا يكتسب صفته كوحدة من وحدات اللغة العربية الا بوجود مضمون تعارف عليه أبناء العربية ، كما أن الشكل المادى « وطن » يعتبر رمزا لهذا المضمون .

واللغة على هذا النحو نظام من الرموز أو الوحدات المادية التى تعبر عن مضامين أو معلومات . ومن هذا المنطلق يمكن النظر الى أى نص من النصوص على أنه سلسلة من الرموز تتضمن قدرا من المعلومات . وتختلف اللغة كنظام للرموز عن النظم الاخرى التى أصطلح على أن تشكل الرموز قوامها . فاللغة نظام دائم التطور والتغير بتفاعله مع تطور المجتمع وما يعتريه من تغيرات . ومن ناحية أخرى فان نظام اللغة تشكل تاريخيا من خلال عملية الاتصال بين الناس . ولا يستطيع ابن اللغة تغيير العلاقات الداخلية القائمة بين وحداتها دون الاخلال بوظيفتها الرئيسية كوسيلة من أهم وسائل التفاهم بين أفراد المجتمع . أما نظم الرموز الاخرى فهى نظم ثابتة الشفرة أصطلح

---

(١) لمزيد من التفاصيل عن اللغة الانفعالية أنظر : محاضرات فى علم النفس اللغوى — د. حنفى بن عيسى . الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر (لم تذكر سنة الاصدار) ، علم النفس اللغوى . د. نوال عطية مكتبة الانجلو المصرية . القاهرة ١٩٧٥ .

عليها مسبقا مما يتيح امكانية توصيفها بالاتفـــاق بين مستخدميها . فاذا نظرنا على ســـبيل المثال ، الى اشـــارة المرور نجد أن « الضـــوء الاخضر » رمز للسماح بالسير و « الضـــوء الاصفر » يرمز الى الاستعداد أما للسير أو للتوقف ، و « الضـــوء الاحمر » رمز لوجوب التوقف . هذه الرموز متفق عليها مسبقا وترتبط ارتبـــاطا وثيقـــا بما تفيده من من معلومات تحمل صفة الثبات . أما وحدات اللغـــة فنستخلص منها المعلومات التى تشـــكل مضمونها أثناء عملية الاتصـــال والتفاهم بين الناس عن طريق ارجاعها الى الواقع فى كل موقف من المواقف ووفق مقتضيات الحال .

ويتكون نظام اللغة من مجموعة من المستويات أو المراتب التى ترتبط فيما بينها ارتباطا تبادليـــا . وهذه المستويات تشـــكل بنيـــة اللغة . وترتب الدراســـات اللغوية هذه المستويات فى سلم متدرج hierarchy من الابسط الى الاكثر تعقيدا . ومستويات اللغة هى :

أ — المستوى الصـــوتى ووحدته الفونيم . والفونيم هو أصغر وحدة من وحدات التعبير الصـــوتى فى اللغة . ويحوى كل فونيم مجموعة من الخصـــائص التى تجعله قادرا على التمييز بين لفظ وآخر أو بين مورفيم وآخر . « فالدال » العربيـــة ، على ســـبيل المثال ، وحدة صوتية لها خصائصها ، و « الذال » وحدة صـــوتية لها خصـــائصها كذلك ، وكل منهما فونيم يميز بين لفظ وآخر حين نقول « نفـــد » و « نفذ » . ووحدات المســـتوى الصوتى لا تعبر عن معنى ، ولكن دورها فى التمييز بين الالفـــاظ والمعـــانى فى اللغـــة دور بالغ الحيـــوية .

ب — المستوى المورفيمى ووحدته هى المورفيم . والمورفيم أصغر وحدة من وحدات التعبير فى اللغـــة تستخدم وفقا لمعـــايير اللغة وترتبط ارتباطا مباشرا بالعنصر المناسب لها من عناصر المضمون أو المعنى . وتنقسم المورفيمات الى نوعين حسب وظائفها فى اللغـــة يشمل النوع الاول المورفيمات التى توضح العلاقات القائمة فى مجـــال مكونات الكلمة من حيث البوادىء واللواحق والحشـــو وغير ذلك من عناصر اشتقاقية . فاذا نظرنا الى سلسلة الكلمات « كتب » ، « كاتب » ، « تكاتب » ، « استكتب » ، « كتابة » ، « مكتب » ، « مكتبة » — نجـــد أنها ترتبط فى الاصـــل بمادة « كتب » الا أن العناصر الصـــوتية المزيدة على الاصـــل تضفى معان جديدة وفق مقتضيات التكوين الاشتقاقى . اما

النوع الثانى من المورفيمات فيشمل العناصر الصوتية التى تبين الاسناد الى نوع من العلاقات القائمة فى مجال النحو : ومثال ذلك : « كتب ، يكتب ، أكتب » (علاقة الماضى ، المضارع ، الامر) ، « كاتب ، كاتبان ، كتاب » (علاقة العدد : مفرد ، مثنى ، جمع) ، « كاتب ، كاتبة » (علاقة النوع : مذكر ، مؤنث) والى غير ذلك من علاقات نحوية . وهذا النوع من المورفيمات يشكل قوام المستوى المورفولوجى كما سيأتى فيما بعد .

ج — المستوى اللفظى ووحدته هى الكلمة . والكلمة أصغر مكون من مكونات الجملة . وتتميز الكلمة أنها تدخل فى علاقة مباشرة مع مفهوم ذهنى يعكس جزءا من الواقع .

د — المستوى المورفولوجى ووحدته هى الكلمة فى السلسلة الكلامية — أى الكلمة مضافا اليها المورفيم الذى يحدد علاقة اسنادها الى مختلف أنواع العلاقات القائمة فى نظام النحو من حيث أقسام الكلام (اسم وفعل وحرف وما الى ذلك) ومن حيث النوع والعدد أو الحالة (فى اللغات التى تتغير فيها نهايات الالفاظ للتعبير عن مكونات السياق مثلما فى العربية — الرفع ، النصب ، الجر — والروسية على سبيل المثال) وغير ذلك من علاقات مورفولوجية وفق الخصائص المميزة لكل لغة من اللغات .

هـ — مستوى الاعراب syntactic ويتضمن هذا المستوى نوعين من الوحدات . النوع الاول هو التراكيب اللفظية — word combinations . والتركيب اللفظى عبارة عن تركيب من كلمتين أو أكثر يعبر عن مفهوم أو تصور ذهنى قابل للتجزئة كأن نقول ، على سبيل المثال ، « الشجرة المورقة » أو « التحليل اللغوى » — وهى تراكيب تخلو من سمات الجملة المفيدة . والنوع الثانى من وحدات مستوى الاعراب يشمل الجمل . والجملة هى وحدة كلامية متكاملة مكونة نحويا وتنغيميا وفق قوانين اللغة . وتعتبر الجملة الاداة الرئيسية للتفكير والتعبير عن الفكر مع بيان علاقة المتكلم بالواقع . وعلاقة المتكلم بالواقع هى التى تحدد نوع الجملة ، فتكون اخبارية أو انشائية (الامر والاستفهام وما الى ذلك) .

و — المستوى المعنوى . والمستوى المعنوى أكثر مستويات بنية اللغة تعقيدا وشمولا ، اذ أنه يشمل كل المستويات الاخرى عدا المستوى الصوتى ووحدة المستوى المعنوى هى السيميم sememe

(وسوف نستخدم مصطلح « وحدة معنوية » بدلا منه فى عرضنا لمادة الكتاب) والوحدة المعنوية هى أصغر وحدة من وحدات المضمون ترتبط بما يناسبها من عناصر التعبير فى نظام اللغة : أنظر الوحدات المعنوية التى يمكن استخلاصها من كلمة Load والمورفيمات المزيدة عليها حين نقول Loaded = التحميل + المفعولية ، Loader = التحميل + الفاعلية Loading التحميل + الحدث .

وعلى هذا النحو نجد أن وحدات المعنى تشكل قوام المعلومات التى تتضمنها وحدات اللغة فى السلسلة الكلامية . وتتميز هذه المعلومات بأنها تستخلص أثناء عملية الاتصال بين الناس ، كما أنها متعددة الجوانب وغير متجانسة نظرا لتعدد أسسها المعنوية . ولننظر ، على سبيل المثال ، فى النص التالى : « ويوما كان عند البقال فلمح فى آخر الطريق السيد لطفى الموظف بالسكرتارية يصحبه سمسار من سماسرة المساكن . سقط قلبه خوفا ، فمضى مسرعا الى عطفة جانبية ، ثم تسلل الى حجرته » (دنيا الله . نجيب محفوظ) هذا النص يتكون من وحدات ، كل منها يتميز باستقلاليته من حيث الشكل الصوتى المادى بمعنى تكوينه الفونيمى . الا أن كل وحدة من هذه الوحدات اللغوية تتضمن قدرا من المعلومات ارتباطا بالنص ككل من ناحية ، ونتيجة لتفاعل الوحدات المعنوية لغيرها من وحدات اللغة فى هذه السلسلة الكلامية من ناحية أخرى . وكل وحدة من الوحدات الواردة فى النص تعبر عن معلومة أساسية متمثلة فى دلالتها المتعارف عليها بقدر ما بها من وحدات معنوية . فصيغة «يوما» ، مثلا ، الى جانب معناها المتعارف عليه تتضمن معلومة مورفيمية تفيد الاسناد الى علاقة زمنية ، وصيغة « لمح » تتضمن وحدة معنوية اضافية ارتباطا بالمورفيم الذى يوضح علاقات « الحدث — الماضى — التذكير — الافراد » ، وهكذا بالنسبة للتحليل على مستوى المورفيم . ثم يأتى دور الكلمة فى تكوين التركيب اللفظى والجملة . وكل كلمة من الكلمات لها كيانها المستقل كرمز يعكس وحدة معنوية متكاملة ترتبط بمفهوم أو تصور من مفاهيم أو تصورات الواقع المتعارف عليه . والى جانب الوحدة المعنوية التى تجسدها الكلمة ، نجد أنها قد تحمل عناصر اضافة من المعلومات فى اطار النص هدفها التأثير فى القارىء أو السامع تأثيرا معينا ، ومثال ذلك التأثير الذى تحدثه كلمتا « لمح » (بالمقارنة «برأى» أو « شاهد ») و « تسلل » (بالمقارنة « برجع » أو « عاد ») . واذا انتقلنا الى التراكيب اللفظية ، يمكن استنباط نوعين منها فى النص المذكور . النوع الأول هو التركيب اللفظى الذى يعبر عن مفهوم متكامل قابل للتجزئة على أساس الاسناد للواقع ، ومثال ذلك « سمسار من سماسرة المساكن » . فرغم تعدد المكونات اللفظية لهذا التركيب الا أنه يعبر عن مفهوم واحد متكامل

يصور جزءا من الواقع مع تحديد المجال المهنى للسمسار تمييزا له عمن يقوم بمثل هذا العمل فى مجالات أخرى . والنوع الثانى من التراكيب اللفظية يتمثل فى « سقط قلبه » ، حيث من غير الممكن الاسناد الى الواقع فى مثل هــذه الأحوال لاعتماد مثل هذه التراكيب على الصور المجازية (عدم امكانية سقوط قلب الانسان فى الواقع) . كل هذه الوحدات بعلاقاتها المتداخلة والمتبادلة تشكل بنيان الجملة التى تعتبر الأداة الرئيسية للاتصال والتفاهم بين الناس . ومن ناحية أخرى فان الجملة هى الوحدة اللغوية الرئيسية التى يتحدد فى اطارها ما تحمله الوحدات الأخرى الأصغر من معلومات أو مضــامين . فمضمون كلمة « أتى » ، على سبيل المثال ، يشمل الامكانات المعنوية التالية: أتاه — جاءه ، أتى — قرب ودنا ، أتى عليه — مر به ، أتى عليه — أنفذه ، أتى عليه الدهر — أهلكه ، أتى الأمر — فعله ، الى آخر ذلك من معان . والجملة هى المجال الوحيد الذى يتحقق فيه كل معنى من هذه المعانى .

والى جانب مستويات بنية اللغة المذكورة يوجد مستويان خارج اطار السلم المتدرج هما مستوى اللحن والتنغيم والمستوى الاسلوبى . ومستوى اللحن والتنغيم intonational يتضمن مجموعة من العناصر (مثل النغم والايقاع ، والجرس وقوة الصوت والنبر المنطقى وما الى ذلك) التى تستخدم على مستوى الجملة للتعبير عن مختلف العلاقات الاعرابية والمضامين التعبيرية الانفعالية . فوسائل اللحن والتنغيم تلعب دورا أساسيا فى توضيح القصد من القول فى الجملــة ، بحيث يمكــن التمييز بين الجمل الاخبارية والانشائية على اختلاف انواعها (الاستفهام ، الأمر ، الطلب ، النهى ، التعجب وما الى ذلك) . أما المستوى الاسلوبى فيشمل وحدات كل مستويات السلم المتدرج ، عدا وحدات المستوى الفونيمى ، حيث يوصف هذه الوحدات وفق مختلف أساليب اللغة : انظر على سبيل المثال ، الخصائص الاسلوبية للمرادفات : امرأة فلان — زوجته — حرمه — عقيلته — قرينته (الجماعة — المدام وغير ذلك فى العامية المصرية) . وعناصر المستويين هذين تعتبر من مكونات المضمون فى النص كما سنبين حين نعرض لوحدات الترجمة.

ويرى البعض افراد مستوى خاص للتعابير الكنائية idioms وغيرها من تعابير ، فضلا عن الأمثال والأقوال السائرة على الألسن ، وبحيث يقع فى السلم المتدرج لبنية اللغة بين مستوى الاعراب والمستوى المعنوى ، ويطلقون عليه اسم مستوى التعابير الاصطلاحية Phraseological (١)

---

(١) أنظر : فلاديمير أرخانجلسكى . التعابير الثابتة فى اللغة الروسية الحديثة . أسس نظرية التعابير الثابتة وقضايا علم التعابــير الاصطلاحية العام . دار « جامعة رستوف » للنشر ١٩٦٤ ص ٩٤ — ١٠٠ . باللغة الروسية .

ويشتمل هذا المستوى على نوعين من الوحدات وفق شكل البنية والأداء الوظيفى فى اللغة مع التراكيب اللفظية ، الا أن مضمونها المعنوى يقوم على أسس مجازية ، ومثال ذلك : حرث فى بحر ، شمر عن ساعديه (فى العربية) To cut noice, To take the gloves off (فى الانجليزية)

أما النوع الثانى من وحدات مستوى التعابير الاصطلاحية فيضم الوحدات التى تتطابق من حيث شكل البنية والأداء الوظيفى مع الجملة (الأمثال والأقوال السائرة على الألسن) ومثال ذلك : معظم النار من مستصفر الشرر ، للضرورة أحكام (فى العربية) وفى الانجليزية A little neglect may breed great mischief, Necessity knows no laws.

وسوف نتناول وحدات هذا المستوى بالوصف والتحليل التفصيلى حين نتطرق الى الحديث عن وحدات الترجمة ذلك لأن التعابير والأمثال والأقوال لها من الخصائص ما يملى ضرورة معالجتها أثناء الترجمة معالجة خاصة .

ولقد تردد بكثرة فيما سبق مفهوم « الواقع » . والمقصود بالواقع هو نظرة أبناء اللغة الى العالم الخارجى المحيط بهم وتحليله تحليلا خاصا بهم من خلال ما اكتسبته الأجيال المتعاقبة من موروث التجربة والخبرة . وهذه النظرة وما يصاحبها من تحليل للعالم الخارجى وليدة الظروف التاريخية والحضارية للمجتمع ، وتتصف بصفة العموم مما يجعلها ظاهرة عامة واسعة الانتشار بين أبناء اللغة الواحدة . الا أن هذه النظرة تختلف باختلاف المجتمعات وعلى سبيل المثال ، لا يختلف أبناء العربية فى رؤيتهم وتحليلهم لساعات النهار ، فجسدوا نظرتهم الخاصة الى هذا الجزء من الواقع برموز لغوية عديدة منها : الصباح ، الابكار — الفترة من أول النهار الى طلوع الشمس ، الغداة — الفترة ما بين الفجر وطلوع الشمس ، ثم يرتبط تحليلهم لساعات النهار بعد ذلك بحركة الشمس فيقولون : الشروق ، الزوال ، الجنوح ، الهاجرة — نصف النهار عند اشتداد الحر ، الظهيرة — وقت زوال الشمس الرواح — اذا برد النهار وراح ، الغروب .. وهكذا . ويصعب أن نجد فى لغة من اللغات مثل هذا التحليل الزمنى لساعات النهار . ومن ناحية اخرى فان أبناء اللغات الأخرى يرون أجزاء من واقعهم ويحللونها بصورة مميزة ، قد لا نجد لها مثيلا فى العربية . فالخبز ، فى اللغة الروسية ، على سبيل المثال ، اسم جنس عام يطلق على انواع شتى من مصنوعات الدقيق المطحون المخبوز بالنار . وانواعه العامة هى الأبيض والرمادى والأسود . وتختلف نوعيات الخبز الأبيض ومسمياته وفق الحجم والشكل . ويتميز الخبز الأبيض عن الرمادى بنسبة نقاء الدقيق . فالخبز الرمادى يصنع من الدقيق المنخفض نسبة النقاء ، وله العديد كذلك من الأنواع والمسميات . أما الخبز الأسود فينتج من دقيق الجودار وله أشكال ومسميات عدة . وهذه المسميات النوعية لا مقابل لها فى اللغة العربية نتيجة الاختلاف فى البيئة

الحضارية . ولكن هذا لا يعنى عدم وجود اسم الجنس العام — نقصد « الخبز » — فى اللغة العربية وان كان له من الأنواع والمسميات عدد كبير كذلك ، كما ان وجودها مرتبط ارتباطا وثيقا بالواقع الحضارى العربى . ان اختلاف نظرة مختلف الشعوب الى موجودات الواقع فى تحليلهم له لا يغير شيئا فى طبيعة هذه الموجودات . فالخبز هو الخبز من حيث الطبيعة والوظيفة لدى مختلف الشعوب رغم اختلاف أشكاله ومسمياته النوعية . فالواقع الذى تعيشه شعوب الأرض جمعاء له سمات مشتركه لاتحدها حدود جغرافية ، الأمر الذى تؤكده العوامل التالية :

١ — وحدة التكوين البيولوجى لموجودات الواقع . فما من انسان يختلف عن آخر من حيث التركيب البيولوجى رغم الاختلاف فى الوطن والعقيدة والدين ، وما من شجرة تختلف عن الأخرى من حيث وجود جذر وجذع وأغصان وأوراق لها ، رغم تنوع الاشجار وارتباطها بالبيئة الجغرافية المناخية ، وتعدد مسمياتها وفق تحليل الانسان لواقع بيئته .

٢ — وجود البشر على ظهر كوكب واحد معا يقضى بوحدة الظواهر الكونية بالنسبة للجميع ، مثل الشمس والقمر ، النهار والليل ، الشتاء والصيف ، الأرض والسماء ، السحب والأمطار وهكذا دواليك .

٣ — وحدة العمليات الحياتية لبنى الانسان عامة بغض النظر عن الانتماء القومى مثل التنفس ، النوم ، الأكل ، الشرب ، العمل .. الخ .

٤ — وحدة التكوين الفسيولوجى للناس وارتباطها بوحدة الأحاسيس والانفعالات الانسانية عامة ، فيعيش الناس ، ومهما اختلفت قومياتهم ، تجارب شعورية مشتركة ، فضلا عن اشتراكهم فى الكثير من الآمال والأمانى .

٥ — التفاعل الحضارى والفكرى والعلمى القائم بين مختلف الشعوب فى عالم اليوم نتيجة اتساع وتطور سبل الاتصال ، وبحيث أصبح من المتعذر الآن القول بان هذه الحضارة أو تلك مقطوعة الصلات بغيرها من الحضارات .

وعلى هذا النحو نجد أن الشعوب جميعا تعيش عالما واحدا الا أن البيئات الحضارية والاجتماعية تختلف فيما بينها بدرجات متفاوته . وتجسد اللغات السمات المشتركة والفوارق القائمة فى تحليل الشعوب للواقع نتيجة لقدرة العقل البشرى فى كل مكان على التمييز والتحليل .

والى جانب مفهوم « الواقع » تستخدم الدراسات الترجمية مفهوم

« الموقف » situation كأحد مفاهيمها الأساسية . والموقف عبارة عن مجموعة من مكونات الواقع المحسوسة أو غير المحسوسة ترتبط فيما بينها بعلاقات تبادلية . فالاحتفال بمرور اسبوع على ولادة الطفل فى مصر يعتبر موقفا له عدد من الجوانب المادية وغير المادية تتمثل فى مظاهر الاحتفال وتوزيع الحلوى والشموع وما يصاحب ذلك من غناء لا يرتبط الا بهذه المناسبة وحدها . والجدير بالذكر أن الدراسات الترجمية تركز اهتمامها على المواقف المميزة لنمط حياة وحضارة الشعوب التى تتحدث لغات مختلفة ، ذلك لأن اختلاف المواقف يستدعى حتما اختلافا فى وسائل التعبير اللغوية . ومثال ذلك اختلاف وسائل التعبير فى اللغات أثناء التحية ، لقاء الغير ، التهنئة ، التعزية ، التنبيه ، التحذير وما الى ذلك من مواقف تصف نمط الحياة وتقاليد وعادات الشعوب . والأكثر من ذلك فان سبل التعبير اللغوية تتنوع رغم تعبيرها عن موقف واحد فى لغة واحدة : انظر على سبيل المثال وسائل التعبير عن موقف الاستئذان فى اللغة الانجليزية :

اسمح لى من فضلك	Permit me, if you please
اتأذن لى بالدخول ؟	May I come in ?
هل تمانع فى أن أدخن ؟	Do you mind if I smoke ?
هل افعل ذلك الآن ؟	Shall I do this now ?
هل لى أن أقابلك على انفراد ؟	Might I see you alone ?

وغير ذلك من سبل تعبير لغوية تستخدم فى هذا الموقف .

بعد هذا الايضاح الموجز لبعض المفاهيم المستخدمة فى علم الترجمة، ننتقل الآن الى مباحث هذا العلم .

الفصل الأول

عملية الترجمة :

لا ريب أن دراسة عملية الترجمة وجوهرها ومراحلها من اهم مباحث علم الترجمة ، اذ أنها في طبيعتها عملية تحليلية تركيبية في آن واحد يمتزج فيها التحليل العلمي بالابداع الفني . الى جانب النشاط الذى يقوم بـه المترجم أثناء الترجمة والمتمثل في خطوات التحليل والتركيب ، نجد أن عملية الترجمة ترتبط بعدد كبير من العوامل الثابتة والمتغيرة النابعة من خصائص اللغات وتنوع النصوص وظروف الأداء . ولا شك أن هـذه العوامل تؤثر في عملية الترجمة كعملية وفى نتيجتها كترجمة . وعمليـة الترجمة بكلمات مقتضبة هى عملية انتقال من رموز لغة الى رموز لغـة أخرى ، أو عملية اخراج نص باللغة (١) يطابق نصا باللغة (٢) . ولا تتم عملية الترجمة بصورة عشوائية ، بل لها من الضوابط والأحكام ما يجعلها عملية معقدة ، متعددة الجوانب ، تبدأ باستيعاب المترجم للنص المراد ترجمته ، وتنتهى بتجسيده لما جاء في هذا النص للغة الترجمة على أساس التطابق بين النصين . وطالما كان التطابق بين النص المنقول منه والنص المنقول اليه هو الهدف الذى يسعى اليه المترجم ، فان استيعاب النص المراد ترجمته له من القواعد والتقنينات ما يزيل امكانية غلبة العوارض الذاتية لدى المترجم في فهمه له ، الأمر الذى يفتح الباب للتصرف في الترجمة على أسس غير موضوعية . ومن ناحية أخرى ، فان التطابق هو الذى يحكم كذلك خطوة اخراج النص المنقول منه بلغة الترجمة انطلاقا من درجة استيعاب المترجم للنص الأصلى ، وبغض النظر عما يستخدمه المترجم من سبل وطرق في اخراج الترجمة للقارىء أو السامع . ولعل تيودر سافورى (١) كان محقا حين أشار الى تمفصل عملية الترجمة في ثلاثة أسئلة ينبغى على المترجم أن يضعها نصب عينيه أثناء الترجمة ، حيث يقول : « حين يواجه المترجم صفحة من أصل أجنبى عليه أن يسأل نفسه : ١ ــ ماذا يقول المؤلف ؟ ٢ ــ ماذا يعنى ؟ ٣ ــ كيف قال ما قاله ؟ » ثم يؤكد سافورى بعد ذلك أن طريقة التحليل هذه يمكن تطبيقها على الفكرة أو الجملة ، بل والعبارة كذلك . ولا ريب أن هذه التوصية وحيدة الجانب .

---

1. Theodore Savory. The Art of Translation Jonathen Cape. 1968.. p. 29.

فاذا كانت تنبه المترجم الى ضرورة الوقوف على مضمون النص وقصد المؤلف وطريقة اخراجه لفكره ، فانها بذلك تتعرض لخطوة واحدة من خطوات عملية الترجمة متمثلة فى كيفية استيعاب النص ، وتغفل فى الوقت نفسه جانبا هاما من جوانب هذه العملية — ألا وهو اخراج النص المنقول منه بلغة الترجمة وسبل تحقيق ذلك بغية الوصول الى تحقيق التكافؤ بين النصين .

ولقد اهتمت الدراسات التى تتناول الترجمة من منظور لغوى بعملية الترجمة وجوهرها ، ومراحلها ، ومبادئها العامة على أسس نظرية شاملة بغض النظر عن اللغات واختلافها . فعملية الترجمة — كما يرى مايكل هاليدى(١) — تنقسم الى ثلاث مراحل .ولكن هذا لايعنى أن المترجم يؤدى هذه المراحل الثلاث بترتيب ثابت أو انه يفرق بينها.والمرحلة الأولى هى المرحلة التى يوجد فيها المترجم لكل وحدة من وحدات كل مرتبة أو مستوى فى لغة الأصل(لكل مورفيم ولكل لفظ وما الى ذلك)مقابلا أكثر احتمالا فى لغة الترجمة ، بمعنى أن يكون هذا المقابل الأكثر استخداما من بين عدد كبير من الاحتمالات . وعلى سبيل المثال ، التركيب الفعلى الفرنسى Ont été choisis يقابله فى الانجليزية مقابل اكثر احتمالا فى الاستخدام هو were chosen ، الا أن الظروف قد تضطر المترجم الى اختيار مقابلات اخرى مثل have been chosen . ومن هذا المنطلق يمكن القول ان عقل المترجم يحوى ميزانا لتقويم المقابلات المحتملة أثناء الترجمة .

والمرحلة الثانية من مراحل عملية الترجمة — فى رأى مايكل هاليداى — هى المرحلة التى يعيد فيها المترجم النظر فى اختيار المقابل فى ضوء الوسط اللغوى فى النص المنقول منه . وتجرى عملية اعادة النظر هذه فى هذه الوحدات صعودا من مرتبة أدنى الى مرتبة أعلى حتى مرتبة الجملة ، ومثال ذلك : فى المقطع Les délégués ont été choisis نجد أن الاختيار يقع على المقابل الانجليزى were chosen بينما يقتضى الأمر فى المقطع Les délégués ont été déja choisis اختيار تركيب have been chosen بدلا منه . ويوضح هاليداى كيفية الانتقال من مستوى أدنى الى مستوى أعلى على مثال

---

1. M.A.K. Halliday. The comparison of languages. In : A. McIntosh, M. A. K. Halliday : «Patterns of Languages» London. 1966, pp. 28 — 39.

Head كلمـــة الانجليزية . فالمقابل الأكثر احتمالا من ناحية الاســـتخدام لهذه الكلمـــة فى الفرنســـية هو لفظ tête ، ولكن ما أن تدخـــل كلمة Head فى التركيـــب اللفـــظى Head of the department حتى يصـــبح مـــا يقابلهـــا فى الفرنســـية هـــو chef de section حيث يرتبط المضمون هنا بوحدة من وحدات المستوى الأعلى .

ثم ينتقل هاليداى الى وصف المرحلة الثالثة من مراحـــل عمليـــة الترجمة ، فيحصرها فى اهتمام المترجم بالخصائص النحوية واللفظية للغة التى ينقل اليها ، مثل التبعية النحوية فى الجنس والعدد وما الى ، اسناد أزمنة الفعل ، التراكيب الثابتة والتعابير المجازية وما شابه ذلك . وفى هذه المرحلة لا يحتاج المترجم الى الرجوع الى لغة الأصل ، ذلك لأنها لم تعد تقدم له معلومات .

وعلى هذا النحو نجد أن الترجمة نتاج مراحل ثلاث تبلور جوهر عملية الترجمة من وجهة نظر مايكل هوليداى ، منها اثنتان يرتبط فيهما المترجم بلغة الأصل الذى ينقل منه ، أما المرحلة الثالثة ، فتركـــز على خصائص اللغة التى ينقل اليها . غير اننا اذا أمعنا النظر فى هذه المراحل الثلاث ، نلاحظ أنها لا تخرج عن وصف لعملية اختيار المقابل والمؤثرات التى تلعب دورا فى اختياره أثناء الترجمة . ان اختيار المقابل اثناء الترجمة يعد قضية هامة من قضايا الترجمة ، تستهدف دراستها الكشـــف عن العوامل الثابتة والمتغيرة التى تؤثر فى اختيار المترجم له ، وتتضمن هذه العوامل درجة التقارب البنيوى والوظيفى بين اللغتين ، والخصائص المرتبطة باسلوب المؤلف ، ونوعية النص الفنية الأدبية أو الاعلامية أو العملية التخصصية .

ان اختيار المقابل ليس سوى خطوة من خطوات عملية الترجمة ، اذ تسبقها مرحلة هامة من مراحل هذه العملية — هى مرحلة تحليل النص المنقول منه واستخلاص مكوناته ، ثم الانتقال بعد ذلك الى مرحلة اخراج النص بلغة الترجمة مرورا بخطوة اختيار المقابل . فالمترجم بادىء ذى بدء — كما يقول جان بول فينى وجان داربلنيه (١) — يدرس النص الأصلى

---

1. J.-p. Vinay, J. Darbelnet. Stylistique comparée du français et de l'anglais «Méthode de traduction» Paris 1972, p.p. 46—55.

انظر ترجمة هذه الصفحات فى
« قضايا الترجمة فى الدراسات اللغوية الأجنبية » دار « العلاقات الدولية » للنشر . موسكو ١٩٧٨ . ص ١٥٧ — ١٦٧ . باللغة الروسية.

الذي ينقل منه ، ويقوم وحدات مضمونه باستخلاصها منه ، ثم يعيد بناء الموقف الوارد فى الرسالة الكلامية ، ويزن التاثير الاسلوبى الذى يميزها الى آخر هذه الخطوات . غير أن المترجم لا يقف عند هذا الحد ، بل عليه أن يجد من بين الحلول التى تعالج النص حلا واحدا . ان قراءة النص الأصلى تثير عادة فى المترجم عناصر من لغة الترجمة بصورة تلقائية ، ولكن عملية الترجمة تتطلب الى جانب ذلك العودة من آن الى آخر مراجعة النص الأصلى ليتيقن المترجم من أنه لم يغفل عنصرا من عناصره .

وهكذا نجد أن عملية تحليل النص وتقسيمه الى وحدات للترجمة — أى الى مكونات وعناصر مختلفة الأحجام والمضامين تتطلب الى جانب ذلك العودة من آن لآخر الى مراجعة النص الأصلى كى يتيقن المترجم من أنه لم يغفل عنصرا من عناصره .

وعلى هذا النحو نجد أن عملية تحليل النص واستخلاص وحدات الترجمة منه — أى المكونات والعناصر الواردة به والتى تختلف من حيث الأحجام والمضامين والوظائف كما سنرى فيما بعد — تمثل أولى مراحل عملية الترجمة ، اذ لابد للمترجم من نقطة انطلاق تحدد له مسار عمله الى أن يصل الى اخراج النص بلغة الترجمة . ويستخدم المترجم فى ادائـه للترجمة عددا من الطرق والوسائل بهدف تحقيق التطابق بين النصين المنقول منه والمنقول اليه . ويرى جان بول فينى وجان داربلنيه امكانية حصر طرق ووسائل الترجمة فى سبع طرق ، قد تستخدم بصورة مفصلة أو متشابكة فيما بينها . وتندرج هذه الطـرق تحت اسـلوبين مميزين للترجمة : الأول هو أسلوب الترجمة المباشرة (أو الحرفية) والثانى هو أسلوب الترجمة غير المباشرة . وفى اطار الاسلوب الأول تجرى الترجمة بصورة سلسة نتيجة التوازن البنيوى والمفهومى بين اللغتين ، الأمر الذى نلاحظه فى الترجمة بين اللغات التى تنتمى الى أسرة واحدة . أما اسلوب الترجمة غير المباشرة ، فيستخدم حين يجد المترجم « ثغرات » فى لغـة الترجمة ، فيسعى الى ملئها بوسائل متطابقة وبحيث يكون التاثير الذى تحدثه الرسالة الكلامية فى نص الترجمة مساويا لمثيله فى النص المنقول منه . ومن ناحية أخرى فان الاختلافـات البنيويـة والفـوق لغويـة extralinguistic (١) بـين اللغـات توجـد صـعوبات فى ترجمـة

---

(١) الفوق لغوى هو العنصر المرتبط بالواقع المادى أو الاجتماعى أو السيكولوجى وغير ذلك من مكونات البيئة التى تـؤدى فيها اللغـة وظيفتها ، وتتطور بتطورها الحضارى والثقافى . واذا كانت هذه العناصر خارج إطار النظام اللغوى ، الا إن اللغة بوحداتها المختلفة تجسـدها تجسيدا ماديا يعكس مختلف جوانب نشاط أفراد المجتمع .

المؤثرات الاسلوبية — وان كانت لا تخل بنظام تسلسل العناصر المكونة للرسالة الكلامية أو الوحدات اللفظية — الأمر الذى يجعل المترجم يلجأ الى أسلوب الترجمة غير المباشرة بغية تحقيق التطابق بين الرسالتين . ويرى المؤلفان أن أسلوب الترجمة المباشرة يشمل الطرق الثلاث الأولى ، اما الطرق الباقية فتشكل قوام اسلوب الترجمة غير المباشرة . وطرق الترجمة كما يراها جان بول فينى وجان داربلنيه هى :

الطريقــة الأولى : الاقتباس Borrowing . الاقتباس أبسط طرق الترجمة التى تتيح سد « الثغرة » التى يواجهها المترجم فى لغة الترجمة ، والتى تكون فوق لغوية عادة (مثل المسميات التقنية الجديدة أو المفاهيم غير المعروفة لابناء اللغة وما الى ذلك) . ويرى المؤلفان أن الاقتباس كان من الممكن الا يعد طريقة للترجمة لولا التجاء المترجمين اليه لاحداث التأثير الاسلوبى المرتبط بالمسميات المحلية . فمن الأفضل ، على سبيل المثال ، ترجمة The coroner spoke الانجليزيـة الى الفرنسية عن طريق الاقتباس بقولنا Le coroner prit la parole دون البحث عما يطابق ذلك من مسميات لموظفى القضاء فى الواقع الفرنسى . ومما لا شك فيه أن اللغات تحوى العديد من الالفاظ المقتبسة من لغات أخرى ، الا أن اهتمام المترجم ينصب على الاقتباسات الجديدة التى تعينه فى عمله .

الطريقــة الثانيــة : النحل Calque (١) . والنحل اقتباس من نوع خاص حيث يكون الاقتباس محصورا فى مقطع من مقاطع اللغة الأجنبية تتم ترجمة العناصر المكونة له ترجمة حرفية ، وعندئذ نجد أمامنا تعبيرا منحولا تستخدم فيه قواعد لغة الترجمة مع اضافة عناصر جديدة فيه ، ومثال ذلك التعبير الفرنسى Compliments de la saison (٢) ، والتعبير economiquement faible المنحول عن الالمانية (٣) .

---

(١) النحل عامة هو تكوين الفاظ جديدة أو ادخال طرق جديدة للتنظيم النحوى عن طريق اقتباس النماذج اللفظية أو المعنوية أو الاعرابية للغة من اللغات مع استخدام مورفيمات أو الفاظ اللغة القومية فى تجسيد هذه النماذج ، ومثال ذلك nebascryop الروسية المنحول عن الانجليزية Skyscraper (انظر التعبير المنحول منها على أساس المعنى فى العربية : ناطحة سحاب) .

(٢) لم يذكر المؤلفان الأصل المنحول منه .

(٣) بالالمانية : ökonomisch schwach

الطريقة الثالثة : الترجمة كلمة كلمة . المقصود بالترجمة كلمة كلمة هو الانتقال من لغة الأصل الى لغة الترجمة وبشرط أن يؤدى مثل هذا الانتقال الى اخراج نص مترجم ترجمة صحيحة ، اذ أنه ما على المترجم فى مثل هذه الأحوال الا أن يتبع المعايير المعمول بها فى لغة الترجمة ، ومثال ذلك ترجمة I left my spectales on the table downstairs الى اللغة الفرنسية كلمة كلمة فنقول : j'ai laisse mes lunettes sur la table en bas أو ترجمة The train arrives at Union Station at ten كلمة كلمة الى الفرنسية فنقول :

Ce train arrive a la gare Centrale a 10 heures

ويؤكد جان بول فينى وجان داربلنيه أن طريقة الترجمة هذه ترتبط أساسا بعملية النقل بين لغتين منتميتين الى أسرة لغوية واحدة ، أو بين اللغات التى يشملها مجال حضارى واحد مما يتيح امكانية وجود مفاهيم فوق لغوية واحدة تصور حقائق الوجود المشترك . ولكن اذا لم تكن هناك متوازيات معنوية بين اللغتين ، فان الترجمة كلمة كلمة تصبح غير مقبولة ، ولذا يلجأ المترجم الى أسلوب الترجمة غير المباشرة . ومفهوم « غير مقبولة » تعنى أن الرسالة الكلامية المترجمة كلمة كلمة :

(أ) تعبر عن معنى آخر .

(ب) ليس لها معنى .

(جـ) غير ممكنة من حيث اعتبارات البنية النحوية .

(د) لا تتفق وأى من العناصر الفوق لغوية فى لغة الترجمة .

(هـ) تتفق مع عنصر ما من العناصر الفوق لغوية ، ولكنها فى مستوى اسلوبى آخر من أساليب اللغة .

واصدق مثال على ذلك ترجمة العبارتين التاليتين :

1. He looked at the map.
2. He looked the picture of health.

فالعبارة الأولى يمكن أن تترجم الى الفرنسية على النحو التالى : Il regarda la carte . ولكن العبارة الثانية لا يمكن أن تترجم بقولنا Il paraissait l'image de la santé الا اذا كان الهدف من وراء ترجمتها على هذا النحو هدفا تعبيريا كأن نصور رجلا انجليزيا يتحدث الفرنسية بدرجة غير مرضية . ولكنا اذا ترجمنا العبارة بقولنا Il se portait comme un charme فان التطابق يصبح قائما بين الرسالتين الانجليزية

والفرنسية ومن موقع خاص خارج اطار اللغتين فى آن واحد — هو الموقف . ان التطابق بين الرسائل الكلامية يقوم أساسا على تطابق المواقف الأمر الذى يوضح اختلاف خصائص الواقع من لغة الى أخرى .

ثم ينتقل المؤلفان بعد ذلك الى وصف طرق اسلوب الترجمة غير المباشرة . وهذه الطرق من وجهة نظرهما هى :

الطريقة الرابعة : الابـدال Transposition . والمقصود بالابدال هو تغيير قسم من أقسام الكلام بقسم آخر دون الاخلال بالمعنى الكلى للرسالة الكلامية . وقد تستخدم هذه الطريقة فى اطار اللغة الواحدة او أثناء الترجمة، منقول فى اطار اللغة الواحدة Il a annoncé son retour بدلا من Il a annoncé qu'il reviendrait حيث من الممكن ابدال الاسم محل الفعل . أما فى مجال الترجمة ، فيكون الابدال أما الزاميا ، واما اختياريا . ومثال الابدال الالزامى ترجمة التعبير الفرنسى dès son lever الى As soon as he gets up (got up) نتيجة وجود تركيب رئيسى واحد فى اللغة الانجليزية . أما الابدال الاختيارى ، فيلاحظ فى امكانية الابدال فى العبارتين المتطابقتين التاليتين :
après qu'il sera revenu = after he comes back حيث يمكن ابدالهما . النحو التالى : après son retour = after his return . ويلجأ المترجم الى طريقة الابدال اذا اقتضى الأمر تركيب العبارة بصورة أفضل أو اذا كانت أصول اللغة الفصحى تتطلب ذلك .

الطريقة الخامسة : القياس Modulation . والمقصود هو الانتقال من شكل الى آخر فى الرسالة الكلامية أثناء الترجمة على أساس القياس . ويمكن للمترجم أن يلجأ الى هذه الطريقة حين يتضح أن الترجمة كلمة كلمة أو الترجمة بطريقة الابدال تخرج قولا صحيحا قواعديا ، ولكنه يتناقض وروح لغة الترجمة . وقد يكون القياس قياسا ثابتا (الزاميا) أو قياسا حرا (اختياريا) ومثال القياس الثابت (أو الالزامى) هو ترجمة العبارة الانجليزية The time when الى الفرنسية Le moment où . أما القياس الذى يجرى خلاله احلال صيغة الاثبات فى لغة الترجمة بدلا من صيغة النفى الواردة فى النص الأصلى ، فيعتبر قياسا اختياريا نابعا من استحسان هذه الصيغة أو تلك فى لغة من اللغات ، ومثال لتلك الترجمة الانجليزية It is not difficult to show الى Il est facile de démontrer الفرنسية .

والفرق بين القياس الالزامى والقياس الاختيـاري — كما يرى المؤلفان — هو فرق في درجة التعامل مع هذه الطريقـة . اذ أن كثرة الاستخدام ومواءمة العرف الشفهي ، والوجود في المعاجم وكتب النحو — كل هذا يؤدى الى عدم تردد من يتقن لغتين في اختيار القياس الالزامى . أما القياس الاختيارى فهو عملية متجددة تجرى طبقا للموقف الوارد في النص الأصلى ، وتستهدف اخراج الترجمة اخراجا مثاليا ، بحيث يكون رد الفعل عليها هو « هكذا ينبغى حقا التعبير باللغة » .

الطريقة السـادسة : التكافـؤ Equivalence . والتكافـؤ يعنى امكانية وصف نصين لموقف واحد بوسائل اسلوبية وبنيوية مختلفة تماما ، ومثال ذلك الموقف الذى يخطىء فيه شخص ما حين يدق مسمارا فيصيب اصبعه ، وعندئذ يصيح بالفرنسـية Aie ! ، أما اذا كان انجليزيا ، فستكون صيحته Ouch ! .

ويشكل التكافؤ اساس ترجمة التعابير الكنائية والمجازية والأمثال والأقـوال السـائرة على الالسن ، مثـل ترجمـة Too many cooks spoil tho broth الى ما يقابله فى الفرنسية Deux patrons font chavirer la barque على أساس التكافؤ .

الطريقـة السـابعة : التكييف Adaptation . وتسـتخدم هذه الطريقة حين لا يجد المترجم فى لغة الترجمة الموقف الوارد فى لغـة الأصل ، فيقدم بدلا منه موقفا آخر على أساس تطابق المواقف ، ومثال ذلك الأب الانجليزى الذى يقبل ابنته من شفتيها عند لقائه بها بعد عودته من رحلة ، ولذا يعد مقبولا في الواقع الحضـاري الانجليـزى القـول He kissed his daughter on the mouth ، إلا أن هذا غير مقبول فيالواقع الفرنسي ولذا لا يمكن ترجمـة هذه العبـارة الى الفرنسـية بقـولنا Il embrassa sa fille sur la bouche يقتضى الموقف أن تكون الترجمة على النحو التالى :

Il serra tendrement sa fille dans ses bras

ويؤكد جان بول فينى وجان داربلنيه أن هذه الطرق السبع تستخدم بدرجات متفاوته على مستويات الألفاظ والتنظيم البنائى للجملة والرسالة الكلامية ككل ، والأكثر من ذلك فمن الممكن أثناء ترجمة عبارة واحـدة استخدام اكثر من طريقة في آن واحد ، ومثال ذلك ترجمة الاعلان المعلق على باب يقول بالانجليزية private الى اللغة الفرنسـية بقـولنا Défense d'entrer (انظـر : ممنوع الدخـول بالعربيـة)

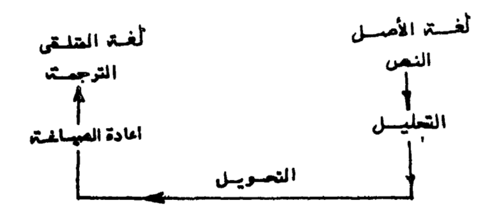
حيث تم استخدام طرق الابدال والقياس والتكافؤ فى وقت واحد . ويعتمد الأبدال هنا على ضرورة ترجمة لفظ Privato بلفظ آخر ، أما القياس فأساسه قصد التحذير الواضح من الاعلان ، ثم التكافؤ المبنى على تطابق الموقف .

لعل وصف جان بول فيتى وجان داربلنيه للطرق التى يلجأ اليها المترجم أثناء الترجمة توضح بما لا يدع مجالا للشك مدى تعقد وتشابك عملية الترجمة . ومن ناحية أخرى فان وصف هذه الطرق يعكس الصلة الوثيقة القائمة بين التطبيق العملى للترجمة وبين الأسس النظرية لعملية الترجمة . ان هذه الطرق وغيرها تمارس فى حقيقة الأمـــر اثناء أداء الترجمة بغض النظر عما اذا كان المترجم يدرك تقنيناتها النظرية او لا يدركها . ونود الاشارة الى أن هذه الطرق لا تخرج عن اطار مرحلة واحدة من المرحلتين الرئيسيتين اللتين تنقسم اليهما عملية الترجمة . فلقد حصر جان بول فينى وجان داربلنيه دائرة بحثهما فى طرق ووسائل تركيب النص المنقول اليه ، والعوامل اللغوية والحضارية التى تؤثر فى اختيار مختلف الطرق ، وامكانية الجمع أثناء أداء الترجمة بين عدد من الطرق فى آن واحد بهدف تحقيق التطابق بين النصين المنقول منه والمنقول اليه . والى جانب هذه العوامل ينبغى أن تمتد دراسة عملية الترجمة لتشمل خصائص ونوعية النص المنقول منه ، والظروف المؤثرة فى عملية الأداء ، وطبيعة المشتركين فى هذه العملية .

ان عملية الترجمة تنقسم الى مرحلتين رئيسيتين : الأولى هى مرحلة تحليـــل analysis النص المنقـــول منه واســـتخلاص مكوناتـــه ، والمرحلـــة الثانيـــة هى مرحلـــة التركيب synthesis أو اخـــراج النص بلغة الترجمة . وقد تختلف مسميات هاتين المرحلتـــين باختلاف الدراسات الترجمية وفق نظرية ومنهج البحث ، الا أن هذا لا يمس فى الواقع جوهر عملية الترجمة بمرحليتها . وما من شك أن النتيجة المباشرة لاختلاف نظريات ومناهج البحث فى الترجمـــة هى التركيز على جوانب محددة فى عملية الترجمة ، ترتبط بالاتجاه العام للأسس النظرية والمنهجية التى يأخذ بها الباحث . فالمدرسة التى تنطلق فى معالجتها لعملية الترجمة من وجهـــة نظـــر علـــم الـــدلالة semiotics تهتم باديء ذى بدء بأنواع العلاقات المعنوية الممكنة نظريا بين مكونات النص المنقول منه والنص المنقول اليه ، والوظائف المعنوية لهذه المكونات . فترى سوزان باسنيت ماجوير (١) جوهر عملية الترجمـــة فى عمليتى حل شـــفرة decoding

1. Susan Bassnett-McQuire. Translation studies. Methuen. London-New York, 1980, pp. 16 — 18.

واعادة تشــفير recoding وتنطلق فى وصــفها لهاتين العمليتــين من واقع نموذج يوجين نايدا لعملية الترجمة وتسلسل مراحلها على النحو التالى (٢) :



ثم تنتقل سوزان باسنيت ماجوير الى دور العلاقات المعنوية وتأثير العناصر فى مختلف اللغات فى اختيار المقابل أثناء الترجمة . فالمقابلات اللفظية الواردة فى القواميس لا تكفى وحدها لأداء الترجمة أداء صحيحا . فلفظ Hallo الانجليزى يترجم فى القواميس الى الفرنســية والألمانية والفرنسية على النحو التالى :

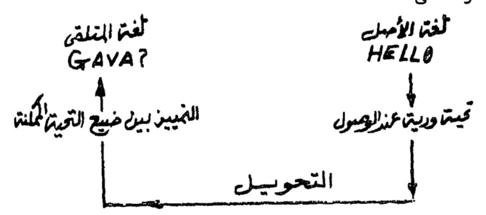
فى الفرنسية	ça va ?, Hallo
فى الألمانية	wie geht's, Hallo
فى الايطالية	ola; pronto; ciao

ولكن اذا كان الانجليزى لا يفرق بين اســتخدام لفظ Hello فى التحية سواء عند لقائه بشخص آخر أو عند حديثه بالتليفون ، فــان الفرنسى والألمانى والايطالى يفرق بين استخدام مقابــلات هذا اللفظ . فكلمــة pronto الايطاليــة لا تستخدم الا أثناء الحديث بالتليفون ، وكذلك الحــال بالنســبة للفظ Hallo فى الألمانيــة . والأكثر من ذلك فان لفظ Hallo فى الفرنســية والألمانية — كما تؤكــد سوازن باسنيت ماجويــر — يتضــمن الى جانب مفهــوم التحيــة استفسارا بلاغيــا

---

(٢) انظر : يوجين أ . نايدا : نحو علم للترجمة . ترجمة ماجــد النجار مطبوعات وزارة الاعلام — الجمهورية العراقية ١٩٧٦ ص ٢٨٦ — ٢٨٧ .

rhetorical متضمنا عن حالة الشخص بمعنى How are you ? أو How do you do ? ، الا أن صيغة هذين السؤالين لا تستخدم فى الانجليزية الا فى مواقف أكثر شكلية مما هو موجود فى الفرنسية والألمانية . أما لفظ ciao الايطالى فيعتبر أكثر صيغ التحية استخداما فى مختلف قطاعات المجتمع الايطالى سواء عند اللقاء أو الوداع . وهذه الاعتبارات الفوق لغوية تحكم عمل المترجم ، الأمر الذى توضحه سوزان باسنيت ماجوير بوصفها لمراحل ترجمة كلمة Hello من الانجليزية الى الفرنسية وفق نموذج يوجين نايدا على النحو التالى :



اذا تمعنا فى النموذج المبين نجد أن الذى حدث أثناء عملية الترجمة هنا هو التركيز على مفهوم التحية واحلال عبارة تحمل نفس المفهوم بدلا من لفظ Hello ، أو عملية تحويل معنوية ، حيث يحل رمز بدلا من الآخر مع الاحتفاظ بالمعلومة ثابتة وفق معطيات الاسناد الى الواقع .

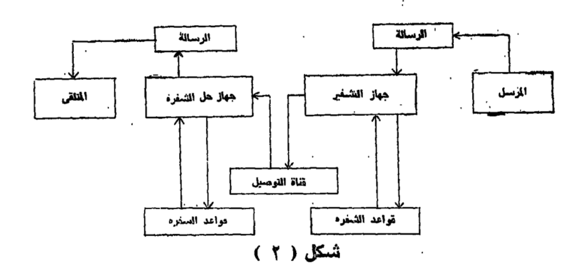
لا شك فى مدى أهمية دراسة تطابق واختلاف العلاقات المعنوية بين اللغات ، والتطرق الى حصر المواقف المرتبطة بالواقع فى لغتى الترجمة ، والتعمق الى هيكل العلاقات المتبادلة بين وحدات اللغة فى النصين المنقول منه والمنقول اليه . غير أن هذه المنطلقات تختلف عن تلك الأسس التى وضعتها نظرية الاتصال فى معالجة عملية الترجمة . لقد أثرت نظرية الاتصال تأثيرا كبيرا فى الدراسات اللغوية عامة . ولقد امتد هذا التأثير الى الدراسات الترجمية ، حيث ساعدت فى الكشف عن الكثير من جوانب عملية الترجمة . وفى ضوء نظرية الاتصال أصبحت الترجمة نوعا من أنواع السلوك الكلامى ، تشترك فى الكثير من سمات أنواع هذا السلوك ، وتنفرد عنها بخصائصها المتميزة النابعة من كونها عملية اتصال ثنائية اللغة . والجدير بالذكر أن السلوك الكلامى يشغل حيزا كبيرا من حياتنا . فنحن نتحدث ونسمع ، نكتب ونقرأ ، نناجى أنفسنا ونفكر بصوت عال أو بيننا وبين أنفسنا فى بعض الأحيان ، ونرى الأفلام السينمائية والتليفزيونية والمسرحيات ونستمتع بما جاء من خلال السماع ،

ونتغنى بأغان ، بل ونتحدث فى الأحلام — كل هذه النشاطات تدخل فى اطار السلوك الكلامى ، ولذا لن نبالغ اذا قلنا أن الانسان يقضى ربع حياته ، ان لم يكن أكثر ، فى ضروب هذا السلوك . وجوهر السلوك الكلامى باختلاف أنواعه هو نقل المعلومات والتى من خلالها يتم الاتصال بمفهومه الواسع بين أفراد المجتمع — أى الاتصال بمعنى التفاهم ، وتبادل الفكر والانجازات العلمية والحضارية ، والتجاوب الانفعالى العاطفى بين الناس ، وغير ذلك من أوجه اتصال تقتضيها ظروف الحياة المعاصرة . وعلى هذا النحو نجد أن الهدف من السلوك الكلامى ليس السلوك الكلامى فى حد ذاته ، فاننا نتكلم لا بهدف التكلم ، بل بهدف توصيل المعلومات ، كما أننا نستمع لا بهدف متعة الاستماع ، بل للحصول على معلومات ، ومن هنا فان نقل المعلومات وتبادلها يشكلان جوهر عملية الاتصال الانسانى .

ان عملية الترجمة شكل من أشكال السلوك الكلامى هدفها احداث الاتصال بين أبناء اللغات المختلفة بواسطة الوسائل اللغوية وتكمن خصائص عملية الترجمة كسلوك كلامى فى استخدام لغتين فى اطار الاتصال الانسانى . وقبل التطرق الى توضيح عملية الترجمة كعملية اتصال ثنائية اللغة ، من الضرورى تحديد بعض الظواهر الهامة فى عملية الاتصال اللغوى بين أبناء اللغة الواحدة .

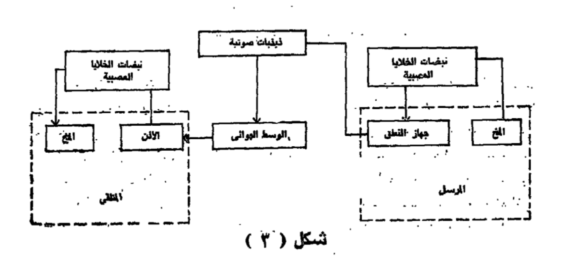
عملية الإتصال اللغوى بين أبناء اللغة الواحدة :

تقتضى عملية الإتصال بوجود مرسل ومتلقى وقناة توصيل . وتتكون الرسالة عامة من سلسلة من الرموز ترتبط فيما بينها بقواعد محددة . وتسمى سلسلة الرموز والقواعد التى تحكمها بالشفرة . وتتم عملية الاتصال عبر قناة التوصيل كما هو مبين فى الشكل التالى :



شكل (٢)

ويتيح الطابع العام لنموذج تسلسل عملية الاتصال المبين فى الشكل (٢) امكانية وصف عملية نقل الرسائل بين انسان وآخر من أبناء لغة واحدة . فعناصر عملية الاتصال هنا هى المرسل (متحدث أو كاتب) ومتلقى (سامع أو قارىء) ورسالة معينة تتكون من سلسلة رموز تحكمها قواعد اللغة (رسالة شفوية أو مكتوبة كنص من النصوص) وقناة توصيل (الوسط الهوائى فى حالة الرسائل الشفوية والنص فى حالة الرسائل المكتوبة) . ولنفترض أن أحد أبناء العربية يريد توصيل رسالة لآخر شفاهة . كيف يتم انتقال الرسالة من مخ المرسل الى مخ المتلقى ؟ ان عملية الاتصال بينهما تتم وفق الشكل التالى :



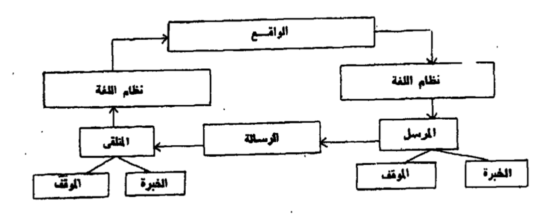
شكل (٣)

يوضح هذا الشكل العمليات الذهنية الوظائفية التى تتم أثناء الحدث الكلامى . فالحدث الكلامى يبدأ بعمليات ذهنية وظائفية ناتجها مجموعة من الرموز من بين رموز اللغة العربية مصوغة وفق ما تقضى به قواعد اللغة العربية وتتضمن قدرا من المعلومات المسندة الى الواقع ، وتخرج على شكل سلسلة من الأصوات العربية من خلال جهاز النطق لدى الانسان ، وفى هذا تتمثل الرسالة المراد توصيلها شكلا ومضمونا .. وتصل هذه الرسالة الى المتلقى (السامع) عبر قناة التوصيل (الوسط الهوائى) لتبدأ لدى المتلقى عمليات ذهنية وظائفية تتضمن استيعاب الرسالة الصوتية وحل رموزها بقواعد ارتباطها فيما بينها ، واستخلاص ما ورد بها من معلومات باسنادها الى نفس الواقع الذى استقى منه المرسل معطيات رسالته . ولا يختلف هيكل عملية الاتصال فى حالة ما اذا كانت الرسالة مكتوبة عن الهيكل المبين فى الشكل الا فى حلقة الارسال حيث يجسد الكاتب رسالته من خلال آلية الكتابة لتصبح نصا مكتوبا بالرموز

المتعارف عليها ، أما حلقة تلقى الرسالة فتبدأ بالمؤثر البصرى الذى يحفز العمليات الذهنية التى تجرى فى المخ . وتجدر الاشارة الى أن قناة التوصيل فى حالة ما اذا كانت الرسالة مكتوبة — هى النص وما يتضمنه من رموز كتابية .

وعلى هذا النحو نجد أن عملية الاتصال بين أبناء اللغة الواحدة تشمل مرحلتين : المرحلة الأولى هى مرحلة ارسال الرسالة حيث يقوم المرسل بتشفيرها قبل الارسال ، والمرحلة الثانية هى مرحلة تلقى الرسالة ، وخلالها يقوم المتلقى بحل شفرتها . وأساس هاتين المرحلتين الموضوعى فى عملية الاتصال بين أبناء اللغة الواحدة هو وحدة نظام الرموز وقواعد تنظيمها ، ووحدة الواقع ومكوناته ، الأمر الذى يؤدى الى الفهم المتبادل والاتصال الاجتماعى بين أفراد المجتمع .

غير ان هناك بعض العوامل التى تؤثر فى عملية الاتصال اللغوى بين أبناء اللغة الواحدة ، نرى ضرورة التطرق اليها نظرا لأهميتها بالنسبة لعملية الترجمة . من أهم هذه العوامل الفوارق فى الخبرة الذاتية لطرفى عملية الاتصال اللغوى . والمقصود بالخبرة الذاتية محصلة المرء من المعارف على اختلاف أنواعها بما فى ذلك معارفه اللغوية . وعلى سبيل المثال اذا كان المرسل يتحدث فى موضوع اقتصادى متخصص ، والمتلقى يفتقر الى المعرفة فى المجال الاقتصادى ، فان خللا سيحدث دون شك فى عملية الاتصال بينهما ناتجه عدم الفهم . ومن ناحية أخرى فان المحصلة اللغوية تلعب دورا كبيرا فى عملية الاتصال ، حيث تؤثر فيها العوامل المعرفية واللهجية لدى بعض الفئات فى المجتمع . ولنا أن ندرك على سبيل المثال ، صعوبة اتمام عملية الاتصال اذا كان المرسل يلقى شعرا جاهليا والمتلقى على قدر ضئيل من المعرفة بلغة ذلك العصر ، أو اذا انطلق المرسل — وكان من أبناء البدو فى محافظة الوادى الجديد بمصر على سبيل المثال — فى حديثه بلهجة أبناء منطقته ، والمتلقى يسمع بها لأول مرة . ومن بين العوامل التى تؤثر فى عملية الاتصال بين أبناء اللغة الواحدة — تطابق الموقف لدى كل من المرسل والمتلقى . فاذا سأل أحدهم آخر : ماذا هناك ؟ ولم يكن هناك ما يدعو الى السؤال ، فسينشأ سوء فهم للسؤال ، وعلى النقيض من ذلك ستتم عملية الاتصال بمعرفة المتلقى بالموقف الذى يستوجب استفسار المرسل . وقد يرجع الخلل فى عملية الاتصال الى الأخطاء التى قد يقع فيها المرسل اثناء تشفير رسالته ، أو الى تلك التى قد يقع فيها المتلقى أثناء حل رموز الشفرة ، أو تلك الناتجة عن عدم رغبة أو عدم قدرة المتلقى تحليل الرسالة تحليلا دقيقا . ويوضح الشكل التالى عملية الاتصال بين أبناء اللغة الواحدة ومقوماتها الأساسية:



شكل (٤)

ان ما يفيد الترجمة من عملية الاتصال اللغوى بين ابناء اللغة الواحدة هو أن عملية الاتصال تستهدف متلقيا يشارك فيها مع المرسل ، وضرورة توافر قدر معين من المعارف والخبرات لدى الطرفين . وهناك عوامل تؤثر فى عملية الاتصال يرجع بعضها الى نوعية المشتركين فيها من حيث الخبرة الذاتية المعرفية واللغوية ، فضلا عن تأثير الموقف فى ناتج عملية الاتصال . وعلاوة على ذلك فان عملية الاتصال قد يصيبها خلل يتسبب فى فقد قدر من المعلومات الواردة بالرسالة ، الا أن الواقع العملى يؤكد امكانية فهم المتلقى للرسالة انطلاقا من معرفته بالموقف وعناصره . ومن ناحية أخرى نجد أن طبيعة عملية الاتصال تستهدف التأثير على المتلقى واحداث رد فعل ما لديه . فالمرسل يقصد برسالته هدفا ما ، وبالتالى تتنوع ردود الفعل لدى المتلقى بتنوع قصد المرسل . فاذا ركز المرسل القصد على نفسه جاءت الرسالة تعبيرا عن حالته الانفعالية العاطفية ، واذا ركز المرسل القصد من رسالته على المتلقى كان هدفه التأثير فيه ، أما اذا استهدف المرسل الواقع ، جاءت رسالته قاصدة الاعلام ، وقد يركز المرسل على الشكل ، فتستهدف الرسالة التأثير بمكونات التعبير مثلما فى الشعر ، وغير ذلك من أهداف تتضمنها الرسائل خلال عملية الاتصال بين أبناء اللغة الواحدة .

عملية الترجمة عملية اتصال ثنائية اللغة :

لا شك أن عملية الترجمة أكثر تعقدا من عملية الاتصال اللغوى بين أبناء اللغة الواحدة ، اذ تتميز عملية الترجمة باستخدام لغتين فى اطار

عملية الاتصال ، ولذا يمكن القول انها عملية اتصال ثنائية اللغة . وتبدأ عملية الترجمة باستيعاب النص المراد ترجمته وتنتهى باخراج هذا النص بلغة الترجمة . وتتضمن هذه العملية مرحلة هامة هى مرحلة تبديل شفرة لغة الأصل بشفرة لغة الترجمة وفق تقنينات محددة . ومن ناحية أخرى فان عملية الترجمة تتأثر بعوامل مختلفة ، منها ما يرجع الى طبيعة المشتركين فيها ، ومنها ما يرتبط بنوعية الوسائل اللغوية المستخدمة فى عملية الترجمة ، ومنها ما هو متصل بالواقع ومكوناته ، وبالمواقف وغير ذلك من العناصر الفوق لغوية .

واذا كانت عملية الاتصال اللغوى بين أبناء اللغة الواحدة تقضى بوجود طرفين (المرسل والمتلقى) لاتمام عملية الاتصال ، فان الترجمة كعملية اتصال ثنائية اللغة تتطلب وجود حلقة وصل بين هذين الطرفين . ففى عملية الاتصال الثنائية اللغة — كما يقول أوتوكادى(١) — تختلف شفرة المرسل عن شفرة المتلقى ، ولذا لا يمكن التفاهم بينهما أن يتم الا بتحويل نص اللغة (١) الى نص باللغة (٢) ، وهنا يبرز دور المترجم ، الذى تنحصر وظيفته فى :

(أ) حل شفرة نص اللغة (١) بهدف اعادة تشفيره .

(ب) اعادة تشفير هذا النص — أى احلال رموز اللغة (٢) بدلا من رموز اللغة (١) .

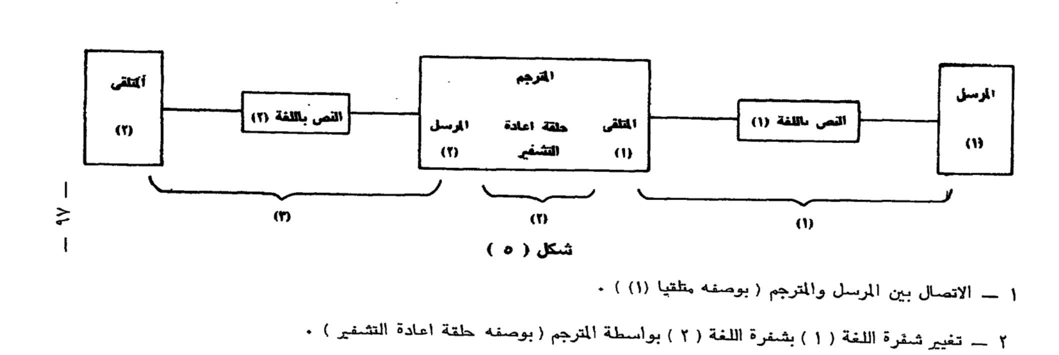
(جـ) إخراج النص باللغة (٢) .

وعلى هذا النحو يصبح المترجم — كما يؤكد أوتوكادى — حلقة الوصل بين المرسل والمتلقى ، وتؤثر فيه ، كما فى طرفى عملية الاتصال

---

1. O. Kade. Kommunikation swissenschaltliche Probleme der Translation In : Grund fragen der übersetzungswissenschaft. «Fremdsprachen». B. II, Leipzig 1968 ss. 3 — 19.

انظر ترجمته الى الروسية بعنوان « مشاكل الترجمة فى ضوء نظرية الاتصال » فى كتاب « قضايا الترجمة فى الدراسات اللغوية الأجنبية » دار « العلاقات الدولية » للنشر . موسكو ١٩٧٨ . ص ٦٩ — ٩٠ باللغة الروسية .



شكل (٥)

١ ــ الاتصال بين المرسل والمترجم (بوصفه متلقيا (١)) ٠

٢ ــ تغيير شفرة اللغة (١) بشفرة اللغة (٢) بواسطة المترجم (بوصفه حلقة اعادة التشفير) ٠

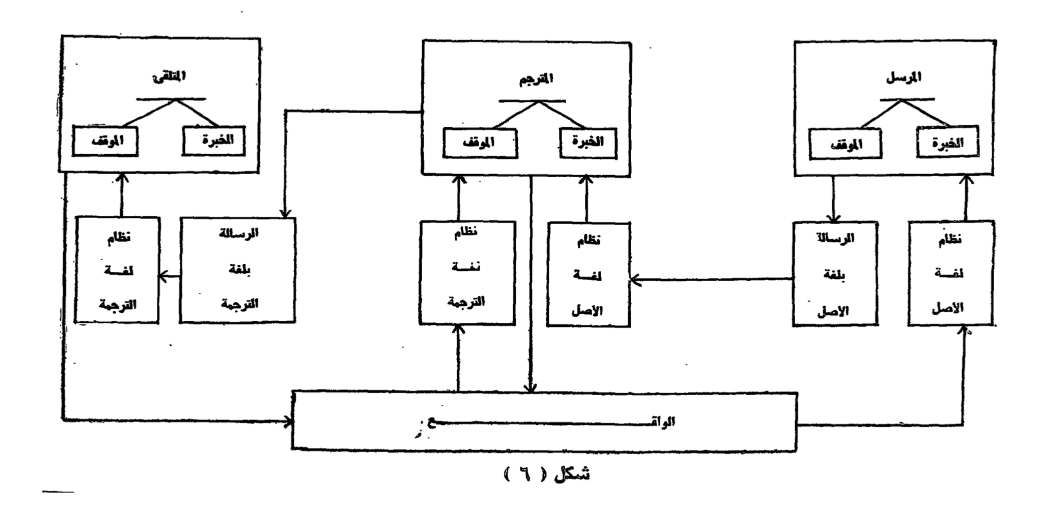
٣ ــ الاتصال بين المترجم (بوصفه مرسلا (٢)) وبين المتلقى (٢) ٠

العوامل التى تصاحبها عادة . ويعتبر المترجم فى عملية الاتصال الثنائية اللغة متلقيا بالنسبة للمرسل ، ثم يصبح مرسلا غير مباشر بالنسبة للمتلقى الموجهة اليه الرسالة . أما متلقى الرسالة التى يصيغها المرسل ، فيتحول فى عملية الاتصال الثنائية اللغة الى متلقى ثان ، وهو ما يوضحه الشكل (٥) .

ويرى أتوكادى أن عملية الترجمة تشمل جزءا من المرحلة الأولى (استيعاب الرسالة القادمة من المرسل وتفسير المترجم لشفرتها بوصفة متلقيا باللغة (١)) وكل المرحلة الثانية (تغيير المترجم للشفرة بوصفة حلقة اعادة التشفير) وجزءا من المرحلة الثالثة (اخراج المترجم الرسالة للمتلقى (٢) باللغة (٢) بوصفة مرسلا (٢)) . وعلى هذا الأساس نجد أن المترجم وحده هو الطرف المباشر فى عملية الترجمة ، وان كان مرتبطا فى عمله بكل من المرسل والمتلقى ، كما أن فعاليته فى ادائه كمتلقى (١) وكمرسل (٢) تعتمد أساسا على طرفى عملية الاتصال الثنائية اللغة الرئيسيين (المرسل (١) والمتلقى (٢) .

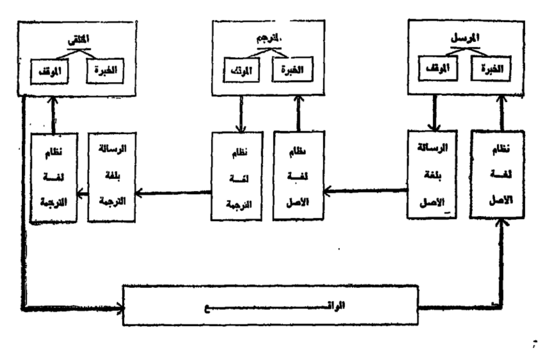
لا ريب أن تصوير عملية الترجمة على هذا النحو يوضح الدور المزدوج للمترجم فى عملية الاتصال الثنائية اللغة ، الا أن تسلسل مراحلها يغفل عناصر هامة من شأنها التأثير فى الترجمة كعملية وكنتيجة . فلم يتضمن نموذج أوتوكادى لعملية الترجمة موقع عناصر الواقع والخبرة الذاتية والموقف فى حلقات عملية الاتصال الثنائية اللغة الثلاث . وهذه العناصر تمثل انطلاقات يبدأ منها المرسل تشفير رسالته ، ويستوعبها المترجم أثناء حله لشفرة الرسالة ، ثم يضعها نصب عينيه خلال تحويله لشفرة النص (١) الى شفرة النص (٢) وبحيث تصل الى المتلقى مطابقة لمدلولاتها لديه . والى جانب ذلك فان حلقة المترجم التى تبدأ باستيعاب الرسالة وتنتهى باخراجها بلغة الترجمة مرورا بعملية تحويل شفرة اللغة (١) بشفرة اللغة (٢) ، تتأثر هى الأخرى بعناصر الواقع والموقف والخبرة الذاتية للمترجم نفسه سواء من الناحية اللغوية ومستوى الأداء الفنى ، أو من ناحية المحصلة المعرفية . واذا نظرنا الى واقع الممارسة العملية للترجمة ، نجد أنه من الممكن التمييز بين عمليتين للاتصال الثنائى اللغة . العملية الأولى يقوم أثناءها المرسل باستخدام رموز نظام لغوى معين ويرسل رسالة بها تعكس مكونات محددة من واقع مضافا اليها عناصر الموقف والخبرة الذاتية للمرسل نفسه ، وعندئذ

يتعامل المترجم مع رموز نفس النظام اللغوى ويطابق بين ما جاء بالرسالة وبين مكونات الواقع المسندة اليها مع اعتبار مقتضيات الموقف وعناصر الخبرة ، ثم يستخدم بعد ذلك نظاما آخر من الرموز ليخرج نفس هــذه الرسالة مردودة الى واقع فى ضوء ما لــه من خبرة ووفق مقتضـيات الموقف ، فيتلقاها المتلقى الذى يطابق بينها وبين عناصر الواقع المسندة اليها فى اطار خبرته الذاتية ومقتضيات الموقف ، وهو ما يوضحه الشكل التالى :


المرسل
الخبرة
الموقف
نظام لغة الأصل
الرسالة بلغة الأصل
المترجم
الخبرة
الموقف
نظام لغة الأصل
نظام لغة الترجمة
المتلقي
الخبرة
الموقف
الرسالة بلغة الترجمة
نظام لغة الترجمة
الواقــــــــــــــــع

شكل (٦)

أما العملية الثانية ، فتختلف عن الأولى فى حلقة المترجم اذ أنهـا تبدأ كذلك بارسال المرسل لرسالته المردودة الى الواقع والمتضمنة عناصر الموقف والخبرة الذاتية ، وعندئذ لا يقوم المترجم باسناد الرسـالة الى الواقع ، بل ينتقل مباشرة من لغة الأصل الى لغة الترجمة باسـتخدام نظام من المقابلات المتطابقة كان قد أعد مسبقا ، ثم يخـرج الرسـالة بلغة الترجمة فيتلقاها المتلقى بلغته ويردها الى الواقع فى ضوء ما له من خبرة ووفق مقتضيات الموقف وهو ما يوضحه الشكل التالى :



شكل (٧)

اذا كان المترجم فى مثل هذه الأحوال ينتقل من لغة الأصل الى لغة الترجمة باستخدام نظام من المقابلات المتطابقة دون الرجوع الى الواقع ، فان هذا النظام قد تم اعداده مسبقا من خلال الاسناد الى الواقع ، وبذا يكون هذا الاسناد أمرا سابقا على عملية الترجمة لا أثناءها كما فى العملية الأولى . وتغلب العملية الأولى على الترجمة التحريرية ، أما العمليـة الثانية فهى الاسلوب الغالب فى الترجمة الشفوية والترجمـة بالماكينات والتى تقضى باعداد مسبق لنظامين متطابقين من المقابلات من خلال لغـة وسيطة (شفرة وسيطة) . غير أن هذا التمييز بـين هاتين العمليتين لا يعنى عدم امكانية استخدامهما مجتمعتين سواء فى الترجمة التحريرية أو الترجمة الشفوية . فقد لا يتطلب الأمر فى حالة الترجمة التحريرية فى بعض الأحيان الرجوع الى الواقع اعتمادا على محصلة المقابلات المتطابقة لدى المترجم ، وهى المحصلة النابعة من مدى اتقان المترجم للغتـين ومستوى مهاراته الفنية فى الأداء . كما قد يتطلب الموقف أثناء الترجمـة

الشفوية ضرورة رجوع المترجم الى الواقع فى بعض الأحيان لتوصيل الرسالة الى المتلقى بدقة .

وتتأثر عملية الترجمة بعدة عوامل يمكن تقسيمها الى عوامل موضوعية وعوامل ذاتية . وتنبع العوامل الموضوعية من خصائص اللغتين المستخدمتين فى عملية الاتصال الثنائى اللغة . واذا نظرنا الى النظم اللغوية ، نجد أنها تتسم بالثبات ، وهذا من شأنه تمهيد السبيل الى ايجاد مجموعة من العلاقات المنضبطة للتطابق بين اللغات ، الأمر الذى يمكن المترجم من الوصول الى أكبر قدر من الدقة فى عملية النقل . والجدير بالاهتمام أن مجموعة العلاقات هذه هى التى تشكل أساس عملية الانتقال من شفرة لغوية الى شفرة لغوية أخرى ، حيث تتضمن عددا كبيرا من التطابقات على مختلف المستويات الشكلية والمعنوية والوظيفية والاسلوبية . فمن الممكن ، على سبيل المثال ، حصر استخدامات أزمنة الفعل فى اللغتين العربية والانجليزية والخروج من مثل هذا الحصر بمجموعة من المقابلات المتطابقة تطابقا كاملا ، أو المتطابقة تطابقا جزئيا ، أو غير المتطابقة ، وذلك بفضل ثبات هذه الصيغ واستخداماتها فى اللغتين مما يضفى صفة الانضباط على العلاقات بين نوعيات هذه المقابلات . والى جانب الخصائص اللغوية نجد أن الواقع بمكوناته وعناصر مواقفه يشغل حيزا هاما بين العوامل الموضوعية المؤثرة فى عملية الترجمة . فالواقع يعتبر بعدا أساسيا من أبعاد عملية الترجمة ، اذ أنه يرتبط بعملية الاتصال من خلال ذهن كل من أطراف هذه العملية على شكل مجموعة من العلاقات التى تؤدى الى اتمام عملية الفهم المتبادل. وعادة تحمل هذه العلاقات طابعا عاما . وعلى سبيل المثال ، نجد أن « الصيدلية Pharmacy » تعتبر جزءا من الواقع لدى مختلف الشعوب ، ومن هنا ارتباط مفهومها العام بعلاقات متبادلة فى كل اللغات ، الا أن اختلاف وظائفها فى بعض المجتمعات قد يؤدى الى حدوث خلل فى عملية الاتصال . فلو قلنا : « ذهب ليحقن أو يضمد الجرح فى الصيدلية »، فان هذا يعد أمرا غير مفهوم لأبناء الشعوب التى لا تعرف عن وظائف الصيدلية سوى صرف الدواء والمستلزمات العلاجية وحدها . وهذا يعنى ضرورة معرفة المترجم — الى جانب العلاقات العامة بين مكونات الواقع — بالتفاصيل المرتبطة بأجزاء الواقع فى اللغتين المنقول منها والمنقول اليها .

وهناك عوامل ذاتية تؤثر فى عملية الترجمة . فالأخطاء الذاتية للمشتركين فى عملية الاتصال الثنائية اللغة تؤدى حتما الى أخطاء فى الترجمة ، فنتيجة أخطاء المرسل هى تلقى المترجم لمعلومات غير صحيحة الأمر الذى يعوق عملية الاتصال . ان الفعالية الاخبارية للمرسل تعتمد

على درجة اتقانه للغته وقدرته على تجسيد قصده من الاتصال تجسيدا واضحا بوسائل هذه اللغة . وترتبط فعاليـــة المترجم — وهو الحلقـــة الحاسمة فى عملية الترجمة — بدرجة اتقانه للغتين ، ومعرفة موضوع الترجمة ، والالمام بالواقع ومكوناته وعناصر مواقفه فى اللغتين ، وخبرته الذاتية فى مهارة الأداء ، هذا بجانب حالته النفسية والعضوية أثناء انجازه لعملية الترجمة . ان أخطاء المترجم تؤدى الى الخلل فى عملية الاتصـــال ، بل وقد تقضى على الهدف من هذه العملية فى بعض الأحيان ، أما فعالية المتلقى فتعتمد على مدى معرفته بلغته ، وعمق معرفته بموضوع الترجمة ، وقدرته على استيعاب مضمون الرسالة .

الفصل الثانى

مرحلتا عملية الترجمة

تتضمن عملية الانتقال من نظام لغة الأصل الى نظام لغة الترجمة مجموعة من العمليات التى يقوم بها المترجم أثناء الأداء . واذا كانت هذه العمليات تجرى فى اتصال وتسلسل من حيث التوالى ، فان الواقع التطبيقى لعملية الترجمة يتيح امكانية التمييز بين مجموعتين من العمليات ، تتسم كل منها بخصائص محددة ، فضلا عن أن مهام كل منها والمصاعب التى يصادفها المترجم أثناء الأداء تختلف نوعيا فيما بينها . وتشكل مجموعة العمليات الأولى قوام مرحلة التحليل analysis أما المجموعة الثانية فتشمل مرحلة التركيب synthesis ومن البدهى أن هاتين العمليتين غير منفصلتين كل عن الاخرى أثناء عملية الترجمة ، كما تؤثر كل منهما فى الأخرى أثناء الأداء ، غير أن طبيعة كل منهما والهدف الذى يسعى الى تحقيقه المترجم فى هذه وتلك ، ومنطلق الأداء فيهما — كل هذا يملى ضرورة وصف كل منهما على حدة . وتستهدف مرحلة التحليل استخلاص المترجم للمعلومات الواردة فى النص الأصلى ، أما مرحلة التركيب فتبدأ باختياره للوسائل الضرورية المطابقة لما ورد فى النص الأصلى ثم اخراج هذا النص بلغة الترجمة على أساس التطابق . ولننظر فى جوهر مرحلة التحليل .

مرحلة التحليل Analysis

تقضى مرحلة التحليل باستيعاب المترجم لمضمون النص واستخلاص عناصر المعلومات الواردة به . ولا يختلف استيعاب المترجم لمضمون النص عن عملية الفهم العادية لمحتوى نص من النصوص ، الا أن فهم المترجم للنص يستهدف ترجمته ونقل ما جاء به الى لغة أخرى ، ولـذا فان عملية الفهم هنا مرهونة بعدة مقومات تخدم تحقيق هذا الهدف . ان أساس عملية الفهم بصفة عامة هو ادراك موجودات وظواهر الواقع

والروابط المتبادلة بينها . ويدرك المتلقى العادى هذه العناصر ، ولكن ادراكه لها قد يقف عند العموميات فى بعض الأحيان . أما المترجم فعليه التطرق لا الى الخصائص العامة للموجودات والظواهر فحسب ، بل والى السمات المميزة لها والتى تفرق بينها وبين غيرها من موجودات وظواهر ، بل وعليه التحقق من كل جزئية والوقوف على العلاقات القائمة بين الجزئيات ، وادراك أسباب ظهور وتغير الضوابط التى تحكم هذه الموجودات والظواهر ، ووعى العلاقات المنطقية التى تربط بينها ، والوصول الى البواعث التى تحفز الأفعال وردود الأفعال ، الأمر الذى يقضى بضرورة ادراك ما وراء النص فى بعض الأحيان . مجمل القول ينبغى على المترجم استيعاب مضمون النص الأصلى على أساس من التعمق ووضوح الرؤية ، وشمولية الادراك ، وموضوعية المنطق . وكما سبق وأشرنا ، ان فهم المتلقى العادى (القارىء أو السامع) للمضمون قد يقف عند ادراك المعنى واستيعابه ، أما المترجم فعليه عبء التوصل الى قرار سواء خاطىء أو سليم ، فى تحديد المضمون الذى يترجمه . فالمتلقى العادى قد لا يقف عند التركيب اللفظى bees in its bonnet فى النص التالى :

«That also was gentleman's paper, but it had bees in its bonnet.»
(J. Galsworrhy. The Silver Spoon).

لادراكه ما يعبر عنه هذا التعبير (غرائب ، نزوات) ، أما المترجم فيجب أن يتطرق الى الخصائص المعنوية لهذا التعبير بهدف التوصل الى ما يقابله فى لغة الترجمة . وعلى هذا يمكن القول ان هدف المتلقى من فهم نص من النصوص هو استيعاب عناصرة دون ضرورة التعبير عنه ، أما هدف المترجم من فهم النص هو استيعاب مضمونه واستخلاص كل كبيرة وصغيرة من المعلومات الواردة به لنقله الى لغة أخرى بما يقابله فيها . وتعتمد درجة استيعاب المترجم للنص على مدى اتقانه للغة الأجنبية ، والمامه الواسع بالواقع الذى يعيشه أبناء هذه اللغة ، ومستواه اللغوى والفكرى والفنى .

وطالما قلنا ان الهدف من استيعاب المترجم للنص هو اخراجه فى نهاية المطاف بلغة الترجمة على أساس التطابق ، فان التحليل — من هذا المنطلق — يعنى تقسيم النص الى عناصر تقسيما يوجب دقة نقل عناصر المضمون من لغة الأصل الى لغة الترجمة . ويطلق على هذه العناصر فى الدراسات الترجمية مصطلح « وحدات الترجمة » . ان تحليل

النص واستخلاص وحدات الترجمة منه مرحلة ضرورية فى عملية الترجمة، حيث يقف فيها المترجم على مكونات المضمون على اختلاف نوعياتها ، ويستوعبها ذهنيا من منظور ما يقابلها فى لغة الترجمة . ومما تجدر الاشارة اليه انه من غير الممكن بحال من الأحوال المطابقة بين تحليل النص وبين الدراسات المقارنة للغات . ان الهدف من الدراسات المقارنة هو تحديد خصائص كل لغة على حدة والكشف عن الظواهر المشتركة فى لغتين من اللغات ، أما تحليل النص اثناء عملية الترجمة فيستهدف استخلاص وحدات معينة من النص يقضى وجودها فى النص الأصلى ايجاد مقابل لها فى لغة الترجمة . ولكن ما المقصود بوحدات الترجمة ؟

وحدات الترجمة :

وحدة الترجمة هى عنصر مضمون النص الأصلى الذى يتطلب وجوده ايجاد مقابل له فى لغة الترجمة . وترتبط عناصر المضمون بمجالين : الأول هو المجال اللغوى ، والثانى هو المجال فوق اللغوى . وفيما يتعلق بالمجال اللغوى نجد أن عناصر المضمون يمكن أن تتطابق مع وحدات كل مستويات بنية اللغة عدا المستوى الصوتى . فالوحدة الصوتية — كما سبق وذكرنا — لا تعبر عن معنى ، بل تنحصر وظيفتها فى بناء اللفظ والتمييز بين الألفاظ . غير أن الوحدة الصوتية فى بعض اللغات قد تخرج عن هذه الوظيفة لتصبح وسيلة من وسائل التعبير يقتضى الأمر ايجاد مقابل لها فى لغة الترجمة . ففى اللغة الروسية على سبيل المثال ، يخرج الفونيم [a] عن وظيفته الأساسية ليصبح وحدة تعبر عن مختلف الأحاسيس والانفعالات وفق مقتضيات النص ، حيث يستخدم فى مواقف التذكر ، والتخمين ، الاستياء ، التهكم ، الحزن المشوب باليأس ، وقد يستخدم للتعبير عن صيحة الألم . كما يخرج الفونيمفى اللغة [o] الانجليزية من المستوى الفونيمى ليصبح وحدة تعبر عن مختلف الانفعالات وفق مقتضيات الموقف : انظر استخدام O فى النص التالى :

«Sam. [Suspicious, and not ever friendly]. What is it? Not busness, O hope?» (A. Bennett and E. Knoblock Milestones).

ان خروج الوحدات الصوتية الى دائرة مجموعة الوحدات اللغوية المعبرة عن الحالة الانفعالية العاطفية للانسان وردود فعله التأثيرية لما يسمعه ، يجعل منها وحدة من وحدات الترجمة تفرض دقة الترجمة ضرورة نقلها بما يقابلها فى لغة الترجمة .

وحدات الترجمة على المستوى المورفيمى :

وحدة الترجمة على المستوى المورفيمى هى أصغر وحدة من وحدات الترجمة . ووحدة الترجمة على المستوى المورفيمى هى الوحـــدة التى تضفى على المضمون الرئيسى للفظ معنى أضافيا أو ظلالا معنوية يستوجب الأمر ايجاد مقابل لها فى لغة الترجمة . ففى اللغة الانجليزية نجد على سبيل المثال اللاحقة able التى تدخل على الفعل فتجعل منه صفة تعبر عن امكانية الحدوث ، ومثال ذلك لفظ regrettable فى النص التالى :

«I know how you must feel, Doctor. Especially after all your efforts. The whole thing is highly regrettable» (A. Cronin. Shannon's Way)

وقد يزداد معنى الصفة المكونة باللاحقة able تعقدا بدخول بادئـــة النفى — un عليها ، كما فى المثال التالى :

«These sudden uncontrollable movements increased my difficulties»

(المصدر السابق)

لا شك أن العناصر المورفيمية التى تضفى معان اضافية على مضمون اللفظ تعد من مجموع الخصائص المميزة لكل لغة من اللغات ، ولذا يتطلب نقلها الى لغة الترجمة معالجة خاصة ، لا سيما لو كانت هذه اللغة تفتقر الى ما يقابلها على مستوى المورفيم : انظر عدم وجود ما يقابل اللاحقـــة able فى اللغة العربية على مستوى المورفيم . ان وحدات الترجمة على المستوى المورفيمى تتطلب فى كثير من الأحيان وقفـــة من المترجم ، خاصة اذا كانت تستهدف أغراضا تعبيرية . وتختلف اللغات من حيث استخدام المورفيمات فى أغراض تعبيرية . ففى اللغة الروســـية ، على سبيل المثال ، نظام متكامل من اللواحق التى تضـــفى معانى أســـلوبية وتعبيرية على اللفظ وتجسد بذلك مختلف درجات العلاقات الايجابيـــة والسلبية . فلفظ glas (عين) يشكل سلسلة من الألفاظ التعبيريـــة بدخول عدد من اللواحق عليه ليصبح glazionatchki, glazionki, glaski وكلها صيغ من صيغ التصغير ، وتحمل معانى ايجابية ، وتســـتخدم فى مواقف التدليل والملاطفة ، أما صيغة glaziche المصـــوغة من اللفظ نفسه ، فمن صيغ التعظيم التى تتضمن معنى سلبيا قد يصل الى التحقير من القدر فى بعض النصوص . والجدير بالاهتمام أن صيغ التصغير سمة

من سمات اللغة العربية ، فنقول جبيل فى تصغير جبل ، وشجيرة فى شجرة ، وعيينة — عين ، شميسة — شمس وهكذا دواليك . وتستخدم صيغ التصغير فى اللغة العربية ، كما هو معروف ، للدلالة على صغر الحجم أو تحقير القدر ، أو تقليل العدد ، أو تقريب الزمان والمكان ، أو للتمليح والتدليل وغير ذلك من أغراض . وترجمة صيغ التصغير تشكل صعوبات فى نقلها الى اللغات التى تفتقر الى مثل هذه الصيغ . ومن الطبيعى الا يغفل المترجم مثل هذه الصيغ أثناء عملية الترجمة ذلك لأنها ترتبط بمواقف تبين علاقة المرسل بالواقع الذى يتحدث عنه وتقييمه العاطفى الانفعالى له . ان اخفاق المترجم فى نقل ما توحى به صيغ التصغير نقلا دقيقا يؤدى حتما الى فاقد فى الترجمة يؤثر فى مستواها .

وحدات الترجمة على المستوى المورفولوجى :

من بين وحدات الترجمة التى يوجب وجودها فى النص الأصلى ايجاد مقابل لها فى لغة الترجمة الصيغ المورفولوجية التى تعكس أنواعا عدة من العلاقات المرتبطة باستخدامات الأسماء والأفعال والظروف والصفات وغير ذلك من اقسام الكلام وفق ما تقضى به نظم اللغات المختلفة . وقد يكون التعبير عن الصيغة المورفولوجية من خلال مورفيم من المورفيمات ، مثل دخول المورفيم s(e)– على اللفظ الانجليزى ليوضح علاقة « الأفراد — الجمع » village—villages, book—books ، أو دخول المورفيم ed— على الفعل ليوضح علاقة « المضارع — الماضى » مثلما فى Stop—stopped—call-called . وقد تكون الصيغة مركبة مثلما فى

Don't disappoint me, I shall be expecting you.

حيث تستخدم صيغة shall be expecting للتعبير عن استمرارية الحدث فى المستقبل .

غير أنه لا يمكن القول ان صيغ المستوى المورفولوجى تعتبر كلها من بين وحدات الترجمة التى تتطلب ايجاد مقابل لها فى لغة الترجمة . ففى مجال علاقة النوع « التذكير — التأنيث » ، نجد أن المترجم لا يهتم فى النص الأصلى الا بما تشير اليه أسماء الأعلام من حيث التذكير والتأنيث، أما فيما عدا ذلك فانه ينطلق فى تحديد علاقة النوع لا من مفاهيم اللغة المنقول منها ، بل من أصول وقواعد اللغة المنقول اليها وما تقضى به فى اطار علاقة التذكير والتأنيث . ويمكن القول ان علاقة الجنس التى تعبر عنها الصيغ — سواء كان هذا التعبير ضمنيا ، أى دون مؤشرات صوتية توضح انتماء الاسم للمذكر أو المؤنث ، أو كان هذا التعبير ظاهريا بمعنى وجود مؤشرات صوتية كما فى اللغتين العربية والروسية ، حيث يوجد

نظام من الاشارات الدالة على المذكر والمؤنث فى العربية ، المذكر والمؤنث والمحايد neuter فى الروسية — لا تتطلب مقابلا لها فى لغة الترجمة ، وبذا لا تعد من بين وحدات الترجمة على المستوى المورفولوجى .

ويختلف الوضع بالنسبة للصيغ التى تعبر عن علاقة « الافراد — التثنية — الجمع » . ان أغفال المثنى فى النص التالى :

«The two boats started off in the dark» (E. Hemingway. Indian Camp.)

أو صيغة الجمع فيما يلى :

«The streets were wide and empty; for two hundred years the place had been dying, but the houses had the homely stateliness of their time.» (S. Maugham. The moon and Sixpence).

يؤدى حتما الى خلل فى التطابق بين الأصل والترجمة . غير أن علاقة « الأفراد — التثنية — الجمع » ليست متطابقة تمام التطابق فى نظم اللغات المختلفة . ففى اللغتين الانجليزية والروسية ألفاظ لا تستخدم الا فى صيغة المفرد (مثل hony milk, Kindness فى الانجليزية) والفاظ لا تستخدم الا فى صيغة الجمع (مثل spectales, trousers فى الانجليزية) ، ولذا فان اعتبار مثل هذه الصيغ من بين وحدات الترجمة مرهون أساسا بما تقضى به قواعد لغة الترجمة . ومن ناحية أخرى فان علاقة التثنية فى اللغة العربية ليست لها صيغ ثابتة فى نظامى اللغتين الانجليزية والروسية، ولذا فان تحديد هذه العلاقة أثناء تحليل النص يتم من خلال السياق مثلما فى النص التالى حيث ترتبط they بمعنى التثنية :

«He was accompanied by Blanche Stroeve, and they were just going to Strick land's favourite corner»

(المصدر السابق)

ويقضى تحليل النص على المستوى المورفولوجى كذلك استخلاص الصيغ التى تعبر عن علاقة اللفظ بغيره من الألفاظ فى السياق . غير أن نظام الصيغ التى تعبر عن هذه العلاقة يختلف بين لغة وأخرى . ففى اللغة الانجليزية ، على سبيل المثال ، لا يلحق باللفظ مورفيم يوضح علاقتة بغيره من الألفاظ مثلما فى اللغة العربية حيث يبين المؤشر الصوتى علاقات الرفع والنصب والجر بين الأسماء ، أو فى اللغة الروسية حيث توجد ست حالات لتصريف الأسماء ، وتلعب المورفيمات دورا أساسيا فى تحديد نوعياتها . فالعلاقة بين الألفاظ فيما بينها فى السياق تتحدد فى اللغة

الانجليزية وفق ترتيب الألفاظ أو استخدام حروف الجر وما يتبع ذلك من دائرة واسعة من المضامين الواجبة النقل الى لغة الترجمة وفق النظام المعمول به فيها لتنظيم الألفاظ فى الجملة . والعلاقة الوحيدة التى ترتبط بمورفيم فى اللغة الانجليزية هى علاقة الملكية مثلما فى عبار Strick Kland's favourite corner الواردة فى النص بعاليه . أما فى اللغات التى تتحدد فيها علاقات الفاعلية والمفعولية والحالية والظرفية وما الى ذلك من علاقات ارتباطا بمؤشرات صوتية منتظمة مثلما فى العربية والروسية ، فيقضى الأمر تحليل مكوناتها المعنوية المرتبطة باستخدام هذه الصيغة أو تلك : انظر علاقة السببية المصاحبة لاستخدام صيغة الجار والمجرور بحرف الجر « فى » والواردة فى الحديث الشريف : « دخلت امرأة النار فى هرة حبستها » .

ويكتسب تحليل النص على المستوى المورفولوجى أهمية خاصة فى معالجة صيغ الفعل . على اختلاف صورها البسيطة (مثل He talked for a long time) والمركبة (مثل He will be coming home soon) ان صيغ الفعل تعبر فى مختلف اللغات عن الكثير من المضامين النحوية والمعنوية، ذلك لارتباط الفعل بمفاهيم الأحداث والأحوال المجردة من ناحية، وتعبيره عن مفهوم الزمن ومعاييره المختلفة من ناحية أخرى . فصيغة had returned. فى قولنا When he came home the children had already returned تبين حدوث الحدث فى زمن أسبق من الزمن الآخر ، أما صيغة should meet فى قولنا Should you meet him tomorrow, tell him to come فتفيد الاحتمالية الى جانب حدوث الحدث فى زمن مستقبل. ويمتد تحليل النص على المستوى المورفولوجى ليشمل العلاقات الوصفية والحالية والزمانية والمكانية وغير ذلك من علاقات تعبر عنها صيغ أقسام الكلام الأخرى وفق نظم اللغات المختلفة . ان المضامين النحوية المرتبطة بمختلف صيغ أقسام الكلام تشمل الى جانب التعبير عن العلاقات القائمة بين الألفاظ فى السياق ، مكونات معنوية يقتضى الأمر تحليلها من منطلق السمات المميزة لكل لغة من اللغات بحيث يصل المترجم الى الحد الأمثل من التطابق بين النص المنقول منه والنص المنقول اليه .

وحدات الترجمة على المستوى اللفظى :

تتضمن وحدات الترجمة على المستوى اللفظى نوعيات محددة من الألفاظ ، ذلك لأن المترجم لا يترجم عادة لفظا بلفظ ، بل ينطلق فى أدائه من وحدة أعلى مكتملة الافادة ، كما أن اللفظ لا يكتسب معناه فى السياق الا من

خلال ارتباطه بغيره من الفاظ . غير أن المترجم قد يواجه فى النص الفاظا يتطلب نقلها الى لغة الترجمة معالجة خاصة . ومن بين هذه الألفاظ التى يشملها تحليل النص وتحتاج الى معالجة خاصة أثناء الترجمة المسميات المرتبطة بالواقع الحياتى أو البيئى أو التاريخى أو الحضارى لشعب من الشعوب . ومن المعروف أن هذه المسميات تعكس مفاهيم ومظاهر مميزة لثقافة الشعب وتطوره الاجتماعى والتاريخى ، ولذا فانها تحمل طابعا قوميا ، ولا يوجد لها مقابل فى اللغات الأخرى عادة (١) . ونوعيات هذه المسميات هى :

١ — مسميات الواقع اليومى لحياة الانسان مثل انواع المأكولات والمشروبات : أنظر porridge (نوع من العصيد) pork (ضرب من لحم الخنزير) suet pudding (نوع من البودنج الدسم) borsh (نوع من الحساء يصنع من الكرنب والبنجر فى روسيا) Kvas (مشروب روسى يصنع من خبز الجودار) ومن المسميات العربية : ملوخية ، فلافل ، عرقسوس وما الى ذلك من نوعيات تحمل الطابع القومى ويصعب نقلها الى اللغات الأخرى .

٢ — مسميات الملابس والحلى وأدوات الزينة مثل dinner-jacket (نوع من الاسموكنج) pullover (بلوفر) Sari (زى للنساء فى الهند) Kimono (زى للنساء فى اليابان) valenki (حذاء حتى الركبة مصنوع من الجوخ المضغوط فى روسيا) poodle charm (حلية تعويذية على شكل كلب أشعث) وفى العربية : الجلباب ، العقال ، العمامة ، الخلخال وغير ذلك من نوعيات تستخدم فى واقع حضارى دون غيره .

٣ — المسميات المرتبطة بنوعيات المسكن والأثاث والأوانى المنزلية : wigwam (كوخ الهنود الحمر) igloo (كوخ الاسكيمو المصنوع من الجليد) fonza (بيت الفلاح الصينى) bungalow (شالية) dutch door (باب مقسوم أفقيا يبقى جزؤه الأعلى مفتوحا)

---

(١) انظر فى المسميات المرتبطة بالواقع القومى وطرق ترجمتها كتاب « مالا يترجم فى الترجمة » للباحثين البلغاريين سيرجى فلاخوف وسيدر فلورين . دار « العلاقات الدولية » للنشر موسكو ١٩٨٠ . باللغة الروسية .

izba (بيت قروى روسى تتوسطه مدخنة) side board (دولاب فى حجرة المائدة لحفظ أدواتها) sofa (نوع من الأرائك) iced teas (أكواب خاصة بالشاى المثلج) samovar (اناء كبير لغلى الماء لاعداد الشاى فى روسيا) وفى العربية : البلاصى ، الزير ، الطبلية وما الى ذلك .

٤ — مسميات وسائل النقل المختلفة مثل ricksha (مركبة يجرها الانسان فى الهند والشرق الأقصى) dogcart (عربة يجرها كلب أو فرس) canoe (نوع من الزوارق) troika (مركبة روسية تجرها ثلاثة جياد) وما الى ذلك .

٥ — المعايير والمقاييس والموازين والعملات النقدية مثل litre rouble, penny, pound, mile, foot ذراع ، أردب ، قنطار ، اقة ، ريال ، جنيه وما الى ذلك .

٦ — مسميات مرتبطة بالواقع العملى للانسان مثل shop walker (المشرف على مستوى الخدمة فى المحل) constable (رجل البوليس) matron (مسئولة التغذية والشئون المنزلية فى مدرسة) وفى العربية : عطار ، عقاد ، كنفانى وما الى ذلك .

٧ — مسميات تعبر عن مفاهيم فنية وثقافية وفلكلورية وأسطورية مثل polka (رقصة تشيكية) boogie — woogie (رقصة أمريكية) fandango (رقصة أسبانية) bag-pipe (آلة موسيقية اسكتلندية) ukulele (نوع من القيثار ذو أربعة أوتار) troubadour (شاعر غنائى متجول) saga (ضرب من قصص الشجعان) troll (الجنية الشريرة فى القصص الشعبى) punch-and-judy (عرض للقراقوز) Kabuki (مسرحية شعرية يابانية) amazon (امرأة محاربة) griffin (حيوان خرافى نصفه نسر ونصفه أسد) Aeolus (اله الرياح) baba-yaga (الساحرة فى الحكايات الشعبية الروسية) وفى العزبية : خيال الظل ، الربابة ، الموال ، التحطيب وما الى ذلك .

٨ — مسميات مرتبطة بالعادات والتقاليد والأعياد والألعاب مثل five-o'clock tea (شاى الساعة الخامسة) croquet (الكروكيت) baseball (البيسبول) judo (نوع من المصارعة) Thanks-giving Day (يوم الشكر فى أمريكا) low Sunday (يوم الأحد الذى الذى يلى عيد الفصح) وفى العربية : ليلة الحنة ، عيد الفطر ، عيد

الأضحى ، عيد النيروز (بداية السنة القبطية) ، النقـوط (فى الأفراح وغيرها من المناسبات) وغير ذلك من مظاهر نابعة من واقـع الحيـاة العربية .

٩ — مسميات مرتبطة بالمعتقدات وأماكـن ودور العبـادة مثل : adventism (المذهب القائل بأن مجىء المسيح ثانية ونهاية العالم قريبان) shinto (اعتقاد اليابانيين القائم على تقديس أرواح الأباطـرة والأبطال والقوى الطبيعية) pagoda (معبد متعدد الأدوار فى الهند واليابان والصين) angelus (صلاة التبشير) وفى العربية : اسـماء الصلوات الخمس ، الشريعة ، السنة ، الفتوى ، المسجد ، زاوية وما الى ذلك .

١٠ — التقاويم المحلية مثل التقويم الهجرى والقبطى والسوريانى وغير ذلك من تقاويم .

١١ — مسميات البيئة الجغرافية والظواهر الطبيعية مثل Typhoon (عاصفة هوجاء تهب على بحر الصين بصفة خاصة) Gulf Stream (تيار دافىء فى المحيط الهادى) simoom (السموم ، ريح حارة تهب على الصحراء الغربية) Tundra (المنطقة الجنوبية من القطب الشمالى والمعروفة بقسوة برودتها) وفى العربية : الخماسين ، برد العجوز ، نوة الغطاس وما الى ذلك .

١٢ — مسميات تاريخية مثل pic (قبيلة استوطنت بريطانيـا قديما) Knight Templar (أحد فرسان المعبد) Dark Ages (عصـور الظلام) Tetrachy (تقسيم السلطة بين أربعة حكام يتولى كل منهم حكم الربع فى الامبراطورية الرومانية) Opritchnina (نظام الاجـراءات البوليسية العسكرية الذى اتخذه القيصر ايفان الرهيب لاحكام قبضـة السلطة المركزية فى روسيا فى القرن السـادس عشر) ، وفى العربية : الخليفة ، الصحابى ، أمير المؤمنين ، الأسماء التاريخية للدول الاسلامية وغـير ذلك من مصطلحات تاريخيـة ترتبط بالواقـع التاريخى العربى والاسلامى .

١٢ — مسميات عرقية وسـلالية مثل (قبيلـة أفريقيا) (الأمريكى ، أحد أبناء نيوانجلاند بالولايات المتحدة ، أحد أبناء ولاية من visigoth (القوطى الغربى) Husy (الاسـكيمو) Yankee

الولايات الشمالية بها) Tatarian (أحـد ابناء أحـدى القوميات السوفيتية) ومثال ذلك فى العربية أسماء القبائل العربية .

١٤ — مسميات مرتبطة بالنشـاطات السياسـية والاجتماعيـة والادارية مثل مسميات أجهزة الدولة ، ومسميات التنظيمات السياسية والاجتماعية ومسميات المراكز السكانية وأقسامها ، وأسماء بعض المبانى والأماكن العـامة المشـهورة مثل Home Office (وزارة الداخليـة فى بريطانيا) Bundestag (البرلمان الألمانى الغربى) Scotland Yard (جهاز انجليزى للشرطة) Rotary club (نادى الروتـارى) duchy (دوقية) avenue (آفينيو) Stanitsa (قرية قازاقية) Wall street (شارع) Empire State Building (ناطحة سحاب ضخمة) Hyde Park (هايد بارك) وفى العربية : مجلس الشعب ، مجلس الدولة ، النيابـة الادارية ، عزبة ، نجع ، كفر ، مركز وغير ذلك من مسميات تتعلق بالطابع القومى .

١٥ — مسميات الحياة العسكرية وتتضمن مسميات الوحدات والرتب العسكرية والأسلحة مثل field officer (ضابط ميدان : أعلى من كابتـن وأدنى من جنـرال) field marshal (فيلـد مارشـال) major general (ميجور جنرال) وما الى ذلك من مسميات نابعـة من الواقع العسكرى القومى .

١٦ — الألقاب والدرجات وصيغ التخاطب مثل Lord (لورد) Kniaz (أمـير فى الواقـع الروسى ايام القيصـرية) senator (سيناتور) وفى العربية : الامام الأكبر ، فضـيلة الشـيخ ، أستاذ — استاذة (فى لغة الموظفين) ، المعلم ، الحاج وما الى ذلك .

ويتضح من هذا العرض أن هذه النوعية من الألفاظ تتطلب وقفـة من المترجم لايجاد أفضل سبل نقلها الى لغة الترجمة وبحيث يتم الكشف عن مضمونها تفاديا للخلل فى عملية الاتصال . ولنا أن نتخيل مدى الخلل الذى يصيب عملية الاتصال لو أن المترجم أغفل ما يستوجب الأمر توضيحه فيما يتعلق بدرجة الحرارة فى النص التالى :

«I went on to examine *him*. The temperature was 103°, the pulse so thin as to be almost imperceptible» (A. Gronin. *Shannon's Way*).

ولذا فان اسس تحليل النص تقضى بايجاد العــلاقة بــين ميزان الحرارة الفهرنهيتى وميزان الحرارة المئوى المستخدم فى الواقع العربى اذا كانت الترجمة تؤدى الى اللغة العربية .

وتختلف الألفاظ المعبرة عن الواقع البيئى والحضارى عن المصطلحات العلمية التخصصية . ان طبيعة مثل هذه الألفاظ ووظيفتها فى التعبير عن الخصائص القومية تحدان من امكانية انتشارها خارج حدود المجتمع الذى تصور واقعه ، أما المصطلحات العلمية فمن غير الممكن القول بانها ذات طابع قومى ، بل لا ريب فى أنها أصبحت ملكا للانسانية جمعاء ، لا سيما بعد ما يسرت سبل الاتصال المعاصرة تبادل انجازات مختلف العلــوم النظرية والتطبيقية . ومن ناحية أخرى فان انتشار المصطلحات العلمية مرهون بانتشار ما تعبر عنه من مفاهيم ، حين أن الألفــاظ المعبرة عن الواقع الحضارى والبيئى ترتبط دوما باسم الشعب الذى تصف واقعه . وهذا الانتماء لا يزول حتى لو لاقت بعض هذه الألفــاظ انتشــارا ما . فانتشار الـــ pizza كنوع من المأكولات على مستوى واسع لا يعنى عدم امكانية ارجاعها الى موطنها الأصلى ايطاليا ، وكذلك الحال بالنسبة للفظ pullover الذى يوصف دائما بموطنه انجلترا . وأخـيرا ، ان المصطلحات العلمية قوام لغة العلوم ، ومجالات استخدامها هو الكتابة العلمية ، واذا حدث واستخدمت فى الكتابات الأدبية ، فانها تســتخدم لأغراض تعبيرية . أما الألفاظ المعبرة عن الواقع البيئى والحضارى ، فتستخدم فى الكتابات الأدبية والاعلامية بصفة رئيسية وبهدف وصــف الواقع القومى .

واستخدام المصطلحات العلمية فى المؤلفات والبحــوث التخصصية لا يثير قضية فى مجال تحليل النص بقدر ما يرتبط بمشكلة ايجاد المقابــل له فى لغة الترجمة ، الأمر الذى ينضوى تحت أسس وطرق تركيب نص الترجمة ــ وهو ما سنعرض له فيما بعد . أما لجوء كاتب من الكتاب الى المصطلحات العلمية لخدمة أغراض تعبيرية فى السياق ، فهو أمر يستحق وقفة من المترجم : انظر استخدام مصطلح bacillus فى النص التالى :

«I'm scrapping with the matron. But I've cultured my bacillus again-a pure strain»

(المصدر السابق)

ومن بين وحدات الترجمة فى اطار تحليل النص على المستوى اللفظى أسماء الأعلام . من المعروف أن القاعدة العامة فى معالجة أسماء الأعلام أثناء الترجمة هى نقل هذه الأسماء بالكتابة الصوتية ذلك لأنها غير قابلة

للترجمة لخلوها من المعنى . غير أن واقع الممارسة العملية للترجمة يؤكد أنه من غير الممكن تطبيق هذه القاعدة على كل استخدامات أسماء الأعلام فى النص . فاذا حدث ، على سبيل المثال ، واقتصر المترجم على نقل اسمى Sir Toby, Romeo الواردين فى النص التالى :

«Dirk Stroeve had the passion of Romeo in the body of Sir Toby Belch» (S. Maugham. The moon and Sixpence).

بالكتابة الصوتية وحدها : فان القارىء لن يدرك الصورة الفنية التى يجسدها الكاتب فى شخص بطله من خلال الجمع فى التشبيه بين هيام روميو وبين المرح والكسل وادمان الخمر كمكونات لشخصية السير توبى فى مسرحية شكسبير « الليلة الثانية عشرة » . واذا نظرنا الى المؤلفات الأدبية عامة نجد أن الأدباء يستخدمون أسماء الأعلام من مشاهير السياسيين والفنانين والكتاب والشعراء وأبطال القصص والروايات المشهورين وغير ذلك من أسماء بهدف التصوير الفنى . غير أن استخدام أسماء الأعلام يختلف من نص الى آخر . فاستخدام اسمى روميو والسير توبى فى النص المشار اليه يجعل منهما عنصرين معنويين من عناصر المضمون لما يحملانه من وصف ذاتى يرجع فى الأساس الى ما عرف عن هاتين الشخصيتين من سمات . وقد يكون استخدام اسم العلم فى السياق بهدف وصف تفاصيل الصورة الأدبية التى يريد الكاتب صياغتها مثلما استخدم سومسرت موم اسم الفنان الاسبانى دييجوفيلاسكيس فى النص التالى :

«Here and there was an Italian cabinet surtmounted with Delft, and here and there a bas-relief. In a handsome gold frame was a copy of Velasquer, Innecent X, that Stroeve had made in Rome..» (S. Maugham. The moon and Sixpense).

ومن ناحية أخرى فان أسماء الأعلام قد تستخدم فى صيغة التصغير للتعبير عن علاقة الملاطفة أو التمليح أو التدليل وما الى ذلك من علاقات وفق مقتضيات الموقف . ويتضح هذا اذا قارنا بين موقفى المخاطبة بالاسم فى النصين التاليين :

«The boy's right bad, Robert. We have a car at the door and he's all wrapped in blankets..» (A. Cromin Shannon's Way).
«We have faith in you, Rob. Take a look at him, for pity's sake»

(نفس المصدر)

لقد كان المتحدث شخصا واحدا فى كلا الموقفين ، الا أن خطابه بصيغة التصغير فى النص الثانى يحمل ظلال المودة والرجاء معا ، الأمر الذى يستوجب الاهتمام أثناء تحليل النص . ان صيغ تصغير أسماء الأعلام ظاهرة موجودة فى كثير من اللغات ، واستخدامها فى النصوص الأدبية يبين عادة علاقة المتحدث بالمخاطب ، ومستوى ما بينهما من تعامل ، وبحيث تتراوح هذه العلاقة بين التعامل الرسمى والتعامل فى اطار الصداقة والود وصلة القربى . ان الكشف عن هذه العلاقة من خلال الموقف الذى تستخدم فيه صيغة تصغير اسم العلم — أمر ضرورى أثناء تحليل النص بغية الوصول الى التطابق بين النص الأصلى والنص المنقول اليه . من ناحية أخرى قد يلجأ الأديب الى استخدام أسماء معينة لأبطاله يستهدف من ورائها رسم ملامح الشخصية وسلوكها . وهذه الظاهرة جديرة بالاهتمام أثناء تحليل النص ذلك لأن اغفالها يؤدى الى تفريغ قصد الأديب من استخدام أسماء أبطاله من مضمونه .

والى جانب أسماء الأعلام التى يقضى تحليل النص بالتطرق الى ما وراء استخداماتها ، نجد مجموعة من الألفاظ فى اللغتين الانجيزية والروسية يستوجب الأمر تحديد مضمونها أثناء الترجمة من هاتين اللغتين الى اللغة العربية . وهذه الألفاظ هى cousin, niece, nephew, aunt, uncle فى الانجليزية ومثيلاتها فى الروسية plimiannitsa, plemiannik, tiotia diadia الى آخره . وهذه المجموعة من الألفاظ تعبر ، كما هو واضح ، عن علاقة القرابة ، الا أن السياق وحده هو العامل الحاسم فى تحديد هذه العلاقة وفق مقتضيات اللغة العربية . فالفرق بين uncle كعم و uncle كخال لا يتأتى الا من خلال السياق .

ومن بين وحدات الترجمة الواجب تحليلها على المستوى اللفظى كذلك الاختصارات مثل :

BST = British Summer Time, asf = and so forth

IUI = International Union of Interpreters.

وما الى ذلك . والاختصارات ظاهرة شائعة فى اللغات الأوربية ، ويقتضى الأمر فك رموزها والبحث عن سبل نقلها الى لغة الترجمة ولا سيما تلك التى نفتقر الى مثل هذا النوع من التعبير اللفظى . والجدير بالاهتمام أن النص له دور فى تحديد هذه الاختصارات ، ذلك لتوامق الكثير منها من

حيث مكوناتها من الرموز مع اختلاف المحتوى ، ومثال ذلك توافق رموز الاختصارات التالية :

IAF = International Aeronautical federation.

IAF = International Astronautical federation.

IAF = International Automobile federation.

وحدات الترجمة على المستوى الاعرابى :

الترجمة لا تتم — كما سبق وذكرنا — من خلال احلال لفظ محل الآخر . واذا كنا قد ركزنا على ضرورة أفراد نوعيات معينة من الالفاظ اثناء التحليل ، فان هذا لا يعنى أن الألفاظ هى مفتاح الأداء اثناء الترجمة. ان واقع الممارسة العملية للترجمة يؤكد أن المترجم فى تعامله مع النص ينطلق من وحدات أعلى من وحدات المستوى اللفظى — وهذه الوحدات هى وحدات المستوى الاعرابى . وتتطابق وحدات المستوى الاعرابى فى تحليل النص من وجهة نظر الترجمة مع تلك التى تناولناها أثناء الحديث عن وحدات مستويات بنية اللغة وذلك من حيث الشكل والوظيفة . فوحدات الترجمة على المستوى الاعرابى أما تكون فى شكل ووظيفة التراكيب اللفظية ، أو فى شكل ووظيفة الجمل . والتركيب اللفظى هو الوسط الرئيسى الذى يتبلور فيه معنى اللفظ . فمن المعروف أن الالفاظ تختلف من لغة الى أخرى من حيث حجم وامكانات المضمون المعنوى . فهناك الفاظ ترتبط بمعنى واحد فى لغة من اللغات ، حين يرتبط ما يقابلها فى لغة اخرى بعدة معان . ومن ناحية أخرى اذا كانت سمة اللفظ فى لغة وما يقابله فى لغة أخرى هى تعدد المعانى ، فليس بالضرورة أن تكون هذه المعانى المتعددة متطابقة من حيث الاستخدام . وتغطى المعاجم عادة عددا كبيرا من معانى اللفظ المتعدد المعنى ، الا أن ارتباط اللفظ بلفظ آخر أو اكثر فى تركيب لفظى هو وحده الكفيل بتحديد المعنى المقصود من خلال الاستخدام . فلفظ dry من بين الالفاظ المتعددة المعنى فى اللغة الانجليزية ، وترصد المعاجم الانجليزية — العربية عددا من المقابلات له فى اللغة العربية منها : الجاف ، اليابس ، العطشان ، التافه وغير ذلك من معان . غير أن ارتباط لفظ dry بلفظ آخر فى النص يعتبر حدا أدنى لتبين المعنى المقصود ، كأن نقول ، على سبيل المثال : dry bread (خبز ناشف أو خبز دون زبد) dry man (رجل جاف الطبع) dry book (كتاب غير شيق) dry Land (اليابسة) الى آخر ذلك من معان نابعة من خلال التراكيب اللفظية لهذا اللفظ .

والتراكيب اللفظية ليست لها سمة الافادة ، اذ أنها تعبر عن مفهوم قابل للتجزئة ، الأمر الذى يتضح لنا لو حللنا التركيب dry man ، حيث لا يخرج المفهوم عن الصفة وحاملها . ولا يكتمل معنى هـــذا التركيب الا بدخـــوله فى جملـــة ، حيث يعتبر مكونا من مكوناتهـــا كأن نقول He is a dry man . ومن هنا يمكن القول أن التراكيب اللفظية ، شأنها شأن الألفاظ ، تعد لبنة من لبنات بناء الجملة المفيدة . ان التركيز على التراكيب اللفظية أثناء تحليل النص لا يستهدف ايجاد المنطلق الذى يبدأ المترجم منه عمله ، بقدر ما يرمى الى التحرى من المعنى المقصود من اللفظ ، ولا سيما فيما يتطلق بالألفاظ المتعددة المعنى . أما الجملة فهى الوحدة الرئيسية بين وحدات الترجمة . ويرجع هذا الى طبيعة وظيفتها فى عملية الاتصـــال . فالجملة وحدة متكاملة مفيدة المعنى تستخدم فى صياغة الفكر والتعبير عنه ونقله للآخـــرين . والجملة هى الوســـط الأدنى لتبلور معـــانى الألفاظ والتراكيب اللفظية ولتجسد العلاقات بين المكونات ، الأمر الذى يؤدى الى تمام عملية الاتصال . والجدير بالاهتمام أن العلاقات بين مكونـــات الجملة — مثل علاقات الفاعلية والمفعوليـــة والحاليـــة وما الى ذلك من علاقات — غير متماثلة من حيث التعبير عنها فى اللغات المختلفة . فاذا كانت هذه العلاقات فى اللغتين العربيـــة والروســـية ترتبط بمؤشرات صوتية — الرفع والنصب والجر فى العربية ، والنهايات المورفيمية للأسماء فى الروسية — فانها لا تتكشف فى اللغة الانجليزية الى من خلال ترتيب الألفاظ فى الجملة : انظر الفارق بين استخدام لفظ water فى العبارتين التاليتين : We drink water و We water flowers daily ، اذ أن الاولى تعبر عن علاقة المفعولية ، أما الثانية فتشـــير الى علاقة الفعلية . وما من ريب أن العـــلاقات بين مكونات الجملة تعتبر مفتـــاح فهم المراد من القول ، ولذا تعتبر الجملة العنصر المتكامل فى النص الذى ينطلق منه المترجم فى تحليله . ومن ناحيـــة أخرى ، فاننا حين نترجم لا نصيغ سلسلة من الرموز أو التراكيب اللفظية المنفصلة عن بعضها البعض،بل نصيغ قولا مترابطا من مكونات مترابطة فيما بينها وفى قالب بنية خاصة — هى الجملة . ومن خلال الجملة أيضـــا يتحـــدد القصد من القول ســـواء كان القصد هو الاخبار ، أو التأثير فى القارىء (أو السامع) بالامر او الطلب أو النهى ، أو تلقى المعلومات مثلما فى الســـؤال والاستفسار ، أو التعبير عن الحالة الانفعالية العاطفية للمرســـل وغير ذلك من أغراض لا يمكن الكشف عنها الا من خلال الجملة . وقد تكون الجملة فى بعض الاحيان غير كافيـــة للوقوف على المعنى المراد للفظ . وفى مثل هذه الاحوال تقضى أصـــول تحليل النص بالانتقـــال الى الســـياق الاكبر ، ومثال ذلك تحديد معنى لفظ table فى الجملة التالية :

This table is out of place here.

فاذا كان السياق يدور حول ترتيب الاثاث أو تقييم هذا الترتيب ، فسيكون معناه « منضدة » أما اذا كان السياق يتناول مناقشة بحث من البحوث العلمية او مشروع من المشروعات ، فان المعنى يصبح « جدول » .

وعلى هذا النحو تعالج التراكيب اللفظية والجمل أثناء تحليل النص باستخلاص مكوناتها ، وتحديد العلاقات بين هذه المكونات من منظور أسس لغة الترجمة من خلال المقابلة بين عناصر النص الاصلى التى يستوجب وجودها ايجاد ما يقابلها فى اللغة المنقول اليها . غير أن هناك نوعية من التراكيب اللفظية والجمل تتطلب معالجة خاصة أثناء تحليل النص الامر الذى يؤثر بدوره فى ترجمتها اثناء اخراج النص بلغة الترجمة . ونقصد بهذه النوعية من التراكيب اللفظية والجمل العبارات المسكوكة والامثال والاقوال الشعبية والحكم والاقوال المأثورة . ان اغفال خصائص هذه الظواهر اللغوية أثناء تحليل النص يؤدى حتما الى احداث خلل فى عملية الاتصال ، ذلك لان عدم فهم خصائصها المعنوية وحقائق استخداماتها التعبيرية فى النص قد يوقع المترجم فى الزلل . واذ نحن بصدد التعرض الى هذه النوعية من وحدات الترجمة ، نود التنويه بأن الهدف من هذا العرض ليس الدراسة المقارنة بل الوقوف على النوعيات الرئيسية لهذه الظواهر اللغوية وتحديد خصائصها العامة فى اللغتين الانجليزية والعربية مع افتراض امكانية وجود نوعيات أكثر من مثل هذه الظواهر اللغوية فى اللغتين المذكورتين وفى غيرهما من اللغات .

العبارات المكسوكة :

تتميز اللغات بوجود عبارات مسكوكة بها — أى عبارات ثابتة الصيغة اللفظية فى قالب جاهز تعبر عن معنى يدخل معها فى علاقة ثابتة ، نتناقلها الالسن جيلا بعد جيل فى نفس هذا القالب الجاهز وبنفس العلاقة المعنوية الثابتة ، وتستخدم كوحدات متكاملة فى الكلام . وتشتمل هذه العبارات المسكوكة على نوعيات ثلاث هى التعابير الكنائية ، والتعابير المجازية ، والتعابير الاصطلاحية . ولكل من هذه النوعيات خصائصها المميزة من حيث البنية المعنوية . وما من ريب أن استخلاص العبارات المسكوكة أثناء تحليل النص وتحديد مضامينها ومواقف استخدامها وقدراتها التعبيرية — أمر بالغ الاهمية فى عملية الترجمة . فمن غير الممكن أن يعالج المترجم عبارة to put his nose in الواردة فى النص التالى :

«He stood on the landing outside his patents bed and dressing — rooms, debating whether or not to put his nose in and say a reassuring word» (J. Galsworthy. In Chancery).

بنفس نهج معالجته لعبارة «He stood on the Landing» الواردة فى ذات النص ، فينقلها متحريا معنى ما ورد بها من الفاظ لتصبح « وضع أنفه فى الداخل » ، الامر الذى يخل كلية بعملية الاتصال . فعبارة to put his nose in رغم تعدد ألفاظها تعبر عن مفهوم واحد (دخل ، أراه وجهه ، مثل أمامه) وتدخل فى هذه الجملة وفى غيرها من الجمل فى نفس هذا القالب الجاهز — مع امكانية ابدال الضمير his — كأحد عناصر الجملة المعنوية وفق مقتضيات الموقف .

وتتكون التعابير الكنائية والتعابير المجازية والتعابير الاصطلاحية من لفظين قائمين بذاتها كحد أدنى ولذ تماثل التراكيب اللفظية من حيث بنية الشكل ، حيث لا يكتمل استخدامها الا بالاسناد فى جملة مفيدة . وهناك سمات مشتركة تجمع بين التعابير الكنائية والتعابير المجازية والتعابير الاصطلاحية . وهذه السمات ، الى جانب تماثل بنية الشكل مع التراكيب اللفظية ، هى ثبات الصيغة اللفظية وارتباطها بمعنى ثابت ، وتناقل الاجيال لها فى قالبها الجاهز هذا . فالعبارة الانجليزية to rain cats and dogs على سبيل المثال ، كناية عن شدة هطول المطر — ثابتة القالب اللفظى ، ثابتة الارتباط بهذا المعنى ، ثابتة الاستخدام عبر الاجيال فى الموقف الذى يتطلب التعبير عن هذا المفهوم . ولو حدث وبدلنا لفظا بلفظ أو اضفنا أو حذفنا منها ، فان علاقة الثبات بين مجموعة المكونات اللفظية هذه وبين المعنى الكنائى للعبارة تنقطع ، وتصبح بالتالى تركيبا لفظيا عاديا يخضع تركيبه لمتطلبات الحدث الكلامى : أنظر قولنا to like cats and dogs. وكذلك الحال بالنسبة للعبارة العربية « رقم على الماء » ، والتى يكنى بها عن الحذق والفطنة ، لا تقبل تحريكا أو تحريفا فى مكوناتها ، والا انفصمت العلاقة بين تكوينها اللفظى الثابت وبين معناها الكنائى ، وبالتالى تصبح من التراكيب اللفظية العادية التى يخضع تركيبها لمتطلبات الحدث الكلامى . ولننظر فى آلية الحدث الكلامى كى تضح بعض المفاهيم المذكورة ويتبين الفرق بين التعابير الكنائية والمجازية والاصطلاحية وبين التراكيب اللفظية العادية .

حين يريد المرسل التعبير عن فكرة معينة ، فانه يلجأ عادة الى النماذج القواعدية الثابتة فى اللغة والمعروفة لكل أبنائها ليصيغ فكرته

مستخدما رموز اللغة فى تكوينات على شكل الفاظ وتراكيب لفظية وفق مقتضيات التعبير . فاذا أراد المرسل التعبير عن فكرة الذهاب الى مكان ما ، فانه يلجأ الى النموذج القواعدى الثابت « فعل + فاعل + اسم (جار ومجرور) » فى العربية (ذهبت الى البيت) أو النموذج «N (pron.) + V + N» فى الانجليزية (I want home).

وهذه النماذج القواعدية الثابتة نماذج مجردة تصلح لعدد لا يحصى من الصياغات اللفظية للحدث الكلامى وفق مقتضيات الموقف . ومن هنا يمكن القول بأن المرسل حين يريد التعبير عن فكرة يقوم باختيار النموذج القواعدى الثابت المناسب للموقف ثم يختار المادة اللفظية المناسبة لملء هذا النموذج القواعدى . والجدير بالاهتمام أن هذه النماذج القواعدية الثابتة من الخصائص المميزة للغات ، اذ أنها تختلف من لغة الى أخرى نتيجة ما درج عليه أبناء اللغة من عرف فى الاستخدام اللغوى . فالنموذج السائد للجملة الفعلية فى اللغة العربية على سبيل المثال هو « فعل + فاعل + اسم (اذا كان الفعل متعديا) » أما فى اللغة الانجليزية ، فنجد الجملة تبدأ بالاسم وفق النموذج التالى « اسم (أو ضمير) + فعل + اسم (اذا كان الفعل متعديا) » . ومن ناحية أخرى فان نموذج النعت فى الانجليزية هو «adj + N» حين نجده فى العربية « اسم + صفة » . فالنماذج القواعدية الثابتة تختلف باختلاف اللغات ، وان كانت ظاهرة التقديم والتاخير ظاهرة منتشرة فى لغات عديدة ، فان لها نماذج خاصة بها كذلك لارتباطها بمضامين خاصة .

ما يهمنا هنا أن المرسل يلجأ الى النموذج القواعدى الثابت للتعبير عن فكرته باختياره التجسيد اللفظى المعبر عن مفاهيم مكونات وعناصر الواقع المتناسبة مع ما يقصده من رسالته . غير أن اختيار المرسل للمادة اللفظية المجسدة لهذه المفاهيم ليس اختيارا مطلقا ، اذ أن هناك قيودا على هذا الاختيار نابعة من ضوابط منطق الاشياء فى الواقع . فالانسان كجزء من الواقع يمكن أن يقوم بعدد كبير من العمليات التى تجسدها مفاهيم الاكل والشرب والنوم والحركة الى آخره ، كما يمكن أن يوصف بالعديد من الصفات التى تميزه ظاهريا (الشكل ، البنية وأبعادها وما الى ذلك) أو داخليا (ما يتعلق بنفس الانسان وعالمه الروحى والذهنى وما الى ذلك) . وعلى هذا فان كل ما يعبر عن هذه العمليات والصفات من مفاهيم يمكن أن يرتبط بمفهوم الانسان انطلاقا من منطق الاشياء فى الواقع . ورغم امكانية ارتباط مفهوم الإنسان بعدد كبير من المفاهيم ، الا أن منطق الاشياء فى الواقع يفرض قيودا على هذا الارتباط ، ولذا لا نستطيع القول « انسان مورق » كما فى « شجرة مورقة » أو « انسان رطب » كما فى قولنا « هواء رطب » ، الا اذا كان ذلك من باب المجاز . وعلى هذا النحو يتم اختيار المرسل

للمادة اللفظية المعبرة عن مفاهيم مكونات وعناصر الواقع فى اطار ضوابط مقننة منطقيا . غير أن هذا لا يعنى أن المرسل مسلوب الحرية فى اختيار المادة اللفظية المناسبة لملء النموذج القواعدى الثابت لاخراج فكرته الى حيز الوجود . فحرية المرسل فى ربط ما يعبر عن المفاهيم بعضه ببعض حرية مقيدة بمنطق الاشياء فى الواقع ، ولكن حريته فى اختيار البدائل التى تعبر عن مفهوم واحد حرية مطلقة تعتمد على عدد هذه البدائل والقدرات الذاتية للمرسل فى الالمام بها ، وحسن اختياره لما يفيد منها أقصى حد من التعبير . فاذا أراد المرسل أن يعبر ، على سبيل المثال ، عن مفهوم « دون أن يلحظه أحد » ، فانه يجد نفسه أمام عدد من البدائل يمكن له أن يختار من بينها ما يتناسب وهدفه التعبيرى ، وهذه البدائل هى : سرا ، خفية ، خلسة ، متسترا ، بكتمان ، فى الخفاء ، فى السر ، فى طى الكتمان ، دون علم من أحد ، من وراء الظهر ، من تحت لتحت ، ولا من شاف ولا من درى وما الى ذلك من بدائل . وكذلك الحال بالنسبة للمرسل فى الانجليزية ، حيث سيجد نفسه أمام البدائل :

Stealthily, surreptitiously, secretly, in secret, behind somebody's back.

وغيرها من بدائل . واذا نظرنا الى هذه البدائل فى اللغتين نجد أن بعضا منها عبارة عن لفظ مرتبط بمورفيم (مؤشر النصب للدلالة على الحالية فى العربية ومورفيم -ly للدلالة عليها فى الانجليزية) ، والبعض الآخر عبارة عن تراكيب لفظية مكونة من حرف جر واسم مجرور أو مكونة من عدة الفاظ مختلفة الانتماء الى أقسام الكلام . والذى يحدث أن المرسل حين يريد التعبير عن مفهوم « دون أن يلحظه أحد » يختار ما يريد من بين هذه البدائل ، واذا وقع اختياره على تركيب من التراكيب اللفظية ، ولنقل « من وراء ظهره » ، فانه اثناء عملية الاختيار لا يفكر فى المكونات اللفظية لهذه العبارات ، ولا يتطرق الى ما بين الالفاظ من علاقات ، ولا ينظر فيما اذا كانت الروابط بين المفاهيم فيها متسقة مع منطق الاشياء فى الواقع ، اذ أنه لا يؤلفها فى كل مرة يريد التعبير فيها عن هذا المضمون وفق النماذج القواعدية الثابتة كما هو الحال بالنسبة للتراكيب اللفظية العادية ، بل يستخدمها فى قالبها اللفظى الجاهز هذا والذى تواتر من قبله على الالسن جيلا بعد جيل — هذا القالب ، الذى أصبح هو ومثيلاته من بين الثروة التعبيرية فى اللغة .

وهكذا نجد أن المرسل يستخدم فى ملء النماذج القواعدية الثابتة اثناء الحدث الكلامى مادة لفظية للتعبير عن فكره . وقد تكون هذه المادة الفاظا ينسج منها تراكيب لفظية وفق ما تقضى به ضوابط منطق الأشياء فى الواقع فى ارتباط المفاهيم بعضها ببعض ، وقد تكون هذه المادة من بين القوالب الجاهزة الثابتة الصيغة ، والتى درج أبناء اللغة على استخدامها جيلا بعد جيل دون مساس بتكوينها اللفظى أو بمضمونها العام . والجدير بالاهتمام أن المضمون يعتبر معيارا أساسيا من معايير التمييز بين التراكيب اللفظية التى يكونها المرسل أثناء الحدث الكلامى للتعبير عن فكره ، وبين تلك التى ينتقيها فى قوالبها اللفظية الثابتة سواء كانت تعابير كنائية ، أو مجازية ، أو اصطلاحية . فمضمون التركيب اللفظى الذى يكونه المرسل أثناء الحدث الكلامى هو محصلة مباشرة لما لمكوناته من معان . فاذا قلنا «ركب قطار الساعة الخامسة»فى العربية،او We shall miss the train فى الانجليزية ، فان مضمون التراكيب اللفظية الواردة فى هاتين العبارتين — وهى « ركب قطار » و « قطار الساعة الخامسة » و «we shall miss» و «miss the train» — ليس سوى محصلة لمعانى الألفاظ المكونة لهذه التراكيب والتى يمكن اسنادها الى الواقع . ولكن الأمر يختلف حين نقول : ركب ذنب الريح (بمعنى سبق ولم يدرك) أو « ركب جناحى نعامة » (بمعنى جد فى أمره) فى العربية و a train of thought (بمعنى تسلسل الأفكار) او all is now in train for (بمعنى على أهبة الاستعداد) فى الانجليزية . ان مضمون كل تركيب من هذه التراكيب لا يرتبط بمعنى كل عنصر لفظى مكون له على حدة ، بل ينبع من هذا التشكيل اللفظى ككل . ومن ناحية أخرى ، فاننا اذا كنا فى حالة « ركب قطارا » أو «miss the train» نستطيع أن نسند الى الواقع ما يعبر عنه كل لفظ من هذه الألفاظ من مفاهيم ، فاننا فى حالة « ركب ذنب الريح أو a train of thought لا نملك هذه الامكانية فمن الذى يمكنه ان يركب ذنب الريح ، ومن الذى يحوى رأسه قطارا ؟ ! ولنتطرق الآن الى نوعيات هذه الظواهر اللغوية .

يصادف المترجم أثناء تحليل النص تراكيب لفظية ثابتة القالب ، لا يمكن له استخلاص مضمونها العام من معانى مكوناتها اللفظية ، اذ أنها تستخدم كوحدة مركبة من وحدات اللغة يكنى بها متكاملة عن أشياء او أحداث أو حالات أو ظواهر الواقع . ويمكن ان نطلق على مثل هذه التراكيب مصطلح « **التعابير الكنائية** » . والسمة المميزة للتعابير الكنائيـة هى ان المضمون العام للتعبير لا يمكن له أن يتحقق فى النص الا بوجود قالبهما اللفظى الثابت ، فضلا عن عدم امكانية رد هذا المضمون العام الى معانى مكوناته اللفظية . فالتعبير الانجليزى a mare's nest يكنى به عن

السخافات والأباطيل ، وهذا المضمون العام له يدخل فى علاقة تبادلية مع تركيبه اللفظى بحيث يقضى وجود كل منهما وجود الآخر ، هذا الى جانب عدم أمكانية رد هذا المضمون الى معنى لفظى mare (فرس) أو nest (عش) . وينطبق هذا على التعابير الكنائية التالية : too far north (فى منتهى الخبث) to rain cats and dogs (مطر كأفواه القرب) to pay through the hose (دفع مبالغ طائلة) وما الى ذلك . والجدير بالملاحظة أن التعابير الكنائية قد تجمع فى نسيجها اللفظى بين مفاهيم قد لا تتفق ومنطق الأشياء فى الواقع ، ومثال ذلك التعبير الكنائى الانجليزى to bring (one's) heart into his mouth (جعل الدماء تجمد فى عروقه) حيث تتناقض مع منطق الواقع امكانية انتزاع القلب من خلال الفم .

والى جانب التعابير الكنائية توجد مجموعة من التعابير تسمى اشياء واحداث وحالات وظواهر الواقع من خلال صور فنية بيانية قوامها الاستعارة والتشبيه والمبالغة وغير ذلك من اساليب مجازية . يمكن أن نطلق على مثل هذه التعابير مصطلح « **التعابير المجازية** » . والتعابير المجازية مثلها مثل التعابير الكنائية ، ثابتة القالب اللفظى ، ثابتة العلاقة بين هذا القالب وبين المضمون العام الذى تعبر عنه . غير أن السمة المميزة لهذه النوعية من التعابير هى امكانية الوصول الى معناها العام ، لا من خلال معانى مكوناتها اللفظية ، بل من خلال الصورة الفنية المجازية الكامنة فى نسيجها . والجدير بالاهتمام أن الكثير من التعابير المجازية قد يحمل معنيين : أحدهما حقيقى والآخر مجازى ، ومثال ذلك التعبير المجازى الانجليزى to take the cake الذى قد يستخدم فى معناه الحقيقى (أخذ الكعكة) أو فى معناه المجازى (علت كلمته) : انظر كذلك التعابير المجازية to smell a rat (يشتم رائحة فأر — يستشعر مكروها) a dark horse (جواد غير معروف الهوية — شخصية غير معروفة الاتجاه) in the saddle (فى السرج — على استعداد للعمل أو يوجد فى السلطة) وما الى ذلك من تعابير مجازية . ودور الموقف كبير فى تحديد استخدام مثل هذه التعابير : انظر استخدام التعبير to small a rat فى المعنى المجازى فى المثال الأول وارتباطه بمعناه الحقيقى فى المثال الثانى :

When he comes in, we must be carful to talk and behave exactly the the same as usual, or he may smell a rat.

«Pinch (the dog) being discovered scratching up the earth close to the stable partition with a ferocity altogether foreign to his weak nature.

— «He smells a rat» — said Sam; «Good dog! fetch it out.» (J. Green-Wood. The true History of a little Ragamuffin).

ويمكن القول فى مثل هذه الأحوال بوجود ظاهرة الجناس homonymy بين التعابير المجازية وبين التراكيب اللفظية المشتركة معها لفظيا ، هـذا رغم الفرق الواضح فى استخدام هذه وتلك ، والذى يرجع — كما ذكرنا — الى آلية الحدث الكلامى وطريقة اختيار المرسل للقوالب اللفظية الثابتة . فالمرسل لا يلجأ عادة الى تكوين التعابير المجازية وفق النماذج القواعديـة الثابتة ، كما هو الحال بالنسبة للتراكيب اللفظية العادية ، بل يختارهـا جاهزة من بين بدائل الوسـائل التعبيرية فى اللغة . وللتشبيهات نصيب وافر بين التعابير المجازية ، الا أنها تتميز عن الأخيرة بعدم دخولها فى علاقة جناس مع التراكيب اللفظية المثيلة . وتستخدم التشبيهات كذلك فى قوالب ثابتة ترتبط بعلاقة تبادلية مع ما تحملة من مضمون ، فضلا عن أنها تتضـمن فى نسيجها الكثير من العناصر البيئية والحضارية التى يصيغ منها أبناء اللغة تشبيهاتهم : انظر التشبيهات الانجليزية as like as two peas (أشبه من المـاء بالمـاء) as brisk as a bee (كالنحلة) as old as Hills (عتيق كالجبال) وما الى ذلك من تشبيهات .

والجدير بالاهتمام أن هناك من بين التعابير الكنائية والتعابير المجازية عددا من المصطلحات التخصصية والتى تتسم بنفس خصائص هذين النوعين من سبل التعبير اللغوى ، وذلك من حيث ثبات القالب اللفظى وثبـات العلاقة المتبادلة بين هذا القالب وبين المضمون العـام ، ومثـال لذلك : monkey chatter (فى مجال اللاسلكى : التشويش الصادر من محطة ارسـال أخرى) Adam's apple (تشريح : الحرقدة ، تفاحة آدم) ague cake (طب : الطحـال المتضخم) وما الى ذلك من مصـطلحات تخصصية .

والنوعية الثالثة من التعابير هى **التعابير الاصطلاحية** وتتميز التعابير الاصطلاحية بانها تستخدم كذلك مثل التعابير الكنائية والتعابير المجـازية فى قوالب ثابتة التكوين اللفظى تدخل فى علاقة تبادلية ثابتة مع مضـمون محدد . غير أن التعابير الاصطلاحية تختلف عن النوعيتين السـابقتين من حيث بنية المعنى . فاذا كانت البنية المعنوية فى حالة التعابير الكنائية تقوم على عدم امكانية رد المضمون العام الى ما ورد فيه من معانى مكوناته ، وفى حالة التعابير المجازية تقوم الصورة الفنية البيانية بدور الموصل الى المضمون العام ، فان التعابير الاصطلاحية تنقسم الى نوعين من حيث البنية المعنوية — ويتضمن النوع الأول التعابير التى يستخدم أحد مكوناتهـا فى

معنى مجازى بينما تستخدم باقى المكونات فى معناها الحقيقى ومثال ذلك التعابير الانجليزية التالية : beef tea (مرق اللحم) social ladder (السلم الاجتماعى) cold weapon (السلاح الأبيض) to have no stomach (ليست لديه الرغبة) to lose (one's) temper (لم يتمالك نفسه) to suit (one's) book (اتفق وخططه) small hours (الساعات الأولى من الصباح) ، حيث تستخدم الألفاظ : small tea ladder stomach temper book استخدامات مجازية . كما تتضمن هذه المجموعة من التعابير الاصطلاحية عددا من المصطلحات التخصصية التى تتفق معها من حيث ثبات الشكل وثبات العلاقة بينه وبين المضمون الذى يقوم أساسا على استخدام مكون من المكونات اللفظية استخداما مجازيا مع استخدام بقية المكونات فى معناها الحقيقى ، وذلك كما فى : lifeless rubber (مطاط غير مرن) sentry box (مجموعة ضبط جهاز الاستقبال) cogwheel breathing (نفس متقطع) وما الى ذلك .

والنوعية الثانية من التعابير الاصطلاحية هى التعابير التى تخلو من العناصر المجازية ، ولكنها تتفق فى الوقت نفسه مع النوعيات السابقة فى عامل مشترك — الا وهو ثبات القالب اللفظى وثبات العلاقة بينه وبين مضمونها العام ، الأمر الذى يتيح امكانية استخدامها فى الكلام كقوالب لفظية متكاملة دون اللجوء الى تكوينها أثناء الحدث الكلامى كما هو الحال بالنسبة للتراكيب اللفظية العادية . ومن أمثلة هذه النوعية من التعابير الاصطلاحية فى الانجليزية to be in advance (كان فى المقدمة) all over (فى كل مكان) by force (بالقوة) to keep, him busy (شغله) to have no idea (ليس لديه فكرة عن) public opinion (الرأى العام) every day life (الحياة اليومية) وما الى ذلك . وتندرج تحت التعابير الاصطلاحية مجموعة المصطلحات التخصصية المثلة فى تراكيب لفظية ثابتة التكوين مثل : magnifying glass (عدسة مكبرة) centrifugal force (قوة طرد مركزى) وما الى ذلك من مصطلحات .

واللغة العربية بالغة الثراء بمختلف نوعيات العبارات المسكوكة سواء الكنائية منها على غرار : نقت عصافير بطنه (اشتد به الجوع) سقط قلبه (أصابه الهلع) طار غرابه (شاب شعره) وما الى ذلك ، أو المجازية منها مثل : أراه الكواكب ظهرا (جعل يومه مظلما بتعنيفة ومعاقبته) اصطكت ركبتاه (خاف وفزع) فضلا عن التشبيهات مثل : كالكابض على الماء (يرجو مالا يمكن له أن يحدث) كالمستغيث من الرمضاء بالنار

(استغاث بما هو أسوأ) . وتنفرد العربية دون غيرها من اللغات بالتشبيهات المبنية على صيغ المبالغة — وهى التشبيهات التى جاءت على وزن أفعل : أجود من حاتم ، أحول من ذئب ، أعز من بيض الأنوق وما الى ذلك (١) . كما تنفرد اللغة العربية كذلك دون غيرها من اللغات بوجود « المكنى والمبنى » . والمكنى هو عبارة عن أسماء الأشخاص والأشياء والمعانى أطلقها العرب مبدوءة بأب أو أم كما فى : أبو حباحب (النار) أبو عمرة (الجوع) أم الدماغ (الهامة) أم ليلى (الخمر) وما الى ذلك . أما المبنى فعبارات أطلقها العرب على الاشخاص والأشياء والمعانى مبدوءة بابن أو بنت كما فى : ابن الأيام (الجلد المجرب) ابن السبيل (الغريب) بنت الجبل (الصدى) بنت الشفة (الكلمة) وما الى ذلك (٢) . كما تزخر العربية بالتعابير الاصطلاحية التى تتميز باستخدام لفظ من الألفاظ فى معناه المجازى ، أما بقية المكونات اللفظية ، فتستخدم فى معناها الحقيقى مثلما فى : ضرب له موعدا ، أكلته النار ، رفع صوته — حيث تستخدم الأفعال استخداما مجازيا . كما لا تخلو العربية كذلك من التعابير الاصطلاحية الشائعة الاستخدام فى قوالب جاهزة مثل : لا رجعة فيه ، بادىء ذى بدء ، التزم الصمت وما الى ذلك .

وعلى هذا النحو نجد أن العبارات المسكوكة تشمل نوعيات مختلفة وفق العلاقة بين مكونات العبارة اللفظية وبين معناها العام والسمة المميزة لمختلف نوعيات العبارات المسكوكة هى ثبات القالب اللفظى وثبات العلاقة بين هذا القالب والمضمون العام للعبارة ، فضلا عن عرف الاستخدام الثابت وفق مقتضيات الموقف . ويقضى تحليل النص أثناء عملية الترجمة بضرورة تحديد العبارات المسكوكة والتمييز بين نوعياتها بهدف معالجتها بالسبل المناسبة أثناء اخراج النص بلغة الترجمة كى يتحقق التطابق بين النصين . والعبارات المسكوكة على اختلاف نوعياتها لا تخرج عن كونها تراكيب لفظية ، تدخل الجملة كمكون من مكوناتها ، مثلها فى ذلك مثل المادة

---

(١) انظر ما جاء على وزن « أفعل » فى مجمع الأمثال لأبى الفضل أحمد بن محمد النيسابورى المعروف بالميدانى . القاهرة ١٣١٠ هـ .

(٢) انظر جمهرة الأمثال لأبى هلال العسكرى على هامش مجمع الأمثال للميدانى ص ٢١ — ٢٩ من الجزء الأول . انظر كذلك : الأمثال فى النثر العربى القديم مع مقارنتها بنظائرها فى الآداب السامية الأخرى . د. عبد المجيد عابدين . دار مصر للطباعة . القاهرة ١٩٥٦ ص ١٠٥ — ١٠٧ والجدير بالاهتمام ان التعابير المبدوءة بأب وأم وابن وبنت شائعة الاستخدام فى العامية المصرية مثل : أبو عين نايمه ، أم قويق ، ابن أصول ، بنت أصول وما الى ذلك .

اللفظية المستخدمة فى ملء النماذج القواعدية الثابتة . وتختلف العبارات المسكوكة عن الأمثال والأقوال الشعبية والحكم والأقوال المأثورة . والتى تتفق من حيث الشكل والوظيفة والجمل المفيدة ، الا أنها تختلف عنها من حيث البنية المعنوية والقصد التعبيرى .

الأمثال والأقوال الشعبية والحكم والأقوال المأثورة :

تجسد هذه الظواهر اللغوية فى صورة فنية بليغة حياة أبناء اللغة ، ونظرتهم الى مختلف جوانب الواقع ، وتصوراتهم الأخلاقية والسلوكية والجمالية : ان الأمثال والأقوال الشعبية والحكم والأقوال المأثورة تمثل خلاصة فكر وتجربة أبناء اللغة على امتداد العصور ، وتسجل تقييمهم السلبى أو الايجابى لمختلف أحداث وظواهر الواقع فى عبارات موجزة بليغة الطابع ، فنية النسيج . والجدير بالاهتمام أن هذه الظواهر اللغوية تحتاج الى التطرق الى السمات والخصائص المميزة لكل منها ، ذلك لأن طرق معالجتها أثناء الترجمة تختلف نوعيا عن معالجة الجمل العادية . ان دقة النقل أساس التطابق بين النص الأصلى ونص الترجمة ، ولا تتأتى دقة نقل الأمثال والأقوال الشعبية والحكم والأقوال المأثورة الا بتحليل هذه الظواهر اللغوية والوقوف على خصائصها المضمونية . ان نقل الأمثال ، على سبيل المثال ، نقلا حرفيا يفسد النص ويلغى القيمة التعبيرية التى يقصدها المرسل فى رسالته الأصلية . ومن هنا فان التمييز بين هذه الظواهر اللغوية يعد من ضرورات تحليل النص اثناء عملية الترجمة .

من الملاحظ أن الكتب الجامعة للأمثال تخلط بين هذه الظواهر اللغوية ، هذا بجانب التداخل الذى نجده بينها وبين التعابير الكنائية والمجازية فى هذه الكتب . فاذا نظرنا الى مجمع الأمثال للميدانى وجمهرة الأمثال لأبى هلال العسكرى وغيرهما من كتب الأمثال الجامعة (١) ، نجد أنها لا تفرق بين الأمثال والأقوال الشعبية والحكم والأقوال المأثورة ، كما أن بعضا منها يتضمن تعابير كنائية ومجازية معتبرا اياها من الأمثال ، ذلك لأنها تتميز بما يتميز به المثل من حيث ايجاز اللفظ ودقة التعبير وروعة المجاز . ففى مجمع الأمثال للميدانى نجد تعابير كنائية ومجازية مثل : أكل

---

(١) مجمع الأمثال . أبو الفضل بن محمد النيسابورى المعروف بالميدانى وعلى هامشه : جمهرة الأمثال لأبى هلال العسكرى . القاهرة ١٣١٠ هـ — المستطرف فى كل فن مستظرف . شهاب الدين محمد بن أحمد أبى الفتح الابشيهى ج ١ القاهرة ١٩٥٢ . حدائق الأمثال العامية . فايقة حسنين راغب السفر الأول ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٩٣٩ . قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية . أحمد أمين ، الطبعة الأولى القاهرة ١٩٥٣ . الأمثال العامية . أحمد تيمور باشا . الطبعة الثالثة . القاهرة ١٩٧٠ . الأمثال الشعبية . محمد صفوت القاهرة ١٩٧٨ .

عليه الدهر وشرب (طال عمره ، بلى) ثار ثائره (استطار غضبا) جاء يجر رجليه (جاء مثقلا لا يقدر على حمل ما يحمل) هذا فضلا عن التشبيهات الواردة فيه على صيغة المبالغة « أفعل » . ان هذه التعابير ليست سوى تراكيب لفظية ثابتة القالب لا يكتمل اسنادها الا فى اطار الجملة المفيدة ، ولذا لا يمكن أن نساوى بينها وبين المثل العربى القائل « أول الغزو أخرق » أو الحكمة القائلة « الحسود لا يسود » . لا شك أن التعابير الكنائية والمجازية والاصطلاحية تشترك مع الأمثال والأقوال الشعبية والحكم والأقوال المأثورة فى صفات عامة هى ثبات القالب اللفظى وثبات العلاقة بين هذا القالب وبين المضمون ، وتناقل الألسن لها جيلا بعد جيل ، كما أن الصور الفنية البيانية تشكل نسيج الغالبية العظمى من هذه الظواهر اللغوية . الا أن هناك فروقا بينها من حيث الشكل اللغوى والمضمون الدلالى . فالتعابير الكنائية والمجازية والاصطلاحية — كما سبق وذكرنا — عبارة عن تراكيب لفظية تكتسب الاسناد فى اطار الجملة ، وتعتبر رمزا لمفهوم من مفاهيم تجسيد مكونات وعناصر الواقع من اشياء واحداث وأحوال وصفات وما الى ذلك . فتعبير « اكل عليه الدهر وشرب » تركيب لفظى لا يتحقق معناه الا باسناده لما طال به العمر أو بلى فى اطار الجملة ، وهو بذلك يعتبر رمزا لمفهوم « طول الأمد أو القدم » . أما الأمثال والأقوال الشعبية والحكم والأقوال المأثورة فعبارة عن جمل قائمة بذاتها ، مفيدة فى قصدها ، تعتبر رمزا لمواقف بمعنى العلاقات الموجودة فى الواقع — وهو ما يعرف بالمضرب . فحين ننظر الى المثل العربى « أول الغزو أخرق » نجد انه عبارة عن جملة مفيدة كاملة الاسناد ، ينطلق المرسل فى استخدامها من موقف معين — أو مضرب معين — يقتضى وصف تأثير قلة الخبرة والتجربة فى بداية عمل من الأعمال . ولا يختلف الأمر اذا تناولنا هذه الظواهر اللغوية فى اللغة الانجليزية . فالتعبير الانجليزى to move heaven and earth (أقام الدنيا وأقعدها) يرمز الى مفهوم « بذل كل ما يستطيع » ولا يكتمل معناه الا باسناده فى اطار الجملة كما فى :

«I moved heaven and earth to get him out of town and did not succeed..» (M. Twain. The Innocents of home).

أما المثل الانجليزى Fish begins to stink at the head فيرمز الى موقف يرتبط بالاشارة الى أن الفساد والعفن يبدأ من اعلى .

وعلى هذا النحو نجد أن الأمثال والأقوال الشعبية والحكم والأقوال المأثورة هى جمل مفيدة ترتبط عادة بموقف معين وتعتبر رمزا له . غير أن هناك خصائص ذاتية لكل نوعية من هذه الظواهر اللغوية ، ويقضى تحليل النص أثناء عملية الترجمة بالوقوف عليها لتأثيرها على طرق معالجة هذه الظواهر اللغوية ترجميا خلال عملية اخراج النص بلغة الترجمة . فالمثل — فى رأينا — هو عبارة ثابتة القالب اللفظى مصوغة فى شكل جملة مفيدة قوامها صورة فنية بيانية ، ترتبط بموقف معين وتحمل عادة معنيين : معنى

قريب نابع من معانى مكوناته اللفظية ، ومعنى بعيد قائم على علاقة بيانية ترمـز الى موقـف معـين . فـاذا نظـرنا الى المثـل الانجليـزى A bird in the hand is worth two in the bush نجد انه يحمل معنيين :
الأول معنى مباشر نابع من العناصر المعنوية لمكوناته اللفظية (طائر فى اليد خير من اثنين على الشجيرة) والمعنى الثانى — وهو معنى المثل — يرتبط بعلاقة بيانية أساسها التمثيل بموقف معين يقتضى القول بأن الشىء القليل المملوك خير من الكثير البعيد عن اليد . وتتضح ازدواجية المعنى هذه من الأمثال الانجليزية : All bread is not baked in one oven (لا يخبز الخبز كلـه فى فـرن واحـد — أصـابعك ليسـت مثـل بعضـها) He that will eat the Kernel must crack the nut من جد وجـد (من يريد أكل اللب فليكسر الجـوز When cats away, mice will play (اذا غاب القط لعب الفأر — خلا الجو له ممن يخشـاه) ومـن الأمثال العربية : ان الجواد قد يعثر ، كل فتاة بأبيها معجبة ، ما حك جلدك مثل ظفرك ، ومن الأمثال العامية المصرية : أول شيله فى الحج تقيله ، البحر ما يتعكرش من ترعه ، أردب ما هو لك تحضر كيله ، تتغبر دقنك وتتعب فى شيله ، وما الى ذلك من أمثال . وعلى هذا النحو نجد أن السمة المميـزة للمثل هى ازدواجيـة المعنى ، الا أن المعنى البعيـد هو المعـنى الأكثر استخداما لارتباطة الثابت بالقالب اللفظى المصوغ فيه المثل . أما القـول الشعبى فهو عبارة ثابتة القالب اللفظى مصوغة فى شكل جملة مفيدة ترتبط بموقف معين وتحمل معنى واحدا فحسب . وقد يكون هذا المعنى معنى مباشرا كما فى A friend in need is a friend indeed (الصديق من آساك فى الشدة) Who chatters to you, will chatter of you (من اغتاب الناس لديك ، اغتابك لديهم) Out of sight, out of mind (البعيد عن العين بعيد عن القلب) وما الى ذلك من أقوال . وقد يكون معنى القول قائما على صورة بيانية تخاطب العقـل بصورة غير مباشرة كما فى Charity begins at home (الأقربون أولى بالمعروف) The morning hour has gold in its mouth (البركة فى البكور) . ومن بين الأقوال فى العربية الفصحى أقوال مباشرة المعنى كما فى : هذه بتلك والبادى أظلم ، ليس الخبر كالعيان ، الأعمال بخواتيمها ، وأخرى يعتمد المعنى فيها على صور بيانية كما فى : ان كنت ريحا فقد لاقيت اعصارا ، لسان الجاهل مفتاح حتفه ، رب أخ لم تلده أمك وما الى ذلك من أقوال . وتزخر العامية المصرية بالأقوال الشعبية سواء المباشرة المعنى منها كما فى : شرط المرافقة الموافقة، الجوده من الموجودة ، العيب من أهل العيب ما هوش عيب ، أو تلك التى يقوم معناها على صور فنية مثلما فى : فرحة ما تمت خدها الغراب وطار ، الأرض تضرب ويا أصحابها ، ما يبكى على الميت الا كفنه وما الى ذلك من أقوال . وهكذا نجد أن الفارق بين المثل والقول هو احتمال المثل لمعنيين ،

احدهما قريب والآخر بعيد ، وتعبير القول عن معنى واحد فقط ، وقد يكون هذا المعنى مباشرا أو غير مباشر لاعتماده على صورة فنية بلاغية .

ومن الملاحظ وجود عبارات لا تختلف عن الأمثال والأقوال من حيث الشكل وبنية المعنى ، الا أنها تعبر عن معنى كلى ، أو مبدأ انسانى عام ، او قاعدة عامة . والسمة الغالبة على مثل هذه العبارات هى النغمة التأديبية التربوية بقصد النصح والارشاد والتنبيه . ومثل هذه العبارات تشكل مجموعة الحكم والتى لا تخلو منها لغة من اللغات . فالعبارة Always in a hurry, always behind تحض على التأنى اذ أنه فى العجلة الندامة ، كما تنبه عبارة Every extremity is a fault الى ضرورة الالتزام بالاعتدال حيث أن خير الأمور الوسط . وفى اللغة العربية كم وافر من الحكم المتنوعة الصياغة ، فمنها ما جاء على شكل الأمثال والأقوال كما فى : غبار العمل خير من زعفران العطلة ، قدر ثم اقطع ، لا جديد لمن لا يلبس الخلقا ، كل نفس ذائقة الموت ، الحسود لا يسود ، ومنها ما جاء شعرا كما فى :

ألا كل شىء ما خلا الله باطل
وكل نعيم لا محالة زائل

أو فى :

على المرء أن يسعى لما فيه نفعه
وليس عليه أن يساعده الدهر

وأما الأقوال المأثورة فهى عبارات ثابتة القالب اللفظى ثابتة العلاقة بين هذا القالب وبين مضمونها ، مثلما فى ذلك مثل الظواهر اللغوية المذكورة، الا أنها تتميز بمعرفة المصدر القائل لها . فالأقوال المأثورة عبارات جاءت على السنة الشخصيات التاريخية أو السياسية أو الأدبية أو الفنية الشهيرة ، فضلا عن تلك التى جاءت على لسان أبطال المؤلفات الأدبية المعروفين . فمن الأقوال المأثورة قول الكاتب والمفكر الفرنسى مونتسكيو a storm in a tea-cup (ذوبعة فى فنجان) وقول المركيزة بومبادور للويس الخامس عشر after us the deluge (ومن بعدنا الطوفان) وقول الامبراطور الرومانى فسبسيان لابنه المعترض على فرض ضريبة على دورات المياه العامة : money has no smell (النقود ليست لها رائحة) وقول يوليوس قيصر : Caesar's wife must be above suspicion (زوجة قيصر فوق الشبهات) وقول شكسبير على لسان هاملت : brevity is the soul of wit (الا يجاز روح الفطنة) وما الى ذلك من اقوال .

لا شك أن هناك حالات كثيرة من التداخل بين هذه الظواهر اللغوية. فهناك حكم وأقوال مأثورة انتقلت مع الاستخدام الى مستوى الأمثال والأقوال الشعبية ، كما أن هناك من الأمثال والأقوال الشعبية ما أصبح

مع الاستخدام أساسا للتعابير الكنائية والمجازية والاصطلاحية . غير أن هذه القضايا تخرج عن دائرة بحثنا هنا . فالقصد من التعرض لنوعيات هذه الظواهر اللغوية وتقسيمها من حيث الشكل والمعنى الى تعابير كنائية ومجازية وأصطلاحية والى أمثال واقوال شعبية وحكم وأقوال مأثورة — لا يستهدف سوى التركيز على ضرورة تحليل هذه الظواهر أثناء عملية الترجمة ، وادراك خصائصها توطئة لمعالجتها معالجة مناسبة أثناء عملية تركيب النص بلغة الترجمة ، ذلك لأن ايجاد المقابلات المناسبة لها يعتمد أساسا على سلامة تحديدها من بين مكونات السياق .

تحليل النص على المستوى المعنوى :

يتخلل المستوى المعنوى دون شك كل وحدات الترجمة . فالمعنى هو نقطة الانطلاق التى يبدأ منها المترجم عمله فى ايجاد المقابل اثناء الترجمة ، سواء كان هذا المعنى مرتبطا باصغر وحدة من وحدات الترجمة — من مستوى المورفيم — أو بأكبر وحدة من وحداتها — من مستوى الجملة أو السياق . ومن المعروف أن كل وحدة من وحدات اللغة بصفة عامة ، وكل وحدة من وحدات الترجمة بصفة خاصة (عدا وحدات المستوى الصوتى) تتكون من شكل ومضمون (مجمل المعانى الكامنة فى البنية المعنوية للوحدة اللغوية) . واذا كان الشكل الممثل فى التجسيد اللفظى يرتبط عادة بحدود رقعة جغرافية معينة — هى بيئة اللغة (انظر ارتباط اللفظ العربى بالمنطقة المعروفة جغرافيا بالعالم العربى بصفة رئيسية) ، الا أن المعانى لا تقيم حسابا للحدود نتيجة وحدة المفاهيم الكونية والحياتية ، ووحدة الظواهر البيولوجية والفسيولوجية والحسية والادراكية لدى البشر على اختلاف انتماءاتهم القومية — أى وحدة عناصر ومكونات الواقع كما أشرنا اليها من قبل . وعلى هذا النحو نجد أن المعانى تمثل أساسا للتفاهم بين الناس ، الأمر الذى جعل عملية الترجمة ممكنة عمليا . وقد يعتقد البعض بأن هناك لغة تحوى من المعانى ما يعكس قدراتها الفائقة فى التعبير عن كل شيء ، وأخرى يتعسر عليها ذلك لقصور امكاناتها المعنوية . ولكن الواقع هو أن من خصائص كل لغة ذات بناء نحوى امكانية وصف أية ظاهرة من ظواهر الواقع ، فى الوقت الذى لا يعنى افتقار اللغة الى ما يعبر عن مضامين الالفاظ الحضارية والمصطلحات الجديدة — تخلف هذه اللغة . ان هناك سبلا لمعالجة مثل هذه الظاهرة ، منها الاشتقاق والاقتباس واستخدام الأساليب الوصفية وما الى ذلك ، وكلها أساليب يلجأ اليها المترجم فى عمله كلما اقتضى الأمر ذلك .

وعلى هذا النحو نجد أن اللغات تختلف فيما بينها من حيث شكل التجسيد اللفظى ، وتتفق من حيث امكانات التعبير عن مختلف المعانى . غير أن هذا الاتفاق ليس اتفاقا مطلقا ، اذ أن كل لغة تعبر عن مكونات

وعناصر الواقع بطريقتها الخاصة تحت تأثير بيئة الشعب ، وموروثه الحضارى ، وتجاربه فى الحياة ، وقيمة وأخلاقياته . ويبدو تحليل ابناء اللغة لمكونات وعناصر الواقع الذى يعيشونه تحليلا خاصا بهم فى التطرق الى جزئيات تختلف من لغة الى أخرى (مثلما فى مسميات الخبز كما اشرنا الى ذلك من قبل) . ومن ناحية أخرى ، ينعكس تصوير أبناء اللغة لمكونات وعناصر واقعهم فى الامكانات والعلاقات المعنوية للالفاظ فى اللغات . فلفظ sprit فى الانجليزية يشكل نظاما معقدا من العلاقات المعنوية . ويعكس هذا النظام تعامل ابناء اللغة الانجليزية مع مفهوم sprit فى مختلف الاتجاهات البيئية والدينية والفكرية والحضارية الأخرى ، الأمر الذى يوضحه يوجين نايدا على النحو التالى (١) :

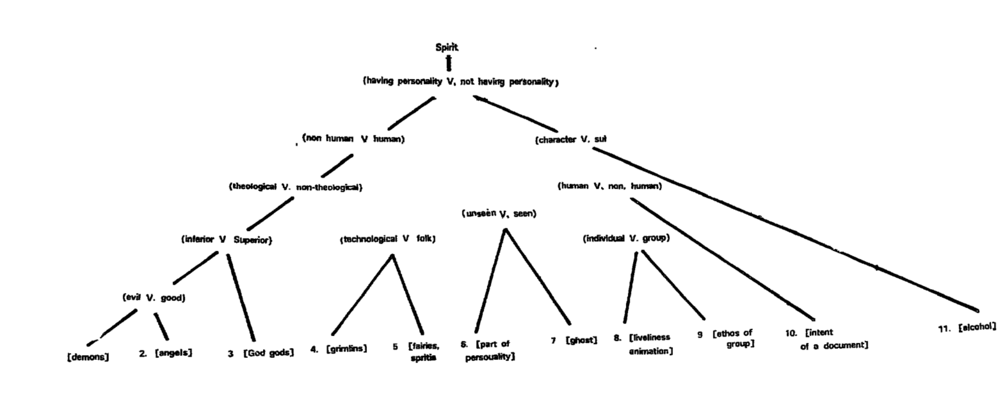
ولو قارنا بين الامكانات المعنوية للفظ sprit الانجليزى وبين مقابله فى العربية « روح » ، نجد توافقا فى بعض واختلافا فى أخرى ، ولا سيما فيما يتعلق بالتناول الدينى لهذا المفهوم . والجدير بالاهتمام انه كلما اتسعت امكانات اللفظ المعنوية ، زادت دائرة علاقاته بالألفاظ الأخرى ، وتنوعت تربة استخداماته ما بين الحقيقة والمجاز . وهذه الاستخدامات من الخصائص المميزة للغات ، اذ أنها وليدة العرف اللغوى فى مجتمع من المجتمعات ، ولذا قد تختلف من لغة الى أخرى . غير أن الفوارق بين المعانى واستخدامات اللفظ تزول عادة فى اطار الجملة . فالجملة هى وحدة الترجمة الرئيسية التى تتبلور فيها معانى الألفاظ باكتسابها صورة محددة المعالم من خلال الاستخدام . ونود الاشارة هنا الى أن نظرة المترجم الى تطابقات أو اختلافات معانى الألفاظ واستخداماتها تختلف عن تلك التى يعالج بها الدارس للغتين هذه الظواهر . فالدارس للغتين من منظور الدراسات اللغوية يعالج تطابقات وفوارق المعانى من خلال تعامله مع نظامين لغويين ، أما المترجم فيتعامل مع نص من النصوص . ولذلك فان تحليل النص أثناء عملية الترجمة على المستوى المعنوى ينصب على هذا النص ، ويستهدف الكشف عن نوعيات العناصر المعنوية المكونة لمضمونه واستخلاص الأسس التى تحكم ايجاد المقابل لها فى لغة الترجمة .

نوعيات المعانى الواردة فى النص :

يرتبط الرمز ارتباطا وثيقا بمعنى من المعانى ، ولولا هذا الارتباط لما كان من الممكن اعتبار الرمز رمزا . ومن ناحية أخرى فمن غير الممكن تصور وجود معنى دون وجود ما يرمز اليه . وعلى هذا فان العلاقة بين الرمز

---

(١) عن Susan Bassnett-Mc Guire Translation Studies. Methuen London / New York 1980, p. 20.



Spirit
(having personality V. not having personality)
(non human V human)
(character V. sul
(theological V. non-theological)
(human V. non. human)
(unseen V. seen)
(inferior V Superior)
(technological V folk)
(individual V. group)
(evil V. good)
[demons]
2. [angels]
3 [God gods]
4. [grimlins]
5 [fairies, spritis
6. [part of persouality]
7 [ghost]
8. [liveliness animation]
9 [ethos of group]
10. [intent of a document]
11. [alcohol]

ومعناه علاقة تبادلية ، حيث يفرض من خلالها وجود أى منهما وجود الآخر . ومعنى الرمز هو العلاقة بين التجسيد المادى للرمز وبين ما يرمز اليه من عالم الموجودات فى الواقع من أشياء ، وأحداث ، وحالات ، وظواهر ، وصفات وما الى ذلك . ويمثل مكون أو عنصر الواقع السند referent الذى يرتبط به اللفظ ارتباطا وثيقا . والسند هو مكون أو عنصر الواقع الذى يرتبط ارتباطا وثيقا بالتجسيد المادى للفظ ، والكامن فى وعى الانسان، والذى يشكل المحتوى المفهومى للفظ . ويحمل السند عادة سمة التجريد ؛ حيث يدخل فى علاقة ثابتة مع مجموعة متكاملة من التصورات الكامنة فى ذهن الانسان حول الشىء الواحد بغض النظر عن خصائصة ودقائق مميزاته . فلفظ table الانجليزى يرتبط بسند فى الواقع ، الا أن هذا السند يغطى كل شىء ينتمى الى هذا النوع من الأثاث . ولا يرتبط السند بعنصر واحد من عناصر الواقع الا فى السياق كأن نقول ، على سبيل المثال : The family sits at the table ready to eat. والعلاقة بين اللفظ وبين السند هى معناه الاسنادى .

ومن الممكن أن يكون للفظ معنى اسنادى واحد ، كما من الممكن أيضا أن تتعدد المعانى الاسنادية للفظ الواحد . غير أن المعانى الاسنادية ليست متطابقة تمام التطابق فى اللغات المختلفة . ويرجع ذلك الى رؤية أبناء اللغة للواقع وابراز خصائص معينة فى مكونات وعناصر الواقع . فالعلاقة بين لفظ glasses الانجليزية وبين سنده فى الواقع تقوم على أساس ابراز المادة المصنوع منها الشىء ، حين تقوم هذه العلاقة فى اللغتين العربية والروسية على ابراز وظيفة الشىء : « نظارة » فى العربية و Atshki فى الروسية . ورغم هذه الاختلافات فى ابراز هذه الخصائص ، نجد أن علاقة الاسناد فى اللغات الثلاث ترتبط بعنصر واحد من عناصر الواقع . ولا يقتصر تأثير رؤية أبناء اللغة لخصائص مكونات وعناصر الواقع على هذا المجال وحده ، بل يمتد ليشمل تعدد اتجاهات الاسناد . فلفظ leg يسند فى الانجليزية الى الجزء الممتد من أصل الفخذ الى القدم ، ويقابله فى العربية معنييان اسناديان هما « رجل » و « ساق » اذ أن أبناء العربية يرون فى « الساق » الجزء ما بين الركبة حتى القدم . ويمتد اسناد لفظ leg فى الانجليزية الى الارتباط بعناصر أخرى من الواقع ، من بينها « القائم ، الدعامة ، السند ، رجل البنطلون ، ضلع المثلث ، كوع وزاوية فى المجال التقنى » .وقد تلتقى هذه المعانى الاسنادية للفظ « رجل » العربى مع بعض هذه المعانى ، الا أنها تختلف فيما يتعلق بضلع المثلث والكوع والزاوية . ومن ناحية أخرى يتجه لفظ « رجل » العربى اتجاها آخر فى الاسناد ، حيث يعنى كذلك « الطائفة من الشىء » و « السهم والنصيب من الشىء »، الأمر الذى يخرج بامكاناته المعنوية من دائرة التطابق التام فى كل المعانى

الاسنادية للفظ leg الانجليزى . ونخلص من هذا بأن الألفاظ المتعددة المعنى فى لغتين من اللغات لا تتطابق فى كل معانيها الاسنادية . فسمة التطابق التام بين المعانى الاسنادية لا تميز الا نوعية واحدة من الألفاظ — ونقصد بها المصطلحات التخصصية ، حيث أن الصفة المميزة للغالبية العظمى من المصطلحات التخصصية هى التعبير عن معنى واحد محدد الاسناد .

وعلى هذا النحو يصادف المترجم فى النص الفاظا أحادية المعنى واخرى متعددة المعانى . ويقتضى الأمر اثناء تحليل النص ادراك الامكانيات المعنوية للفظ واستيعاب تأثير البنية المعنوية له فى اتجاهات استخداماته . فالبنية المعنوية للفظ من الالفاظ بنية معقدة . وهذا التعقد هو الذى يحدد شبكة الارتباطات المعنوية له بغيره من الألفاظ ، سواء كانت هذه الارتباطات فى اطار الاسناد الحقيقى ، أو بالخروج بالاستخدام الى حيز المجاز ، كما هو الحال بالنسبة للفظ spirit فى الانجليزية الوارد فى تحليل نايدا له من وجهة نظر تشعب قدراته المعنوية والتعبيرية ، أو كما يتبين لنا من تحليل الامكانات المعنوية للفظ « يد » فى العربية : فاليد — من أعضاء الجسد ، والمقبض ، والكم من الثوب ، والنعمة والاحسان ، والسلطان ، والقدرة ، والقوة ، والانصار ، والملك (هو فى يدى — ملكى) والطاعة والانقياد والاستسلام الى آخره من معان . ويؤكد واقع الممارسة العملية للترجمة أن اللفظ الأحادى المعنى لا يقابله بالضرورة لفظ أحادى المعنى مثيل له ، بل قد يقابله لفظ متعدد المعانى واسع الارتباطات المعنوية . ومن ناحية أخرى اذا تعددت المعانى للفظين فى لغتين ، فان هذا لا يعنى تطابقا تاما بينهما فى كل المعانى ومن ثم فى كل الارتباطات المعنوية . ان الأخذ فى عين الاعتبار بكل هذه الاعتبارات اثناء تحليل النص يسهم فى الوصول بالمترجم الى تحديد المعنى المقصود وايجاد المقابل المطابق له فى لغة الترجمة .

فى بداية حديثنا أشرنا الى أن الرمز يتكون من شكل ومضمون ، وأن المضمون هو مجمل المعانى الكامنة فى البنية المعنوية للرمز . فهناك الفاظ مركبة المعنى الاسنادى : فالفعل العربى « حدق » (شدد النظر) يصور الحدث وشكل حدوثه (انظر مقابله المركب المعنى فى الانجليزية to stare). ومن ناحية أخرى يحوى مضمون اللفظ معان من نوعية أخرى غير المعانى الاسنادية . وهذه النوعية من المعانى تستهدف التأثير فى المتلقى على نحو ما ، ولذا يمكن تسميتها بالمعانى التأثيرية pragmatic . واذا كانت العلاقة بين الرمز وبين مكونات وعناصر الواقع هى الأساس المنطقى

للمعانى الاسنادية ، فان المعانى التأثيرية تقوم أساسا على علاقة الانسان (المرسل) بالرمز الذى يستخدمه فى رسالته . وتشمل المعانى التأثيرية التضمينات connotations التى تشكل مكونات مــن مكونات البنيــة المعنوية للفظ وتؤثر فى القارىء تأثيرا انفعاليا — وجدانيا أو جماليا . فاذا نظرنا ، على سبيل المثال ، الى لفظى child و kid فى الانجليزية ، نجد أنهما يرتبطان بمعنى اسنادى واحد ، الا أن البنية المعنوية للفظ Kid تحوى تضمينا اضافيا يبين علاقته بأسلوب معين من أساليب الانجليزية ، وكذلك الحال بالنسبة للفظ « عين » فى العربية ، اذ أنه يلتقى فى معنى اسنادى واحد مع الألفاظ « مقلة ، طرف ، ناظرة » ، الا أن هذه الألفاظ الأخيرة تحتوى تضمينات اضافية تربط بينها وبين الاستخدام فى أساليب كتابية وشعرية ، فضلا عما تبينه من علاقة وجدانية . ولا شك أن لجوء المرسل الى اختيار لفظ من هذه الألفاظ ليس وليد العشوائية ، بل يقترن هذا الاختبار بقصد احداث تأثير معين فى المتلقى ، انظر ، على ســبيل المثال ، استخدام لفظ missus فى النص التالى بدلا من لفظ wife بقصــد التعبير عن جو الود والمازحة :

«I'll be over tomorrow, lad, and bring the missus.»» (A Gronin. Shannon's Way).

والجدير بالاهتمام أن هذه التضمينات ، التى تتشــابك فى البنيــة المعنوية للفظ مع العلاقة المنطقية بينه وبين عنصر الواقع ، لا تحمل سمة الذاتية — بمعنى أنها تقتصر على استخدام فرد أو عدة أفراد — بل هى تضمينات موضوعية الطابع ، حيث يدركها أبناء اللغة فى مجملهم . وتعتمد المعانى التأثيرية المرتبطة بالتضمينات الاضافية الكامنة فى البنية المعنوية للفظ والمستخدمة فى نص من النصوص — على مستوى ادراك المشتركين فى عملية الاتصال لها ، وامكانهم ردها الى ما ترمى اليه من مقاصد وأهداف تعبيرية .

والتضمينات الكامنة فى بنية اللفظ المعنوية اما تكــون تضــمينات اسلوبية الطابع واما تكون انفعالية وجدانية المحتوى . وتوضح التضمينات الاسلوبية علاقة اللفظ بأساليب اللغة . فاللفظ اما يكون من بين أكثريــة الفاظ اللغة الشائعة الاستخدام والتى تخلو من اية سمات تضفى عليهــا مميزات خاصة ، واما يكون من بين الفاظ الاسلوب العامى الدارج ، أو يكون لفظا من الفاظ أساليب الكتابة على اختلاف فنونها ، أو يكــون من الفاظ الأساليب البلاغية المستخدمة فى الخطابة والشعر وما الى ذلك ، كما يمكن للفظ أن يكون واحدا من المصطلحات العلمية التخصصية المستخدمة

فى الكتابات العلمية على اختلاف وجوهها . ومن ناحية أخرى ، اذا نظرنا الى لغة الحديث والتعامل اليومى فى لغة من اللغات ، نجد أن الفاظهـا متباينة من حيث الاستخدام ارتباطا بأعراف وتقاليد التعامل بين مختلف فئات وطوائف المجتمع . فلغة الموظفين لها من الخصائص ما يميزها عن لغة العسكريين ، وهذه وتلك تختلفان عن لغة الطوائف المهنية المختلفة ، ناهيك عن لغة الخارجين على القانون ، والشتائم والسباب على اختلاف انواعها ودرجاتها ، وغير ذلك من نوعيات .

وما من ريب أن الاسلوب الذى يستخدمه المرسل يعتمد بالمقـام الأول على نوعية النص ، وهو ما سنعرض له بالتفصيل فيما بعد . غير أن ما يهمنا هنا هو الاشارة الى التضمينات الاسلوبية الكامنة فى البنيـة المعنوية للفظ الى جانب معناه الاسنادى . غير أن واقع الممارسة العملية للترجمة يؤكد أن التضمينات الاسلوبية تتعدى حدود اللفظ الى السـياق ذاته ، وهو أمر بالغ الأهمية أثناء عملية التحليل . فعملية الاتصال تجرى فى مواقف متنوعة تفرض على المرسل اختيارات محددة من بين أساليب اللغة للتعبير عن قصده . وترتبط هذه الاختيارات بمقام register الكلام . والمقصود بمقام الكلام هو الموقف والظروف التى تستخدم فيها الألفاظ فى اطار السياق . فهناك ألفاظ تستخدم فى محيط الأقارب والأصدقاء ، وأخرى يجرى التعامل بها على نطاق أوسع سواء فى مجال العمـل والخدمـة الوظيفية ، أو فى حالة استهداف التوصيل لفئات عريضة من المتلقين . وتنقسم مقامات الكلام الى :

١ — مقام الكلام بلا كلفة familiar بين من يرتبط بهم المرء بعلاقات وطيدة تسمح بالتبسط فى الكلام ، مثلما فى الدعوة الى الدخول على النحو التالى : Get the hell in here!

٢ — مقام الكلام الطبيعى دون تكلف unembarrassed مثلما فى
Come in, will you ?

٣ — مقام الكلام المحايد الطابع — أى الذى يخلو من أية ايحاءات أسلوبية كما فى : Come in!

٤ — مقام الكلام الشكلى formal والذى يعتمد على مراعاة قواعد وأصول التعامل مثلما فى : Please, come in!

٥ — مقام الكلام الخطابى — البلاغى : rhetorical

ان الاختلافات بين صيغ الدعوة هذه ليست نابعة من اختــلاف فى القصد ، فكلها تعبر عن الدعوة للدخول الى مكان ، ولكنها تعود الى موقف وظروف عملية الاتصال وطبيعة المشتركين فى هذه العملية ، ودرجة العلاقة بين المرسل والمتلقى .

أما التضمينات الانفعالية الوجدانية فهى الارتباطات الايجابيــة أو السلبية التى يثيرها اللفظ فى ادراك أبناء اللغة والتضمينات الانفعاليــة الوجدانية توجد فى البنية المعنوية للكثير من الألفاظ التى تعبر عن مختلف الأحاسيس والمشاعر فى كل اللغات ، مثلما joy, pain, envy, hate, love — حب ، كراهية ، حسد ، الم ، فرح ، غضب ، حنق وما الى ذلك من ألفاظ تحمل هذه المعانى من بين أقسام الكلام المختلفة . والتضــمينات الانفعالية الوجدانية الكامنة فى البنية المعنوية لمثل هذه الألفاظ تتطابق فى اللغات عامة لارتباطها بمفاهيم لايخلوا من ادراكها مجتمع من المجتمعات البشرية . غير أن هناك نوعية أخرى من الألفاظ تعبر عن هذه التضمينات من خلال الاستخدام . فمن خلال الاستخدام يمكن لبعض الألفاظ اكتساب تضمينات انفعالية وجدانية تتسم بالثبات فى بنيتها المعنــوية الى جانب معناها الاسنادى . والى هذا يشير نايدا وتابر بقولهما : « أن الألفاظ التى تلازم ألفاظا أخرى ملازمة لصيقة أو تدخل معها فى ارتباط متبادل ، تكتسب من هذه الأخيرة تضمينات مختلفــة connotations . فلفظ green بالنسبة للكثيرين قد تأثر لوجوده فى التراكيب green, green with envy green fruit, green worker, at the gilfs . ومن مثل هــذه الارتباطات التقط لفظ green دون شــك بعض ظلال للمعنى الانفعــالى تبعث على الكآبة . » (١) وهكذا الحــال بالنسبة للتضمينات الانفعالية الوجدانية التى تحتويها البنيــة المعنوية للفظ « أسود » فى العربيــة ، والتى تولدت من استخداماته : أســود الكبد ، أسود القلب ، حقد أسود ، يوم أسود وغير ذلك من استخدامات : أنظر كذلك التضمينات الانفعالية الوجدانية السلبية المقترنة بلفظ « شمطاء » فى العربية ، رغم أن الاصل فى المعنى هو اختلاط البياض بالســواد فى الشعر ، ثم « حيزبون » ومقــابله hag فى الانجليزية و Karga فى الروسية . غير أن الامر لا يقف عند حد التضمينات الانفعالية الوجدانية السلبية وحدها ، اذ أن الكثير من الالفــاظ قد تكتسب من خلال الاستخدام

---

1. E. Nida and Ch. Taber. The Theory and Practice of Translation. Leiden. 1969. pp. 93 — 94.

تضمينات ايجابية الاتجاه . فلفظ « وديع » فى العربيــــة يحمل الكثير من التضمينات الايجابية مثل الرقة ، ودماثة الخلق ، والحلم وما الى ذلك : أنظر كذلك التضمينات الانفعالية الوجدانية الايجابية المرتبطـــة بلفظ « زهرة ــ «flower » فى الكثير من اللغـــات .

وتختلف التضمينات الانفعالية الوجدانية الكامنة فى البنية المعنوية للفظ بجانب معناه الاســنادى من لغة الى أخرى ، ولا سيما تلك التى تنبع من الارتباطات الذهنية النفســية لابناء اللغة . فلفظ « خنزير » فى العربية يثير الكثير من المشــاعر السلبية لدى أبناء العربيــــة من المسلمين ، حين أن مقابلاته فى اللغات الاوربيـــة لا تتضـــمن مثل هذه التأثيرات السلبية . واذا كان لفظ « غراب » يرتبط بتضمينات سلبية فى العربية والروســـية لرمزه الى الغربة والفراق والخراب ، فانه فى لغات أخرى قد لا يثير مثل هذه التضمينات . كما أن أبناء الشعوب التى لا تعرف السيول والفيضانات لا يؤثر فيهم انفعاليا لفظـــا « ســـيل » و « فيضان » مثلما يثير مواجع أبناء البيئات التى تتعرض لهما — ان الارتباطات الذهنية النفســـية ترجع بالمقـــام الاول الى الواقع البيئى والحضارى الذى يعيشـــه أبناء اللغة ، ومن هنا اختلافها بين لغـــة وأخرى . ومن ناحية أخرى تختلف التضمينات الانفعـــالية الوجدانية من لغة الى أخرى باختـــلاف قدرة اللغات على التعبير شكليا عن هذه التضمينات باستخدام صيغ اشتقاقية . ففى اللغتين العربية والروسية — كما سبق وذكرنا — تستخدم صيغ التصغير فى التعبير عن التلميح والتدليل وصغر الحجم والقـــدر وفق مقتضيات الموقف ، مثلما فى نهر — نهير فى العربية ، ومقابلة reka — retchka فى الروسية .

وعلى هذا النحو نجد أن الالفاظ تعبر من حيث التضمينات الانفعالية الوجدانية اما عن ارتباطات ايجابية ، واما عن ارتباطات سلبية ، وذلك الى جانب المعانى الاسنادية التى تبين العلاقة المنطقية بينها وبين ما ترمز اليه من مكونات وعناصر الواقع . غير أنه لا يمكن القول ان كل ألفاظ اللغة تندرج تحت النوعية الاولى أو تحت النوعية الثانية ، بل هنـــاك نوعية ثالثة من الالفاظ — وكمها كبير فى اللغـــة — لا تتدرج تحت هذه أو تلك ، اذ أن بنيتها المعنوية تخلو من التضمين الانفعالى الوجدانى .

ولا تقتصر المعـــانى التأثيرية على الالفاظ وحدها ، بل تشـــمل كذلك مستوى الســـياق . فالمعانى التأثيرية على مستوى السياق تواكب استخدام الوســـائل البلاغية فى التعبير مثل التشبيهات والاســـتعارات

والكنايات والمجاز بأنواعه المرســل والمركب والعقلى ، وكذلك المحسنات المعنوية كالتورية والطبــاق والمقابلة وما الى ذلك ، فضــلا عن المحسنات اللفظية مثل الجناس والسجع وما الى ذلك . كما تقترن المعــانى التأثيرية كذلك باستخدام التعابير الكنائية والمجاز والامثال والاقوال الشــعبية والحكم والاقوال المأثورة ، وكلها وســائل تستهدف التأثير فى المتلقى لما لها من قدرات تعبيرية وجمالية كبيرة . وتمتد المعانى التأثيرية لتشمل كذلك الاستخدامات البلاغية للصيغ النحوية مثل استخدام صيغ الاستفهام فى اللغة العربية فى غير أغراض الاستفهام ، والتقديم والتأخير ، والتأكيد وما الى ذلك ، وكلها صيغ تستخدم فى اللغــات وتحمل شــحنات تضمينات يتأثر بها المتلقى .

والنوعية الثالثة من المعــانى التى توضح العــلاقة بين الرمز وغيره من رموز اللغــة — ونقصد بها المعانى اللغوية . فما من لفظ تخلو بنيته المعنوية من الاشــارة الى انتمائه الى قسم من أقســام الكلام ، أو الاشــارة الى علاقات التذكير والتأنيث ، الافراد والجمع ، أو الاشارة الى علاقة الفاعلية — الفعلية — المفعولية فى الســياق وغير ذلك من العــلاقات النحوية المرتبطة بخصــائص نظم اللغات المختلفة . وادراك هذه النوعية من المعــانى وتحديد وظائفها تحديدا دقيقا أثنــاء تحليل النص — أمر ضرورى ، اذ أنها تشكل مع النوعيتين الاوليتين وحدة متكاملة فى بنيان النص . والجــدير بالاهتمام أنه اذا كان تحليل النص يقضى بالتحقق من المعانى اللغوية الواردة فى نسيجة لتوضــيح العلاقات بين مكوناته ، فان هذا لا يعنى نقل هذه المعــانى الى لغة الترجمة نقلا حرفيا . فاللغــات تختلف من حيث نظمها اللغوية ، ولذا فان تطبيق قواعد نظــام لغوى فى نص منقول الى لغــة أخرى يؤدى حتما الى ما يعرف بالحرفية القواعدية . ولذا فان نقطــة انطلاق المترجم فى نقل هذه النوعية من المعانى هى أصــول وقواعد اللغة المنقول اليها ، كما سبق وأشرنا أثناء الحديث عن وحدات الترجمة على المستوى المورفيمى .

بعد هذا العرض الموجز لنوعيات المعــانى التى يصادفها المترجم أثناء الاداء ، تبين أهمية الجوانب المعنوية فى معالجة النص . فالنص ، ومهما كانت نوعيته ، عبــارة عن وحدة تتشابك فيها عناصر معنوية متباينة الاهداف الاســنادية والتأثيرية واللغوية . وهذه العناصر تتداخل فيما بينها بحيث يجىء النص فى قالب من التناسق المعنوى .

كانت هذه هى مستويات تحليل النص أثنـاء الترجمة ، وهى المستويات التى ينطلق المترجم فى تحليل وحداتها — وحدات الترجمة — من ضرورة ايجاد مقابل لها فى لغة الترجمة . وتتـدرج هذه الوحدات من الوحدات الادنى ، متمثلة فى المورفيم ، الى الوحدات الاعلى ، والتى تتجسـد صياغتها اللغوية فى الجملة . هذا بجـانب الوحدات المتمثلة فى العبارات المسـكوكة ، والامثال والاقوال الشعبية ، والحكم والاقوال المأثورة — وهى وحدات ذات قوة تعبيرية كبيرة تقضى الضرورة بالوقوف عليها وايجـاد مقابلاتها فى لغـة الترجمة . كما تطرق التحليل الى المستوى المعنوى كذلك،والذى يعتبر بحق المستوى الشامل لكل الظواهر اللغوية التى يصادفها المترجم أثناء عمله . فمن خلال نوعيـات المعانى تتكشف عناصر المضمون باختلاف علاقاتها الاسنادية والتأثيرية ، ومن ثم تتضح الخصـائص الاسلوبية والوجدانية المرتبطة باللفظ كحـد ادنى وبالسياق كحد أعلى . وما من جدال أن الخصـائص الاسلوبية والانفعالية الوجدانية للفظ أو للسـياق تحمل طابعا لغويا وفوق لغوى فى آن واحد . اذ أنها من المنظور اللغوى انعكاس لموضـوعية الصـياغة اللغوية فى اطار اللفظ أو السـياق ، كما أنهـا من حيث المعنى فوق اللغوى ترتبط بعلاقة المرسـل باللفظ أو السياق وما تحدثه هذه العلاقة من تأثيرات فى المتلقى . ويمتد المعيـار فوق اللغوى هذا ليشمل المواقف التى يستخدم المرسـل فيها هذه الظواهر اللغوية وقصـده من هذا الاستخدام بحيث يأتى التأثير فى المتلقى من خلال المكونات اللغوية المرتبطة بمقام الكلام . ولا تقف العناصر فوق اللغوية عند الارتبـاط بالمستوى المعنوى وحده . ان المترجم يصـادف مثل هذه العنـاصر فيما يتضمنه النص من الفـاظ وتراكيب معبرة عن الواقع البيئى والحضـارى كذلك . ولا تقل معالجـة العناصر فوق اللغوية فى نص من النصـوص أثناء الترجمة أهمية عن معالجة مثيلاتها اللغوية ، ذلك لانهما معا تشـكلان وحدة متكاملة تخـدم أهداف المرسـل التعبيرية .

والى جانب مستويات التحليل المذكورة ينبغى الاهتمام بعناصر اللحن والتنغيم فى النص . صحيح أن هذه العناصر تبدو أكثر وضـوحا فى الحديث الكلامى الشفوى ، الا أن النصـوص المكتوبة (واذا استثنينا الشعر لاعتماده أسـاسا على الوزن والموسيقى) لا تخلو من الاشارات المعبرة عن تنغيم الجملة ، وجرس الكلام وايقاع السرد . فهناك اشـارات تبين الاستفهام والتعجيب والاستنكار ومط اللفظ صـوتيا ، هذا فضـلا عن تلك المؤشرات الصوتية المبنية على السجع وما الى ذلك من أشكال تضفى على النص نغمة خاصة .

ان تحليل النص يمثل مرحلة استيعاب المترجم لكل مكونات وعناصر المضمون الواردة فى النص المنقول منه ، وبحيث يكون هذا الاستيعاب استيعابا كاملا وعميقا ومبنيا على أسس موضوعية نابعة من خصائص اللغتين اللتين يتعامل معهما المترجم . وفى هذه المرحلة يحـــدد المترجم ما عليه نقلة الى لغـــة الترجمة من خلال نظام من المقـــابلات التى يقوم المترجم باختيارها فى بدء مرحلة التركيب — اى اخراج النص بلغة الترجمة . واختيار المترجم لهذه المقـــابلات يعنى انتقاله الى اللغـــة التى يترجم اليها ، وفى اطار أصـــولها وقواعدها وعرفها يصيغ ما خرج به من مضمون النص الاصلى من مكونات وعناصر . ولننظر الآن فى جوهر ومهام مرحلة التركيب .

مرحلة التركيب Synthesis

حين بدأنا الحديث عن عملية الترجمة اشرنا الى وجود مرحلتين من العمليات التى يمارســـها المترجم فى اطار هذه العملية . ولم نكن نقصد ، بطبيعة الحال ، وصف مرحلتين منفصلتين بعضهما عن بعض ، بمعنى أن المترجم ينتهى أولا من مرحلة ثم يبدأ الاخرى بعد ذلك . ان عملية الترجمة بالنســـبة للمترجم المتمرس عبـــارة عن مجموعة من العمليات التى يؤديها مرتبطـــة بعضها ببعض بدءا بتحليل مكونات النص وانتهاء باخراج النص بلغة الترجمة . الا أن واقع الممارسة العملية للترجمة يتيح امكانية التمييز بين مجموعة العمليات هذه ، والتى يقوم بها المترجم أثناء الاداء ، على أســـاس اختلاف الجوهر والمهام والاهداف ، ومن هنا كان تقسيم عملية الترجمـــة الى مرحلتين من مراحل الاداء ، لكل منها خصـــائصها ومشاكلها الملازمة لها ســـواء على المستوى النظرى أو على المستوى التطبيقى . ولعل العرض الســـابق لمرحلة تحليل النص يوضح اهمية هذه المرحلة فى الاعداد للمرحلة التالية من عملية الترجمة . ان مرحلة تحليل النص ترتبط ارتباطا وثيقا بمرحلة تركيب النص بلغـــة الترجمة ، اذ أن الهدف هو استخلاص ما يستوجب النقل الى هذه اللغـــة الامر الذى يمهد الطريق أمام المترجم لاختيار وســـائل وطرق هذا النقل بحيث يحقق التطابق بين النص المنقول منه والنص المنقول اليه . وعلى هذا فان جذور مرحلة التركيب جذور ممتدة عمقا فى مرحلة التحليل . ومن ناحية اخرى ، ان اى خلل يحـــدث أثناء مرحلة تحليل النص المنقول منه يؤدى حتما الى خلل مماثل فى تركيب النص المنقول اليه ، ولذا فان هناك مجموعة من الاخطـــاء التى يمكن أن نصـــادفها فى الترجمه ، ترجع فى الاســـاس الى قصور المترجم فى استيعاب النص الاصلى . ولكن هذا لا يعنى ان الاخطـــاء ترتبط كلها بمرحلة التحليل ، بل هنـــاك من

الأخطاء التى تصاحب مرحلة اخراج النص بلغة الترجمة ذلك . أن نظم اللغات تتسم بثبات رموزها وعلاقاتها ، الامر الذى يسمح بايجاد نظام منضبط من المقابلات يمكن من خلاله تحقيق التطابق بين نص الأصل ونص الترجمة . ولذا فان عدم اتقان المترجم للغتين اللتين يتعامل معهما أو قلة معرفته بالموضوع الذى يترجمه ، أو قصور خبرته فى الترجمة ، أو عدم المامه بعناصر ومكونات الواقع المرتبط بهذه اللغة وتلك — كل هذا يؤدى حتما الى الاخلال بالاسس الموضوعية للترجمة ، بمعنى الخروج عن الضوابط التى تحدد الاداء فى مرحلتى التحليل والتركيب الأمر الذى ينعكس صداه فى الإخطاء التى قد ترد فى النص المترجم .

وعلى هذا النحو نجد أن مرحلتى التحليل والتركيب مرتبطتين عضويا فيما بينهما داخل عملية الترجمة — وهى العملية التى يؤديها المترجم المتمرس متكاملة الجوانب ، متسلسلة الخطوات . وتؤثر مرحلة التحليل بنتائجها تأثيرا لا يستهان به فى مرحلة اخراج النص بلغة الترجمة . فمرحلة التحليل هى التى تحكم اختيار المترجم للمقابلات التى سيستخدمها اثناء تركيب نص الترجمة . ومن ناحية أخرى ، فان هناك عوامل أخرى عظيمة الاثر كذلك فى اختيار المترجم للمقابلات الترجمية . ومن أهم هذه العوامل التى تترك اثرا حاسما فى هذا الاختيار — الاطار العام للنص ونوعيته . ان نوعية النص هى التى ترسم الخطوط العريضة للاداء اثناء الترجمة ، حيث انها تحدد أطر اختيار المترجم لوسائل وطرق نقل مضمون النص الاصلى الى نص الترجمة .

نوعية النص :

تطورت الترجمة فى عالمنا المعاصر ، واصبحت أداة فعالة وضرورية فى كل مجالات النشاط الانسانى ، الامر الذى انعكس بدوره على تنوع النصوص التى تعالجها الترجمة . فاننا اليوم نلحظ حضور الترجمة فى كل احتياجات الانسان الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية ، وتباينت نوعيات النصوص ما بين الخبر الصحفى المقتضب ، والنصوص الادبية والعلمية ، والنصوص المذاعة السمعية والمرئية على اختلاف اشكالها والوانها . كما اصبحت الترجمة لا تعرف الزمان أو المكان ، فهناك الكثير من النصوص التى لا تنتمى الى عصرنا تاريخيا ، وأخرى تتم ترجمتها من لغات شعوب تعيش فى مختلف أرجاء المعمورة دون أن تقف العوامل الجغرافية والحضارية

جائلا امام ذلك . ومع هذا التطور الكمى والنوعى الذى تشهده الترجمة فى عالم اليوم ظهرت الحاجة الى تنظير نوعيات النصوص ، ووضع الاسس المنهجية التى ترسم للمترجم خطاه اثناء الاداء ، وتتيح امكانية تحديد المعايير التى يمكن من خلالها الحكم على الترجمة وتقييمها من منظور التطابق بين النص الاصلى ونص الترجمة .

ان كل نوعية من النصوص تتميز بسمات خاصة بها . وهذه السمات تفرض متطلبات محددة على عملية الاداء الترجمى — اى عملية اخراج النص بلغة الترجمة . فترجمة النصوص الاعلامية تختلف عن ترجمة النصوص العلمية من حيث طرق واساليب الاداء . وتختلف مواقف الباحثين من نوعيات النص باختلاف مناهج بحثهم النظرية . ففى اطار نظرية الاتصال يرى أولبرخت نويبرت (١) أن كل نص من النصوص ، ومهما كانت نوعيته ، يتضمن عناصر تأثيرية pragmatic متمثلة فى التعبير عن الاحتياجات والاهداف والمقاصد الاجتماعية والذاتية ، ولذا يدخل النص فى علاقة تأثيرية مع المتلقى . وتتنوع العلاقات التأثيرية للنص بتنوع النصوص . وتنبع هذه العلاقة التأثيرية من اختيار المرسل لمجموعة من الصيغ اللفظية والاسلوبية واستخدامها فى اغراض محددة . وتنقسم العلاقات التأثيرية الى أربعة أنواع رئيسية تحكم الاداء فى الترجمة ، ولذا يمكن الربط بينها وبين أربعة أنواع للترجمة .

يشمل النوع الاول من العلاقات التأثيرية مجموعة النصوص التى يتطابق فيها النص الاصلى ونص الترجمة من حيث الاهداف ، فضلا عن وحدة الاحتياجات المشتركة (أو الاحتياجات الكامنة المشتركة) لمثل هذه النصوص . ومن الطبيعى إلا يكون النص الاصلى مخصصا للمتلقين من أبناء لغة الترجمة ، ولكنه يعنيهم من وجهة نظر العلاقات التأثيرية . ويتضمن هذا النوع النصوص العلمية والنصوص التقنية ونصوص الاعلانات الدعائية (الاعلان عن السلع وما الى ذلك)

---

1. A. Neubert. Pragmatische Aspekte der Übersetzung. In : Grundfragen der Übersetzungswissenschaft. «Fremdsprachen». B. II, Leipzig, 1968. ss 21 — 33.

انظر
ترجمته المنشوره تحت عنوان « الجوانب التأثيرية للترجمة » فى كتاب « قضايا نظرية الترجمة فى الدراسات اللغوية الأجنبية » . دار « العلاقات الدولية » للنشر موسكو ١٩٧٨ ص ١٨٥ — ٢٠٢ .

وتندرج تحت النوع الثانى النصـــوص التى تتضمن معلومات (مثل التوجيهات والتعليمات ، والاوامر الادارية والرسمية ، والكتابات المسلية وما الى ذلك ، ونصوص القوانين ، والجزء الاعظم من الكتابات السياسية والاقتصادية ، ونصوص الصـحافة المحلية والاعلانات غير الدعائيـة (كالاعلان عن الوظائف وما شـابه ذلك) . ومثل هذه النصـوص تنبع من الاحتياجات الخاصـة لابناء لغة الاصـل وفى اطار مواقف تاريخية واقتصادية وسـياسية وثقافية معينـة ، ولذا فانها نصـوص تتميز بخصوصية الاهداف ، ولذا لا يمكن أن تجمع بينها وبين المتلقين من ابناء لغة الترجمة نقاط مشتركة .

ويشمل النوع الثالث النصـوص الادبية . وتتفق هذه النوعية من النصوص مع نصـوص النوع الثانى فى الكثير ، من حيث انها وليدة موقف اجتماعى معين ، فضـلا عن أنها تعكس خلفية لغة الاصـل . غير أنها تختلف اختـلافا جذريا عن النوع الثانى من النصـوص بتعديها محدودية لغـة الاصل وخروجها عن حيز الزمان والمكان لتكتسب قيمة فنية بالنسـبة لجميع الناس . ان هذه النوعية من النصـوص تعد ناتج الابداع الفني ، كما أنها تعبر عن احتياجات انسـانية عامة ، وتصبح (أو يمكن أن تصبح) جزءا من الآداب العالمية دون أن تفقد الخصـائص القومية التى تعبر عنها لغة الاصـل . وهذا يجعلها تختلف عن نصوص النوع الاول ، حيث أنها تستهدف ولا تستهدف المتلقين من أبناء لغـة الاصل فى آن واحد ، فى حين أن نصـوص النوع الاول تستهدف المتلقين بلغة الاصل فى الاساس .

ويتضمن النوع الرابع النصـوص المعدة بلغة الاصـل والمخصصة بصفة رئيسـية للترجمة الى لغة أخرى . وتنطلق هذه النصـوص من الحاجة الى اعلام المتلقين من ابنـاء لغـة الترجمـة بأحداث تتعلق بواقع لغة الاصـل أو واقع لغة الترجمـة ولكن من وجهة نظر أبناء لغة الاصـل . ومن أمثلة هذه النوعية النصـوص المخصصة للبلدان الاجنبية كالمجلات وغيرها من كتابات .

ثم ينتقل نوبيرت بعد ذلك الى الربط بين هذه النوعيـات وبين امكانية الترجمة ، فيؤكد أن المقدمة الضرورية للتكافؤ فى الترجمـة هى تحديد نوعية النص من حيث العلاقات التأثيرية . ولامكانية الترجمـة درجات من وجهـة نظر تحقيق العلاقات التأثيرية أثناء الاداء . ومن الممكن تحقيق أعلى درجة من درجات امكانية الترجمة من حيث العلاقات التأثيرية

فى النوعية الاولى من النصـــوص . (النصوص العلمية ، والتقنية ، ونصوص الاعلانات الدعائية) وان كان المترجم قد يلجـأ أثناء ترجمة هذه النوعية من النصـــوص الى العديد من التغييرات أو الاختصـــارات او ابدال مواضع بعض العناصر ، الا أن وحدة الاهداف والمقاصـــد فى مثل هذه النصـــوص لدى المتلقين فى كل من لغـــة الاصل ولغـــة الترجمة تجعل من ترجمة نصـــوص هذه النوعيـــة ترجمة فعالة ومؤثرة ، وذلك يتعلق ، كما يقول نوبيرت ، بوجود المترجم « المثالى » ، الذى يتمتع بأقصى قدر من المعارف اللغوية والمعارف المتخصصة .

والدرجة التالية لامكانية الترجمـــة تتحقق فى نصـــوص النوع الرابع (النصـــوص الموجهـــة للمتلقين من ابناء اللغات الاجنبية) وتعتمد هذه الدرجة العالية لامكانية الترجمـــة على التنسيق والتعاون بين المترجم وبين الجهـــة التى تصدر هذه النصـــوص أو مؤلفها — وهو التعاون المبنى على المعرفة بالموضـــوع والثقة بين الاطراف .

والنوع الثالث من النصـــوص (النصوص الأدبية) قابل كذلك للترجمة ، وان كان ذلك مع وجود قيـــود كبيرة من وجهـــة نظر مكونات الشكل . ان مكونات الشـــكل فى النص الادبى لا تقتصر على أدائها وظيفة مساعدة فى النص ، بل تعتبر كذلك جزءا من المضمون . وأعلى درجات امكانية الترجمة بين نصـــوص هذه النوعيـــة من نصيب النثر والمؤلفات المسرحية .

أما النوع الثانى من النصـــوص (التوجيهات والتعليمات والاوامر الرسمية ، ونصـــوص القوانين ، والكتابات الصحفية المحلية ، والاعلانات غير الدعائية) فانها تعبر عن علاقات تأثيرية غير قابلة للترجمـــة . ولكن هذا لا يعنى عدم امكانية ترجمـــة هذه النصوص وما تعبر عنه من علاقات . الا أن عدم قابلية مثل هذه النصـــوص ترجع بالمقـــام الاول الى صعوبة حصر نقـــاط تأثيرية مشـــتركة فى لغة الاصـــل وفى لغة الترجمة . ولذا فانه لو تمت ترجمـــة مثل هذه النصـــوص ، فانها ستعبر عن أهداف غير متجانســـة نتيجة اختلاف العناصر التأثيرية لدى أبناء اللغتين .

وعلى هذا النحو يربط أولبرخت نوبيرت بين نوعيـــات النصوص والعلاقات التأثيرية — بمعنى الاحتياجات الاجتماعية أو الذاتية والاهداف والمقاصد التى تعبر عنها كل نوعية من النصـــوص ، ثم يتطرق الى قضـــية هامة من قضـــايا الترجمة — هى قضـــية قابلية الترجمة translatability /

عدم قابلية الترجمة untranslatability (وسوف نعرض لها بالتفصيل فيما بعد) . إن قضية قابلية الترجمة / عدم قابلية الترجمة تنحصر من وجهة نظر نوبيرت فى مجال نقل العلاقات التأثيرية من لغة الى أخرى ، ولذا فان النصوص تستهدف بتأثيرها ابناء الاصل ، مثلما فى نصوص النوع الثانى ، هى نصوص غير قابلة للترجمة لانها مخصصة فى الاساس لهم وحدهم . ومن ناحية أخرى ، ان نوعية العلاقات التأثيرية هى التى تحدد فى رأى نوبيرت مختلف درجات امكانية الترجمة — وهى الدرجات ، التى تتفاوت وفق تباين الاحتياجات والاهداف والمقاصد المشتركة فى لغتى الاصل والترجمة .

من البدهى أنه ما من نص من النصوص يخلو من صياغة أسلوبية تضفى عليه شكلا يميزه عن غيره من النصوص ، وتضعه هو ومثيلاته فى دائرة واحدة من العلاقات المتشابهة والسمات المشتركة بحيث نجد أمامنا نوعية مميزة الخصائص من النصوص . فمن خلال هذه الصياغة الاسلوبية والعلاقات المتشابهة والسمات المشتركة يمكن لنا تحديد هوية النص ، ودون اغفال ، بطبيعة الحال ، للمضمون : فهذا نص اعلامى ، وذاك أدبى ، وثالث علمى وهكذا دواليك . كما أن النص ، ومهما كانت نوعيته ، لا يخلو من عوامل الاحتياجات الاجتماعية أو الذاتية ، كما لا يخلو كذلك من الاهداف والمقاصد . فالحدث الكلامى لا يؤدى من أجل الحدث الكلامى فى حد ذاته ، بمعنى أن الكلام لا يؤدى من أجل الكلام ، كما أن الكتابة لا تؤدى من أجل الكتابة . فالحدث الكلامى يستهدف نقل المرسل لقدر معين من المعلومات الى المتلقى ، فضلا عن امكانية احداث تأثير معين فى السامع أو القارىء . ومن ناحية أخرى ، فان العلاقات التأثيرية يمكن اقتفاء أثرها على مستويات عدة من التعبير اللغوى . فهى — كما أوضحنا أثناء تحليل النص — تشكل عنصرا من عناصر نسيج النص ، بجانب ادراكها فى اطار العلاقة بين المرسل والنص ككل والمتلقى ، ولكنها ، سواء كانت من بين مكونات بنية النص الداخلية أو عنصرا نابعا من النص ككل ، ليست سوى جزء من مجموعة متشابكة ومعقدة من العناصر المضمونية . ولذا فان التطابق فى الترجمة لا يمكن أن يقوم عليها وحدها وأغفال دور العناصر الاخرى ، والا نكون قد خرجنا بالترجمة من حيز عملية نقل كل ما ورد فى النص الاصلى من أجزاء وجزيئات مضمونية الى مجال آخر غير عملية الترجمة — ونقصد به مجال صياغة ما ورد فى النص من أفكار صياغة جديدة هدفها التأثير فى المتلقى .

والى جانب ذلك ، ان ردود فعل المتلقى الناتجة عن تأثره

بالترجمة ، رغم أهميتها بالنسبة لتقييم الهدف من الترجمة ، لا يمكن أن تصبح معيارا أساسيا للحكم على تطابق النصين المنقول منه والمنقول اليه . كما أن ردود فعل المتلقى لا تصلح كذلك منطلقا للحكم فى قضية قابلية الترجمة / عدم قابلية الترجمة بالنسبة لهذا النص أو ذاك ، ناهيك عن تحديد درجات مستوى امكانية تحقيق التكافؤ فى نقل العلاقات التأثيرية من ردود فعل المتلقى للترجمة . ان عملية الترجمة تقوم على أسس موضوعية متمثلة فى سلامة تحليل النص وايجاد المقابلات لعناصر النص الاصلى فى لغة الترجمة ، بجانب العوامل الذاتية التى تتعلق بالمترجم من حيث القدرة على اخراج النص فى صياغة لغوية واسلوبية سليمة ، الامر الذى يعتمد على مستوى مهاراته فى استخدام الوسائل التعبيرية للغة ، التى يترجم اليها ، ومعرفته بالاطر الانضباطية فى صياغة كل نوعية من نوعيات النصوص .

ان تحديد نوعية النص أمر بالغ الحيوية فى اختيار وسائل الترجمة . ويتلقى المترجم أثناء مرحلة التحليل تصورا كاملا عن نوعية النص الذى يترجمه . ونوعية النص كما تقول كاتارينا رايس —(١) بمثابة صمام الامان الذى يحكم الاداء أثناء الترجمة . وجدير بالاهتمام تناول كاتارينا رايس لنوعيات النصوص بالتوصيف ، ذلك لانها تركز على لغة النص . فالمعيار الضرورى الانطلاق منه فى تحديد نوعية النصوص — هو مادة النص ، أى لغته . وبما أن النص لا يمكن أن يكون له وجود الا بوسائل اللغة ، فمن الضرورى التعرف على الوظائف التى تؤديها اللغة فى النص . ووظائف اللغة هى الوصف بمعنى نقل المعلومات ، والتعبير بمعنى الرمز الى الانفعالات الوجدانية والتأثيرات الجمالية ، والمخاطبة بمعنى الدعوة الى فعل أو رد فعل . ولا تتساوى هذه الوظائف الثلاث نوعيا فى مختلف الوسائل اللغوية ، حيث تختلف الوسائل باختلاف الوظيفة . ومن ناحية أخرى ، نجد أن وظيفة من هذه الوظائف هى الغالبة فى نص من النصوص . ففى نص تغلب وظيفة الوصف ، وفى آخر تغلب وظيفة التعبير وفى نص ثالث تكون الوظيفة الغالبة هى مخاطبة السامع أو القارىء . وان كان النص يحمل بين ثناياه عادة التعبير عن وظيفة واحدة من هذه الوظائف ، الا أن واقع

---

1. Katharina Reiss. Möglichkeiten und Grenzen der Übersetzngskritik. München. 1971. ss. 24 — 52.

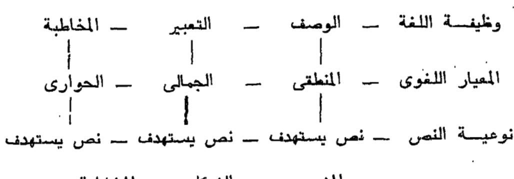
- انظر ترجمته فى تحت عنوان « تصنيف النصوص وطرق الترجمة » فى كتابه « قضايا نظرية الترجمة فى الدراسات اللغوية الاجنبية » دار « العلاقات الدولية » للنشر . موسكو ١٩٧٨ ص ٢٠٢ — ٢٢٥ .

الممارســة العملية يؤكد امكانية وجود العــديد من صور تشابك هذه الوظائف في النص الواحد . ورغم ذلك تشير كاتارينا رايس الى أن وظيفة واحدة من بين هذه الوظائف تبدو واضحة المعالم أكثر من غيرها . وعلى هذا يمكن تمييز نوعيــات رئيســية من النصوص من حيث الوظيفــة الغالبة للغة فيها . وهذه النوعيات هى :

أ — من وجهة نظر الوظيفة الوصفية : نصوص تستهدف المضمون

ب — من وجهة نظر الوظيفة التعبيرية : نصوص تستهدف الشكل

ج — من وجهة نظر وظيفة المخاطبة : نصوص تستهدف المخاطبة . وتوضح كاتارينا رايس هذه النوعيات وارتباطاتها بوظائف اللغة والمعايير اللغوية المبنية لها على النحو التالى :



والى جانب نوعيات النصــوص هذه ، والتى يمكن التمييز بينها وفق وظائف اللغــة والمعايير اللغوية المرتبطة بها ، تفرد الباحثة نوعية رابعة من النصــوص تحت اسم « النصوص السمعية الوسيطة » ، وتقصــد بها النصوص المكتوبة والتى تصل من خلال وسط غير لغوى وفى شكل شفوى (كلامى أو غنــائى) الى المتلقى ، الذى يتلقاها بدوره سمعا . وكل نوعية من هذه النوعيات الرئيســية الاربع هذه يمكن تقسيمها الى عدد كبير من النوعيــات الفرعية . وتؤكد كتارينا رايس أن نوعية النص تحكم الى حد كبير عملية اختيار سبل الترجمة ودرجة أهمية ما ينبغى الحفاظ عليه أثناء الترجمــة . كما أن نوعية النص من شأنها كذلك تحــديد الضــوابط اللغوية الداخلية التى ينبغى على المترجم وضعها نصب عينيه أثنــاء الاداء . ثم تتنــاول الباحثــة بالتفصيل كل نوعية من النوعيات المذكورة على النحو التالى .

النصوص التى تستهدف المضمون :

ينبغى أن تفهم نصـــوص هذه النوعية على أنها النصـــوص التى تنحصر مهمتها الرئيســـية فى نقل مضمون او معلومات . وتضمن هذه النوعية نصـــوص الاخبار ، وتعليقات الصحف ، والتحقيقات الصحفية ، والمراسلات التجارية ، ومواصفات السلع ، وتعليمات استخدام وصيانة الاجهزة المختلفة ، ووثائق الاختراعات ، والمذكرات الديبلوماســـية ، والاوراق الرسمية ، والكتابات التعليمية ، والبحوث والتقارير العلمية والنصوص التخصصية فى مختلف مجالات العلوم الانســـانية والطبيعية والتقنية .

واذا كانت النصوص تقسم الى نصوص تستهدف المضمون واخرى تستهدف الشكل ، فان هذا لا يعنى أن النصوص التى تستهدف المضمون ليس لها شكل . فكما أنه من غير الممكن وجود شكل لغوى دون مضمون ، لا يوجد مضمون بلا شكل . فالشكل فى النصوص التى تستهدف المضمون يتناسب ومتطلبات التعبير عن هذا المضمون واكتساب النص لقدراتـــه التأثيرية . أما النصوص التى تستهدف الشكل ، فان التركيز ينصب فيها على الجوانب الجمالية والابداعية الفنية . ومن ناحية أخرى فان تحليل النص الذى يستهدف المضمون يتم فى اطار العلاقات النابعة من الصياغة القواعدية والاسلوبية ، أما تحليل النص الذى يستهدف الشكل فيتم بادىء ذى بدء من وجهة نظر تجسيد هذا الشكل الذى تحكمه معايير جماليـــة واسلوبية ومعنوية وقواعدية ، ثم يترجم هذا النص وفق هذه المعايير .

والى جانب ذلك ترى الباحثة ان التحقيقات الصحفية تتسم بأسلوب مميز ، الا أنها تعتبرها من بين النصوص التى تستهدف المضمون ، ذلك لأن موضوع التحقيق الصحفى يبقى العنصر الهام فى النص ، أما الاسلوب، فيؤخذ فى الاعتبار أثناء الترجمة وأثناء تقييمها . وقد يرى البعض فى الوثائق الرسمية شكلا مميزا لها ، الا أن الباحثة ترى ضرورة التفريق بين الشكل اللغوى والشكلية اللغوية بمعنى الترتيبات الشكلية الخارجية واستخدام الكليشيهات الخاصة بمثل هذه النوعية من النصوص . أما الكتابات العلمية فتعتمد على سلامة المضمون وصدق المعلومات ومعاصرة اللغة . وهناك نوعان من هذه الكتابات : الأول يستهدف دائرة عريضة من القراء ، كما فى الكتابات العلمية المبسطة ، والثانى يستهدف المتخصصين . والعامل الحاسم بالنسبة للنوعين أثناء الترجمة هو نقل ما ورد فى المضـــمون من معلومات ، الا أن الكتابات العلمية المبسطة والمجلات العلمية المخصصـــة لقاعدة عريضة من القراء — تتطلب ترجمتهـــا تركيـــزا على الجـــوانب

الاسلوبية للنص . وتستبعد الباحثة من النصوص التى تستهدف المضمون النصوص الدعائية ، ذلك لأن الدعاية والاعلان يعتمدان بالمقام الأول على وظيفة المخاطبة ، ولذا فان نقل هذه الوظيفة هو المهمة الرئيسية للمترجم أثناء ترجمة مثل هذه النصوص .

ان النصوص التى تستهدف المضمون تتطلب أثناء الترجمة ضمان تحقيق التطابق على مستوى المضمون . وهذا هو المعيار الذى ينبغى على الناقد الانطلاق منه أثناء تقييم مثل هذه النوعية من النصوص ، فضلا عن معيار مطابقة الصياغة اللغوية لنص الترجمة ودون قيد أو شرط لقوانين لغة الترجمة ، ذلك لأنه من الضرورى أن يتلقى القارىء نص الترجمة فى الشكل اللغوى الذى اعتاده .

النصوص التى تستهدف الشكل :

المقصود بالشكل هو طريقة تعبير الكاتب عن مضمون محدد أو الكيفية التى يعرض بها المؤلف المضمون ، وذلك خلافا للحالات ، التى يركز المؤلف فيها على ماهية ما يريد توصيله كما فى النصوص التى تستهدف المضمون . وتحدث عناصر الشكل فى النصوص التى تستهدف الشكل تأثيرا جماليا خاصا . ولا تقتصر عناصر الشكل فى هذه النوعية من النصوص على كونها العناصر الغالبة فى النص وحسب ، بل تعتبر أداة التجسيد الفنى ، التى تضفى على النص هذا الشكل المميز ، والذى لا يمكن نقله الى لغة الترجمة الا باعادة اخراجه فى نمط مثيل له . ومن هنا فان ترجمة مثل هذه النصوص تعتمد أساسا على تحقيق تأثير مساو لنص الترجمة فى المتلقى وذلك عن طريق ايجاد الشكل المماثل فى لغة الترجمة ، وفى هذه الحالة وحدها تعد الترجمة مطابقة للنص الأصلى . ولا ينبغى على المترجم تقليد شكل النص الأصلى تقليدا أعمى ، بل عليه أن يندمج مع هذا الشكل بقدر يسمح له بتلقى الوحى منه فى اختيار الشكل المماثل له فى لغة الترجمة ، والكفيل باحداث انطباع مماثل لدى قارىء الترجمة .

والنصوص التى تستهدف الشكل هى النصوص التى تعتمد على وظيفة اللغة التعبيرية ، والتى تتفق صياغتها اللغوية والمبادىء الفنية الابداعية ، والتى تعبر أكثر مما نخبر نتيجة مواءمة الصيغ اللغوية والاسلوبية فيها لمتطلبات التأثير الجمالى — أى النصوص التى تعرف باسم المؤلفات الأدبية ، وهى : النثر الأدبى (التراجم ، المقالات الصحفية الساخرة) والنثر الروائى (القصة القصيرة والطويلة والرواية ، والنوادر التاريخية) وكل أنواع الشعر . وتستثنى الباحثة من النصوص التى

تستهدف الشكل الروايات البوليسـية ، حيث لا يعتبر هـذا النوع من الكتابات من بين النصوص الأدبية ، ذلك لانخفاض مستوى جودتها الفنية من ناحية ، وتركز اهتمام القارىء لها على مضمونها الأخاذ من ناحيـة أخرى . وطالما أن القارىء لا يبدى اهتماما كبيرا بالجوانب الجماليـة فى مثل هذه النصوص — وهى التى تراها كاتارينا رايس منخفضة المستوى — فان طرق ترجمة الكتابات البوليسية ومعايير تقييمها تختلف عن مثيلاتها فى النصوص التى تستهدف الشكل . وعلى هذا الأساس ليس المترجم مطالبا ببذل الكثير من الوقت فى حصر ونقل عناصر الشكل أثناء ترجمة الروايات البوليسية . كما تستبعد الباحثة من النصوص الشعرية التى تسـتهدف الشكل ، القصائد الهجائية Satiric ، ذلك لأنها ترمى الى احداث تاثير فوق لغوى فى المتلقى ، وبذا تندرج تحت نوعية النصوص التى تستهدف المخاطبة . وتختلف منطلقات المترجم فى معالجة النصوص التى تستهدف الشكل عن تلك التى تستهدف المضمون . فاذا كان المترجم ينطلق من خصائص لغة الترجمة فى صياغته للنص الذى يستهدف المضمون ، نجد أنه فى حالة تعامله مع نص يستهدف الشكل ، ينطلق من لغة الأصل فى اختيار الصياغة اللغوية لنص الترجمة . فالوسائل اللغوية فى لغة الأصل تلعب دورا حاسـما فى اختيار شكل الترجمة أثناء نقل النصوص التى تستهدف الشكل . واذا كان مؤلف النص يخرج عن العرف اللغوى فى بعض الأحيان — وهذا ما يفعله كل كاتب تقريبا — فان المترجم ، كما ترى الباحثة ، يستطيع كذلك أثنـاء ترجمته لنص يستهدف الشكل الخروج عن العرف اللغوى ، وافسـاح المجال لابداعه الفنى ، ولا سيما لو كان هذا التصرف يستهدفه تأثـيرا جماليا .

وفى مجال اختلاف طرق معالجة نوعيات النصوص أثناء الترجمـة ترى الباحثة امكانية اغفال اللعب بالألفاظ ، على سبيل المثال ، أثناء ترجمة نص يستهدف المضمون ، طالما يصل المترجم فى النهاية الى نقل المضمون نقلا مطابقا لمضمون النص الأصلى ، أما فى حالة ترجمة نص يستهدف الشكل ، فعلى المترجم أن يجد فى لغة الترجمة المقابل الذى يؤدى نفس الوظيفة الفنية الجمالية لهذا الشـكل الاسلوبى واذ لم يكن فى الامكان نقل اللعب بالألفاظ الى لغة الترجمة ، فينبغى على المترجم اختيار شكل آخر يحدث نفس التأثير . ومن ناحية أخرى ، ترى الباحثة امكانية ترجمة التعبير A storm in a teacup بثلاث طرق وفق نوعية النص على النحو التالى :

١ — يمكن استخدام مفهوم « قلق واضطراب لا لزوم له » فى حالة ترجمة نص يستهدف المضمون .

٢ — ينبغى استخدام المقابل فى حالة ترجمة نص يستهدف الشكل .

٣ — يمكن استخدام تركيب « تلق أو اضطراب مصطنع » فى حالة ترجمة نص يستهدف المخاطبة ، ذلك لأن لفظ « مصطنع » يحوى تضمينا وجدانيا فى حد ذاته .

النصوص التى تستهدف المخاطبة :

لا تقتصر هذه النوعية من النصوص على نقل مضمون معين فى شكل معين ، بل ترتبط دوما بقصد أو هدف أو تأثير فوق لغوى — بمعنى التأثير فى المتلقى واحداث رد فعل لديه من خلال مخاطبته . وهذا التأثير هو العنصر الحاسم فى مثل هذه النصوص ، ولذا فان ترجمة النصوص التى تستهدف المخاطبة تقضى بضرورة الحفاظ على هذا التأثير ، وبحيث تخضع الصياغة اللغوية للمضمون لمقاصد الكلام فوق اللغوية . وتشتمل هذه النوعيـــة على نصوص الاعلانات ، والدعوة والدعاية ، والمواعظ ، والمساجلات ، والكتابات الديماجوجية ،والكتابات الهجائية .

والهدف من نصوص الاعلانات هو اثارة الاهتمام بسلعة معينة ، ولذا فان هذا الهدف يحكم الشكل والمضمون على حد سواء . أما نصوص الدعوة ، فتستهدف احداث تأثير واضح فى مجموعة من الناس بقصــد تغيير سلوكهم . والكتابات الدينية تندرج تحت نصوص الدعوة . فنصوص الكتابات الدينية تدعو الناس اما الى تقوية ايمانهم ، واما الى اجتذابهم الى الدين . وفى حالة ما اذا كانت الدعوة تخدم أهدافا عقائدية أو سياسية، فانها تصبح دعاية . وقد تتخذ نصوص الدعاية هذه شكل المساجلات ، والتى يمكن لها أن تكتسب طابعا ديماجوجيا . وكثيرا ما تستخدم المساجلات الديماجوجية ، بوصفها ضربا من ضروب الدعاية « السلبية » ، الاسلوب الهجائى فى طرح مضامينها .

ومفهوما الدعاية والديماجوجية قريبان — كما ترى الباحثة — من فكرة النصوص الخطابية . وتقسم كاتارينا رايس النصوص الخطابيـــة الى نصوص تستهدف المضمون والشكل (مثل التقارير الخطابية) ، والخطب الاحتفالية . وخطب التأبين وما الى ذلك من خطب) وأخرى تســـتهدف المخاطبة (نصوص خطب الحملات الانتخابية ، والخطب الدعائية) . وقد يستخدم أسلوب المساجلة وأسلوب الهجاء كوسيلة للوصف فى الخطب أو فى نوعيات عدة من الكتابات . مثلما فى تعليقات الصحف ، والأهاجى ،

والمنشورات والروايات ذات النزعة المتحيزة ، والقصائد الهجائية ، الأمر الذى يخل عادة بالشكل الفنى .

ان النصوص التى تستهدف المخاطبة لا يمكن أن تعد من بين النصوص الادبية ، ذلك لانها تنبع عن تحيز ، وتتسم بالفرضية وبالمقاصد فوق اللغوية . وهذه السمات تعتبر بالنسبة للمترجم مؤشرا ضروريا للحفاظ على هذه المعايير أثناء الترجمة . وتقضى طريقة ترجمة النصوص التى تستهدف المخاطبة بأن يحدث نص الترجمة نفس التأثير الذى يحدثه النص الأصلى فى متلقيه . وهذا يعنى أن المترجم يملك فى بعض الأحيان حرية الابتعاد عن مضمون وشكل النص الأصلى اكبر مما لديه أثناء ترجمة النوعيات الأخرى من النصوص . كما أن ناقد الترجمة لا يجب أن يرى فى مثل هذا الابتعاد للنصوص ، التى تستهدف المخاطبة ، تنحصر اساسا فى تحقيق التأثير ، الذى يقصده المؤلف ، وفى الحفاظ على وظيفة المخاطبة فى نص الترجمة .

النصوص السمعية الوسيطية :

لا تقوم النصوص السمعية الوسيطية على الوسائل اللغوية وحدها . وان كانت الوسائل اللغوية فى مثل هذه النصوص تمثل عنصرا من عناصر كل اكبر ، الا أن ثقلها يتفاوت من نوع الى آخر . ولكن السمة المميزة لهذه النوعية من النصوص هى ارتباط وجودها الوثيق بوسط غير لغوى . وتتضمن هذه النوعية كل النصوص التى تحتاج الى وسط سمعى أو بصرى للوصول الى السامع . والجدير بالاهتمام أن هذا الوسط يؤخذ بعين الاعتبار فى النص المنقول منه والمنقول اليه على حد سواء . والنصوص السمعية الوسيطية هى : النصوص الاذاعية والتليفزيونية ، مثل الأخبار والتعليقات ، والمقالات الاذاعية ، والتمثيليات ، النصوص التى تشكل وحدة مع المصاحبة الموسيقية بدءا بالأغانى على اختلاف الوانها ، والأناشيد حتى الأداء الكورالى ، كما تتضمن كذلك الاعمال التمثيلية الموسيقية مثل الاسكتشات الغنائية ، والاوبريتات والأوبرات ، والأعمال الكوميدية والدرامية .

ومن الضرورى التمييز بين ترجمة السيناريو والليبرتو والدراما وبين ترجمة النصوص التعليمية الطابع ، والتى يتركز الاهتمام فيها على الجانب اللغوى ، أو بين ترجمة نصوص التمثيليات ، التى تعتمد الفعالية المسرحية فيها على التلاحم مع الموسيقى ، واشارات وايماءات الممثلين ، والديكور والوسائل السمعية المساعدة مثلما فى الأوبرات والأوبريتات والاسكتشات

الغنائية . ومن حيث المبدأ يمكن توزيع النصوص السمعية الوسيطية بين نوعيات النصوص التى تستهدف المضمون (التقارير الاذاعية ، الأفلام الوثائقية) والنصوص التى تستهدف الشكل (المقالات الاذاعية ، التمثيليات) والنصوص التى تستهدف المخاطبة (الكوميديا والتراجيديا) . غير أن ترجمة هذه النوعيات تتطلب اضافة عناصر ضرورية أخرى . فتقتضى ترجمة التقارير الاذاعية ، الى جانب مطابقة المضمون ، بالعمل على تكييف اسلوب التقرير وفق مقتضيات قواعد الكلام الشفوى ، كما أن النصوص، التى تتضمن مصاحبة موسيقية ، تتطلب معالجة خاصة ، ذلك لأن المكونات اللغوية وحدها غير كافية لأداء الترجمة . لا شك أن ليبرتو الأوبرا يحدث انطباعا غريبا لو أن المترجم حافظ على تطابق المضمون والشكل دون اعتبار للحن والايقاع أثناء التجسيد اللغوى لنص الترجمة .

ان ترجمة مختلف أنواع النصوص السمعية الوسيطية تقترن عادة — كما تؤكد كاتارينا رايس — بالعديد من المشاكل المختلفة الطابع . وحل هذه المشاكل غير ممكن الا بالتقدير الكامل للعناصر غير اللغوية والتى يتباين وزنها ما بين نص وآخر . وينبغى أن تحقق ترجمة النصوص السمعية الوسيطية تأثيرا فى سامع نص الترجمة مطابقا لما يحدثه النص الأصلى فى سامعه . وقد تقتضى الظروف ويصبح هذا المنطلق أساسا لابتعاد المترجم عن شكل ومضمون النص الذى يترجمه وبصورة أكبر منه أثناء ترجمة النصوص التى تستهدف المخاطبة .

وعلى هذا النحو تقسم كاتارينا رايس النصوص الى أربع نوعيات ترتبط بطرق محددة فى الترجمة ، وتخضع لمعايير ينبغى الأخذ بها أثناء تقييم الترجمة تقييما نقديا . النوعية الأولى من النصوص تستهدف المضمون، وتعتمد ترجمتها على تطابق المضمون فى النص المنقول منه والنص المنقول اليه ، ثم النصوص التى تستهدف الشكل ، والتى تقوم ترجمتها على ايجاد المثيل للشكل والتأثير الجمالى فى لغة الترجمة ، والنوعية الثالثة تشمل النصوص التى تستهدف المخاطبة ، والتى تقتضى ترجمتها بتطابق التأثير الذى يتفق والمخاطبة فى لغة الترجمة ، ثم يتبع ذلك نوعية النصوص السمعية الوسيطية ، والتى تنطلق أسس ترجمتها من تقدير ظروف الوسط غير اللغوى ، ودرجة حضور وسائل التعبير الاضافية .

ما من ريب أن هذا العرض المفصل لتوصيف كاتارينا رايس لنوعيات النصوص يوضح مدى أهمية دراسة تأثير نوعية النص فى اختيار وسائل التعبير فى لغة الترجمة وفى اخراج النص بهذه اللغة . ولقد بذلت الباحثة جهدا كبيرا فى حصر نوعيات النصوص ، وتبيان اتجاهاتها وفق الوظيفة

التى تؤديها اللغة فى النص ، فجاء توصيفها شاملا لأغلب نوعيات النصوص ، التى تعالجها الترجمة فى عالمنا المعاصر ، فضلا عن تناولها للنصوص المذاعة والمرئية . الا أن الباحثة تنحو نحو التعميم فى بعض النقاط ولا سيما فيما يتعلق بالروايات البوليسية والكتابات الهجائية . فمن غير الممكن القول ان الروايات البوليسية بوجه مطلق تخلو من المعايير الفنية الأدبية . وهل يمكن القول ان مؤلفات ادجار الان بو ، أو جورج سيمنون ، أو أجاثا كريستى ، أو غيرهم من كتاب القصص والروايات البوليسية تخلو تماما من العناصر الفنية الأدبية ؟ ومن ناحية أخرى ، لا يمكن وضع معيار اهتمام القارىء بالمضمون دون الشكل فى مثل هذه الكتابات كأساس لمتطلبات الأداء أثناء الترجمة ، ولذا لا يمكن للمترجم ألا يبذل كثيرا من الوقت فى التطرق الى الشكل . ان كاتب القصة أو الرواية البوليسية يلجأ عادة فى صياغة المضمون الى مادة لغوية لا تخلو من العناصر الاسنادية والتأثيرية والسياقية وغير ذلك من العناصر التى بينا أهميتها اثناء تحليل النص . وهذه المادة هى التى تشكل النسيج الداخلى للقصة أو الرواية ، فضلا عن دورها فى صياغة الشكل العام لهذه النوعية من الكتابات . ومن هذه العناصر يبدأ المترجم عمله باختيار المقابلات المطابقة لها بهدف إخراج اهم سمات النص الأصلى بلغة الترجمة ، بما فى ذلك عنصر التشويق الملازم لمثل هذه الكتابات .

أما الهجاء بنوعية النثر والشعر ، فيعد فنا من فنون الأدب الساخر عامة . وهذه النوعية من الآداب تعبر عن علاقة المرسل بالمضمون — وهى العلاقة التى تقوم على أساس الوظيفة التعبيرية للغة من حيث تجسيد انفعالات المرسل الوجدانية والانفعالية فى متناول خاص وباسلوب متميز . ولا تستهدف هذه العلاقة التشهير ، وان كانت تصل الى هذا الحد فى بعض الأحيان ، بقدر ما تستهدف الكشف عن العيوب والنقائص ، التى قد تحمل طابعا اجتماعيا بهدف التأثير تأثيرا ايجابيا أو سلبيا فى المتلقى . ومن غير الممكن تحقيق مثل هذا التأثير دون التركيز على الوظيفة التوصيلية للغة واستخدام عناصر ووسائل لغوية تعبيرية واسلوبية مميزة ، ولذا يلجأ المؤلف الى امكانات الثروة البلاغية فى اللغة ، فيستخدم الاستعارات والكنايات والتوريات وما الى ذلك من انماط تعبيرية ، تضفى على النص شكلا خاصا به ، وتؤثر حتما فى عملية اختيار صيغ اخراج هذا النص بلغة الترجمة . ان عناصر الشكل فى اية نوعية من نوعيات النصوص تخضع لمواصفات معنوية وقواعدية وأسلوبية معينة فى لغتى النص المنقول منه والنص المنقول اليه ، وهذه أمور لا يجوز اغفالها أثناء تحديد طرق الترجمة وسبلها المختلفة . وما من نص هجائى الطابع ، مثله فى ذلك مثل النوعيات الأخرى للنصوص ، يخلو من هذه المواصفات .

ان اعتماد طرق الترجمة وسبلها على مقولة احداث تأثير فى المتلقى مساو لما يحدثه النص الأصلى فى قارئه أو سامعه يخرج بالترجمة من حيز الضوابط التى تحكم الأداء ، ويجعل من الترجمة عملية من عمليات النقل ، التى تقوم على الحرية المطلقة أو ضربا من الاقتباس واعادة الصياغة وغير ذلك من أشكال لا تتوافر فيها الشروط الموضوعية الأساسية لعملية الترجمة . ان ابتعاد المترجم عن النص المنقول منه ، فضلا عن الخروج على العرف اللغوى من أجل الابداع الفنى ، وذلك بغية تحقيق تأثير مساو لتأثير النص الأصلى ، يخضع عملية الترجمة الى عوامل ذاتية ، تعتمد فى الأساس على مدى فهم المترجم للنص وعلى مستوى مهاراته ومعارفه فى لغة الترجمة ، الأمر الذى يؤدى الى نوع من العشوائية سواء فى الأداء أو فى تقييم الترجمة كناتج لهذا الأداء . ان الترجمة كنتاج لعملية الأداء ينبغى أن تبقى ترجمة ، تعكس فكر المرسل وعلاقته بالمضمون وقصده من رسالته وتأثيره فى المتلقى مع الأخذ فى عين الاعتبار بمقومات التعبير السليم فى لغة الترجمة .

أما فيما يتعلق بتحليل النص ، نجد أن كاتارينا رايس تميز بين أسس التحليل وفق نوعية النص . فتحليل النص ، الذى يستهدف المضمون ، ينطلق من المضمون والعلاقات المرتبطة بصياغته اللغوية والاسلوبية ، وفى مقابل ذلك يعتمد تحليل النص ، الذى يستهدف الشكل ، على تجسيد الشكل فى النص وعلى المعايير الجمالية والاسلوبية ، التى تحكمه . وهذا يعنى أن المترجم ، أثناء تحليل النص ، الذى يستهدف المضمون ، ينطلق من المضمون تجاه الشكل ، أما فى حالة تحليل نص يستهدف الشكل ، فانه يسير فى اتجاه عكسى — بمعنى الانتقال من الشكل الى المضمون . ومن ناحية أخرى ، يسترشد المترجم اثناء ترجمة النصوص ، التى تستهدف المضمون ، بقوانين لغة الترجمة ، أما أثناء نقل النصوص ، التى تستهدف الشكل ، فان أداء المترجم محكوم بلغة الأصل . لا شك أن هذا المنهج فى معالجة نوعيات النصوص المختلفة ينطوى على مفارقة تتنافى وحقائق الممارسة العملية للترجمة . فان المترجم — كما سبق واشرنا — يبدأ عمله باستيعاب النص المنقول منه ، أى يقوم بتحليل عناصره ومكوناته المضمونية على اختلاف أنواعها ومستوياتها وتباين أشكالها اللغوية والاسلوبية . ان وحدة الشكل والمضمون وحدة تقوم على علاقة ديالكتيكية بينهما ، ولذا لا يمكن الفصل بينهما أثناء تحليل النص . والى جانب ذلك ، ان هذه الوحدة تفرض نفسها فى ارتباط أى من الصيغ الاسلوبية بمضمون وشكل لا يمكن الفصل بينهما كذلك . ولكن ما الذى يوصلنا الى ادراك الصيغة الاسلوبية : هل شكلها أم مضمونها ؟ واذا أخذنا اشارة كاتارينا رايس الى اللعب بالالفاظ كصيغة من الصيغ الاسلوبية ، فهل يقف المترجم على هذه الصيغة

فى النص من شكلها أم من مضمونها ؟ ما من جدال أن الوصول الى اية صيغة من الصيغ الاسلوبية ، ومهما كانت نوعيتها ، لا يتأتى الا من خلال المضمون العام للسياق فى بادىء الأمر ، ثم من خلال مضمون الصيغة ذاتها ، والوقوف على خصائص مكوناتها . وعلى هذا الأساس فان المضمون هو الأرضية التى ينطلق منها المترجم فى ادراكه للشكل وعلى مختلف مستويات تحليل النص كما بينا فيما سبق .

واذا نظرنا الى قول كاتارينا رايس بارتباط طرق ترجمة النصوص التى تستهدف المضمون بقوانين واصول لغة الترجمة ، واعتماد الاداء اثناء ترجمة النصوص التى تستهدف الشكل على لغة النص الأصلى للخروج بما جاء به من أشكال وايجاد المثيل لها فى لغة الترجمة على اساس تحقيق تأثير فى المتلقى مساو لما يحدثه النص الأصلى فى متلقيه ، نجد أن هذا هو النتيجة المباشرة للخلط بين مفهومين هامين من مفاهيم علم الترجمة — ونقصد الخلط بين مفهومى « التطابق «equivalence » والتكافؤ «adequateness» ان عملية الترجمة — كما ذكرنا من قبل — عملية اتصال ثنائى اللغة ، يقوم المترجم فيها بالنشاط الأساسى مرة كمتلقى للرسالة الأصلية ومرة كمرسل لهذه الرسالة بلغة الترجمة . ويستوعب المترجم فى المرحلة الأولى بوصفة متلقيا عناصر ثلاثة هى :

— قصد المرسل .

— مضمون النص بلغة الأصل .

— التأثيرات ، التى يحدثها النص الأصلى فى المترجم بوصفه متلقيا له .

ويقوم المترجم فى المرحلة الثانية بوصفه مرسلا باخراج عناصر ثلاثة بلغة الترجمة هى :

— قصد المترجم بوصفة مرسلا بلغة الترجمة .

— مضمون النص بلغة الترجمة .

— احداث تأثيرات فى متلقى النص بلغة الترجمة .

ومن هذا يتضح الدور الهام ، الذى يقوم به المترجم فى عملية النقل . والمهمة الرئيسية للمترجم فى عملية الاتصال الثنائى اللغة هى اخراج نص الترجمة على أساس أقصى قدر من التطابق مع نص لغة الأصل — بمعنى

نقل كل ما ورد من عناصر ومكونات النص الأصلى الى لغة الترجمة نقلا كاملا . غير أن هناك حيزا آخر تتعدى أبعاده حيز التطابق هذا . فمن الأهمية بمكان أثناء عملية الترجمة المطابقة بين قصد مرسل النص الأصلى وقصد المترجم ، والمطابقة بين التأثيرات التى يحدثها النص الأصلى فى المترجم وتلك التى يحدثها المترجم فى المتلقى باخراجه النص بلغة الترجمة . ان المطابقة بين هذه العناصر تشكل أساس حيز التكافؤ فى الترجمة . ويقضى حيز التكافؤ باخراج المقاصد والأهداف والقيم الفنية الابداعية الواردة بالنص الأصلى بما يقابلها فى نص الترجمة ، ومن ثم تحقيق تأثيرات معينة فى متلقى هذا النص . غير أنه من الضرورى أن تكون هذه التأثيرات وليدة وسائل لغة الترجمة لا لغة الأصل ، وبحيث يضع متلقى نص الترجمة والذى لا يعرف لغة الأصل عادة ، هذا النص فى مصاف النصوص الأصلية بلغته من وجهة نظر متطلبات وأصول التعبير بهذه اللغة . وعلى هذا الأساس نجد أن التكافؤ فى الترجمة أشمل من التطابق ، ولذ فان كل ترجمة متكافئة متطابقة ، ولكن لا يمكن القول بأن كل ترجمة متطابقة متكافئة . ان تحقيق التكافؤ أثناء الترجمة أمر ضرورى مهما كانت نوعية النص ، ذلك لأنه والتطابق يشكلان معيارين هامين أثناء تقييم الترجمة كنتاج لعملية النقل من لغة الى أخرى .

لا شك أن نوعية النص تؤثر فى اختيار وسائل اخراج النص الأصلى بلغة الترجمة ، كما تؤثر كذلك فى متطلبات التطابق والتكافؤ بالنسبة لمختلف نوعيات النصوص ، الأمر الذى ينعكس حتما فى طرق الترجمة ووسائلها ونتائجها . ان تحديد نوعية النص تعتمد بالمقام الأول على ادراك الوظيفة، التى تؤديها اللغة فى نص من النصوص . والوظيفة الرئيسية للغة هى الوظيفة التوصيلية communicative ، اى نقل المعلومات . وما من نص يخلو من وسائل التعبير عن هذه الوظيفة ، ذلك لأن الحدث الكلامى بنوعياته المختلفة لا يؤدى من أجل الحدث الكلامى فى حد ذاته كما سبق وبينا ذلك . وتنقسم هذه الوظيفة الرئيسية الى وظيفتين فرعيتين هما : الوظيفة الذهنية intellective وتستهدف مخاطبة الفكر ، والوظيفة التعبيرية وتستهدف مخاطبة الأحاسيس والعاطفة . وفى اطار هاتين الوظيفتين تنقسم النصوص الى نوعين رئيسيين : نصوص تبليغية informative ونصوص أدبية . ويتضمن كل نوع من هذين النوعين عددا كبيرا من النوعيات ، والتى يمكن ان نسميها فنون الكلام . وترتبط فنون الكلام ارتباطا وثيقا بمختلف مجالات النشاط الانسانى . والجدير بالاهتمام ان الصياغة اللغوية لأى من فنون الكلام فى لغة من اللغات لها من الخصائص ما يميزها عن مثيلتها فى نفس الفن فى لغة أخرى رغم ارتباط هذه وتلك بفن واحد من فنون الكلام . فالصياغة اللغوية للمواد الاعلامية

فى اللغة الانجليزية ، على سبيل المثال ، تختلف عن مثيلتها فى اللغة العربية من حيث أشكال ووسائل التعبير اللغوى رغم وحدة مجال النشاط الانسانى .

وتتضمن النصوص التبليغية من فنون الكلام نوعيات النصوص الاعلامية على اختلاف أهدافها ، والنصوص الرسمية ، ونصوص المعاملات القانونية والتجارية والعملية والادارية وما الى ذلك من نشاطات ، والنصوص العلمية على اختلاف أنواعها ، والنصوص التقنية وما الى ذلك من نصوص تخاطب الفكر . اما النصوص الأدبية ، فتشتمل على فنون الكلام من روايات وقصص ومسرحيات ، وملاحم وأشعار ، ومقالات ادبية وما الى ذلك من ضروب الأدب . ولكل فن من فنون الكلام هذه اسلوبه الخاص به ، والمميز له ، والنابع من عرف الاستخدام اللغوى وأصول الصياغة اللغوية ، ومن هنا اختلاف أساليب الكتابة داخل اللغة ، من ناحية ، وبين لغة وأخرى ، من ناحية ثانية . ويشكل الاسلوب المميز لكل فن من فنون الكلام الاطار العام الذى يحدد خطى المترجم فى اختيار وسائل التعبير فى لغة الترجمة .

والى جانب ذلك ، ان الحدث الكلامى يستهدف فى الأساس نقل مضمون معين . وتقترن عملية نقل المضمون هذه بأهداف معينة لدى المرسل ، والتى يمكن أن نسميها بالقصد من الكلام . ومقاصد الكلام هى :

— القصد يستهدف الاسناد بمعنى وصف الواقع وأحداثه وظواهره وما الى ذلك .

— القصد يستهدف المرسل بمعنى وصف حالته الانفعالية الوجدانية .

— القصد يستهدف المتلقى واحداث تأثير فيه وردود فعل لديه .

— القصد يستهدف الشكل الذى ينقل من خلاله المضمون .

— القصد يستهدف الخصائص المميزة للغة واستخدام ثرواتها التعبيرية .

— القصد يستهدف احداث اتصال contact بين الناس واستمرارية هذا الاتصال .

والجدير بالاهتمام أنه ما من نص من النصوص ، سواء كان مرتبطا بالوظيفة الذهنية للغة ، أو بوظيفتها التعبيرية ، يقتصر على قصد واحد من هذه المقاصد المذكورة . فالنص العلمى ، على سبيل المثال ، يرتبط بالوظيفة الذهنية للغة ، ولكنه يتضمن الى جانب ذلك مقاصد الكلام التالية : الاسناد (الحقائق العلمية الواردة به) الشكل (صياغة المضمون العلمى فى أطر محددة) ، الاتصال (احداث التفاهم العلمى بين المتخصصين) . واذا أخذنا نصا اعلاميا ، نجد انه يتضمن عددا من المقاصد فى آن واحد هى المقاصد ، التى تستهدف الاسناد ، والشكل ، والمتلقى ، والاتصال . أما النصوص الأدبية ، فهى أكثر النصوص تشابكا من حيث مقاصد الكلام. ففى نص من النصوص قد تجتمع كل هذه المقاصد ، وفى آخر نجد الثقل النوعى لأحدها أو بعض منها أكثر وضوحا . فالقصة القصيرة ، على سبيل المثال ، قد تجمع بين كل هذه المقاصد ، الا أنها قد تتفاوت من حيث ثقلها النوعى فى النص ، أما القصيدة الشعرية ، فيكون التركيز فيها بالمقام الأول على المقاصد التى تستهدف المرسل والشكل وخصائص اللغة والمتلقى مع احتمال انخفاض الثقل النوعى للمقاصد الأخرى .

وعلى هذا النحو تنقسم النصوص الى نوعين رئيسيين : نصوص تبليغية ، ونصوص أدبية ، وذلك وفق الوظيفة التى تؤديها اللغة . فالوظيفة الذهنية للغة تشكل قوام النصوص التبليغية ، حين يعتمد النصوص الأدبية على الوظيفة التعبيرية للغة ولكن هذا لا يعنى عدم امكانية التداخل بين الوظيفتين فى النص الواحد ، الأمر الذى يؤكده واقع الممارسة للترجمة.ومن ناحية أخرى ، يتشعب هذان النوعان من النصوص الى نوعيات عدة متمثلة فى فنون الكلام المختلفة . وترتبط فنون الكلام بشتى مجالات النشاط الانسانى . ولكل فن من فنون الكلام نمطية أسلوبية تحدد للمترجم الاطار العام ، الذى يتحرك من خلاله فى اختيار وسائل التعبير اللغوى والاسلوبى فى لغة الترجمة . والى جانب ذلك ، لا يخلو نص من النصوص ، وبغض النظر عن نوعيته ، من مقاصد الكلام . ومن الضرورى الوقوف على هذه المقاصد فى النص ، وتحديد ثقلها النوعى ، ذلك لدورها الهام فى تجسيد خصائص النسيج الداخلى للنص — هذا النسيج ، الذى يتعامل معه المترجم تعاملا مباشرا سواء اثناء مرحلة التحليل ، أو خلال مرحلة التركيب ، والذى يفرض مجموعة من المواصفات المعنوية والقواعدية والاسلوبية . وهذه المجموعة من المواصفات تحكم أداء المترجم فى عمله ، وتؤثر فى اختياره لوسائل اخراج النص بلغة الترجمة .

ومما تجدر الاشارة اليه أن اختيار وسائل اخراج النص بلغة الترجمة وتحديد طرق وسبل الأداء أثناء الترجمة — أصبحا الآن موضع

درس على أسس نظرية منهجية ، تفرض مجموعة من القواعد والضوابط الموضوعية ، حيث تستخدم فى وصف عملية الترجمة كعملية نقل من لغة الى اخرى ، وفى وصف الطرق ، التى تؤدى بالمترجم الى تحقيق التطابق والتكافؤ بين النص المنقول منه والنص المنقول اليه . ان علم الترجمة يشتمل فى الوقت الراهن على عدد لا بأس به من النظريات والمناهج نتيجة تعقد عملية الترجمة وتعدد جوانبها ، فضلا عن تطور الدراسات اللغوية وتشعب اتجاهاتها النظرية ، وارتباط هذا التطور بتقدم العلوم الانسانية والعلوم الطبيعية . وتنطلق الأسس النظرية فى علم الترجمة المعاصر من مناهج نظرية المعنى ، ونظرية الاتصال ، والمناهج التحويلية transformational والتوليدية generative هذا فضلا عن الاستفادة من انجازات نظرية الاعلام information theory والسيبرنيتيك cybernetics وغير ذلك من انجازات العلوم المختلفة ، وذلك لتغطية احتياجات نوعيات الترجمة التحريرية والشفوية والترجمة بالماكينات . غير أن الظاهرة الملفتة للنظر الآن هى تداخل كل أو بعض هذه المناهج النظرية ، وارتباطها بعضها ببعض فى وصف عملية الترجمة بمراحلها المختلفة . فنظرية المعنى ، على سبيل المثال ، طعمت فى الدراسات الترجمية بمنهج نظرية الاتصال وبالأسس التحويلية التوليدية . كما أن النظرية التحويلية التوليدية التى تتعامل فى الأساس مع الترجمة بالماكينات ، باتت تستعين بالمنطلقات المعنوية سواء فى اطار العمليات التحويلية ، التى تتم داخل لغة الاصل ولغة الترجمة ، أو فى عملية توليد النص بلغة الترجمة . وستتبين لنا ملامح بعض من هذا الـ تداخل أثناء عرضنا للمنهج المعنوى فى تركيب النص .

المنهج المعنوى فى تركيب النص :

المنهج المعنوى هو أكثر المناهج النظرية انتشارا فى معالجة قضايا الترجمة ، حيث يمكن تتبع أسسه فى العديد من الدراسات الترجمية . (١) وعملية الترجمة من وجهة نظر المنهج المعنوى عبارة

---

١ — أنظر على سبيل المثال :

Mounin G. les problémes théorique de la traduction. Paris, 1963; Nida E, Taber Ch. A. The Theory and Practice of Translation. Leiden 1969; Susan Bassnett-McGuire. Translation Studies. London/New York, 1980;

نحو علم للترجمة أ. نايدا . ترجمة ماجد النجار . مطبوعات وزارة الاعلام . الجمهورية العراقية . ١٩٧٦ ، ل.بارخودارف . اللغة والترجمة . دار « العلاقات الدولية » للنشر . موسكو ١٩٧٥ (باللغة الروسية) .

عن عملية تحويل معنوية بين لغتين ، ولذا فان مرحلة اخـراج النص بلغة الترجمة تنحصر فى احلال رموز شفرة أخرى ، أو تحويل رموز فى لغة الى رموز فى لغـة أخرى . غير أن عملية احلال الرموز هذه تتطلب من المترجم ضرورة الاخذ فى عين الاعتبـار بالمكونات والعناصر المعنوية لوحدات الترجمة الواردة فى النص المنقول ، وبالعلاقات الافقية horizontal للوحدة وغيرها من وحدات السياق ، وبالعلاقات الراسية vertical بين هذه الوحدة وبنية اللغـة ككل . والمكونات والعناصر المعنوية الواردة فى النص المنقـول منه هى التى تحكم أداء المترجم فى مرحلة التركيب وذلك من خلال مجموعة من العـلاقات المعنوية المتبادلة بين وحدات لغتى الاصـل والترجمة على أسـاس وحدة / اختلاف مكونات وعناصر الواقع فى بيئتى هاتين اللغتين . غير أن المترجم ينبغى أن يراعى أثنـاء مرحلة تركيب النص بلغـة الترجمة الارتباطات الاخرى ، التى توضحها وحدات النص الاصلى سـواء من ناحية التضمينات الاسلوبية والانفعالية الوجدانية ، أو تلك ، التى تعكس السمات المميزة لبيئـة اللغة الحضارية . ان مضمون كل وحدة من وحدات اللغة عبـارة عن مجموعة من العناصر المعنوية الاسـاسية . وهذه العناصر تصـاحب استخدام الوحدة بغض النظر عن قصـد المرسل . فلفظ butter فى الانجليزية يعنى أحد منتجات الالبان فى شـكل قالب دسم ذى لون خاص صـالح للاستخدام الآدمى كنوع من المأكولات . غير أن لفظ butter « يحمل الى جانب ذلك مجموعة من الارتباطات الخاصـة بالفائدة الصحية والنقاء والجودة العالية (بالمقارنة بالمارجرين ، والذى كان يعتبر فيما سبق زبدا من الدرجة الثانية ، ولكنه أصبح الآن واسع الانتشـار لعدم تجمده لو تعرض للتبريد) » (١) واذا أراد المترجم نقل لفظ butter الى اللغة الايطالية ، فانه سيجد له مقـابلا مباشرا هو burro . ولكن وجود هذا المقـابل فى الايطالية لا يعنى أن لفظى butter و burro يسميان نفس الشيء . فالزبد (burro) فى ايطاليا فاتح اللون غير مملح ويسـتخدم فى الطهى بصفة أسـاسية ، أما الزبد butter فى بريطانيا ، فغالبا يكون زاهى الصفار مملحا ويستخدم لمسح الخبز بطبقة منه وقلما يستخدم فى الطهى . (٢) غير أن مثل هذه الفوارق تعتبر ثانوية بالنسـبة للمترجم أثناء احلال رموز لغـة بدلا من رموز لغة أخرى . فان وجود عنصر معنوى مشـترك بين الرمزين ـــ قوامه

---

1. Susan Bassnett-McGuire. Translation Studies. London / New York, 1980, p. 19.

٢ ـــ المرجع السابق ص ١٩ .

وحدة تسمية نفس الشيء — يجعل كلا منهما صالحا ليحل محل الآخر رغم احتمال وجود اختلاف بينهما فى بعض الجوانب .

وعلى هذا النحو نجد أن اختيار المترجم للمقابل اثناء عملية اخراج النص بلغة الترجمة تعتمد بالمقام الاول على العناصر المعنوية الاساسية الكامنة فى مضمون البنية المعنوية لوحدة الترجمة . كما يركز المنهج المعنوى كذلك على مواقف الاستخدام وسياق الكلام ، ذلك لانهما يمثلان عاملا هاما فى تحديد المعنى المراد نقله . ومن ناحية أخرى ، ان السياق يعتبر ميزان التطابق بين النص المنقول منه والنص المنقول اليه ذلك لان التطابق قد يتعدى حدود الالفاظ ، وحدود أجزاء من النص ، الى النص ككل متكامل . ان المترجم لا يتتبع أثناء الاداء الالفاظ الواردة فى النص الاصلى لينقلها بترتيبها فيه ، بل يلجأ فى صياغته اللغوية للنص الى وسائل تعبيرية تتفق والعرف اللغوى السائد بين أبناء لغته . وقد يقتضى الامر فى هذه الحالة ضربا من عمليات الابدال او التحويل فى اطار لغته لكى يستقيم المعنى والاسلوب . ولقد تأثر المنهج المعنوى فى توصيفة لعمليات التحويل هذه بالاسس التحويلية التوليدية ، الامر الذى يستوجب التوقف فى ايجاز عند هذه الاسس وتأثيرها فى المعالجة المعنوية لنص الترجمة .

تأثير الاسس التحويلية التوليدية فى المنهج المعنوى :

تعتمد الدراسات التحويلية على عدد من قواعد احلال عبارات محل الاخرى وبحيث يبقى المضمون كما هو دون تغيير . وتنقسم العمليات التحويلية الى نوعين : النوع الاول يشمل التحويلات التى تتم فى اطار الالفاظ فى الجملة ، والنوع الثانى تشمل تحويلاته الجملة كلها . ومن تحويلات النوع الاول احلال الاسم بدلا من الصفة أو الظرف فى الجملة ، واحلال الصفة بدلا من الاسم أو الظرف فى الجملة ، واحلال الظرف بدلا من الاسم او الصفة أو الفعل فى الجملة ، واحلال الفعل بدلا من الاسم أو الصفة أو الظرف . غير أن امكانية احلال وحدة من الوحدات بدلا من الاخرى تقتضى بوجود بنية نواة nuclear structure وهى البنية ، التى تعتبر أحد النماذج الاساسية للحدث الكلامى ، والتى يستنبط منها ابن اللغة مختلف التحويلات وفق متطلبات السياق . فاذا أخذنا ، على سبيل المثال ، البنية النواة العربية « فعل + فاعل + مفعول » ، وكونا وفقا لها جملة « قرأ الطالب الكتاب » ، فيمكننا استنباط عدد كبير من التحويلات من هذه البنية مع الاحتفاظ بالعناصر المناسبة للمضمون كأن نقول : « قراءة الطالب

للكتاب » ، « الطالب القـــارىء للكتاب » ، « القـــارىء للكتـــاب الطالب » ، « الكتاب المقروء من الطالب » . وكما نرى فان هذه التحويلات تنحصر فى ابدال قسم من أقســـام الكلام بقسم آخر مع الابقاء على المقومات الاســـاسية للمضمون . والنوع الثانى من التحويلات اشمل من النوع الاول ، ذلك لانه قد يحوى تحويلات على مســـتوى اللفظ فى الجملة ، الى جانب تلك التى تشمل أجزاء من الجملة أو الجملة كلها ، كأن نقول ، على ســـبيل المثال : سمع أنغام الموسيقى عندما اقترب من الباب « ــ كبنية نواة ، ثم منها قولنا : « حين اقترب من الباب سمع أنغام الموسيقى » ، أو « أنغام الموســـيقى سمعت حالما اقترب من الباب » ، أو « باقترابه من الباب سمع أنغام الموسيقى » الى آخر ذلك من تحويلات لا تمس الجوهر الاساسى للمضمون .

وعلى هذا النحو نجد أن التحويلات عملية ممكنة داخل اطار اللغة الواحدة ــ وهو ما أطلق عليه ياكبســـون مصطلح الترجمة فى اطار لغة واحدة (١) Intralingnual translation. ومن ناحية أخرى ، ان عملية التحويلات تصلح كذلك للاســـتخدام فى حالة النقل من لغـــة الى أخرى . غير أن الضرورة تقتضى هنا بايجـــاد مجموعة من البنيات المتطابقة فى المضمون فى اللغتين ــ مجموعة من البنيات النواة ــ ثم تتم بعد ذلك عملية التحويل بين هذه البنيات . وتبدأ عملية التحويلات هذه بقيام المترجم أولا بتحويل بنيـــات النص الاصلى الى وحدة أساسية يبدلها بما يقابلها فى لغة الترجمة ، ثم يقوم بعد ذلك بعملية تحويل داخل اطار لغة الترجمة ، بحيث يصل بعدها الى الوحدة النهائية terminal ، فى نص الترجمة ، فالعبـــارة Such thoughts are hared to live with. تعتبر وحدة أساسية مكونة وفق بنية شـــائعة الاستخدام فى اللغـــة الانجليزية ، وتقضى ضرورة ترجمتها الى اللغة العربية بايجـــاد البنية العربية المقابلة لها والمتمثلة فى الوحدة « مثل هذه الافكار صـــعبة ليعاش بها » . وهذه البنية النواة ممكنة فى اللغـــة العربية حيث يمكن تكوين وحدات وفق نموذجها كأن نقول : « مثل هذه الكتب صـــالحة لينتفع بها » ، « مثل هذه الالوان مناســـبة ليرسم بها » وما الى ذلك . وبعد ذلك يقوم المترجم بعمليات تحويل من هذه العبـــارة ليستنبط منها

---

١ ــ أنظر

R. Jakobson. On Linguistic Aspects of Translation. In : R.A. Brower (ed.). «On Translation» New York 1966. p. 233.

الوحدة النهائية ، التى يستقر فى اخراجه للنص باللغة العربية كأن يقول ، على سبيل المثال ، « من الصعب على المرء أن يعيش بمثل هذه الافكار » أو غير ذلك من صياغات لا تخل بالمضمون الاساسى .

أما الاسس التوليدية ، التى يستعين بها المنهج المعنوى فتشترك فى الكثير مع المبادىء التحويلية ، الا أنها تعتمد على تجزئة النظام المعنوى للغة الى عدد غير كبير من المجالات المعنوية وتضم هذه المجالات مجموعة من الوحدات نواتها وحدة أولية elemetary يمكن ارجاع معانى الوحدات الاخرى داخل المجال المعنوى اليها . فترى التوليدية امكانية تصنيف كل الفاظ اللغة فى مجالات معنوية ، مثل مجال الالفاظ ، التى تعبر عن القدرات الذهنية ، أو مجال الالفاظ ، التى تعبر عن الحركة ، ومجال الالفاظ ، التى تعبر عن الكينونة وما الى ذلك من مجالات . وترتبط كل وحدة من وحدات المجال المعنوى بمجموعة من العلاقات المميزة لها ، والتى تتيح امكانية التمييز بينها وبين وحدات المجال الاخرى . فاذا نظرنا الى فعل « أعطى » فى العربية على سبيل المثال ، نجد أنه يعبر عن نوعين من العلاقات : النوع الاول هو العلاقة السطحية surface بمعنى ارتباطه بفاعل ومفعول أول ومفعول ثان ، والنوع الثانى هو العلاقة العمقية deep ، والتى تتمثل فى تعبيره عن :

١ — العلة — بمعنى فعل بحيث .

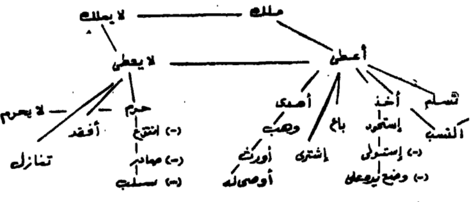
٢ — الملكية — بمعنى أن هذا اللفظ يصف ملكية « ب » لما أعطاه له « أ » (أعطى « أ » « ب » كتابا) .

أما الفعل العربى « أهدى » ، والذى يتفق مع الفعل « أعطى » من حيث العلاقة السطحية لارتباطه بفاعل ومفعولين كذلك ، فانه يعبر عن ثلاث علاقات عمقية هى :

١ — العلة .
٢ — الملكية .
٣ — بلا مقابل .

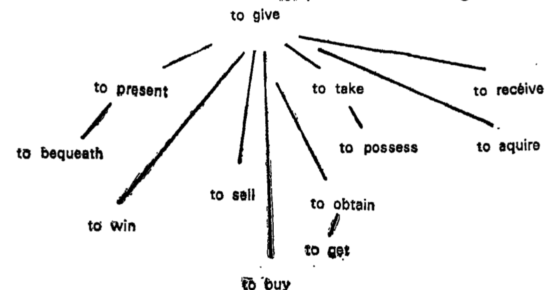
واذا أخذنا الفعل العربى « باع » ، نجد انه يعبر عن ثلاث علاقات عمقية كذلك هى : ١ — العلة ، ٢ — الملكية ، ٣ — مقابل نقود ، هذا فضلا عن اشتراكه مع الفعلين السابقين فى العلاقة السطحية . وكما نرى فان هذه الافعال الثلاثة تتقاسم عاملا مشتركا واحدا — هو علاقة الملكية على اختلاف أنواعها

ومن ثم تندرج تحت المجـــال المعنوى ، الذى يصف هذه العلاقة ، والذى تتمثل وحدته الاولية فى الفعل العربى « ملك » . ويتضمن المجال المعنوى الى جانب الوحدات الاصلية المرادفات ســـواء كانت على شكل ألفاظ ، أو على هيئة تراكيب لفظية ، والتى تنتمى الى مختلف أساليب اللغة ، هذا فضـــلا عن الوحدات المعاكســـة converse لوحدات المجال الاصلية فى العلاقة ســـواء كان ذلك باستخدام أداة النفى ، أو باستخدام اللفظ . ويوضح الشـــكل التالى وحدات المجال المعنوى الذى يعبر عن علاقة الملكية فى اللغـــة العربية ، علما بأن العلامة (+) تشير الى المعنى الايجابى ، حين توضح العلامة (—) المعنى السلبى للوحدة :



(بقية المعانى إيجابية)

ومن الممكن الاسترســـال فى هذا الشـــكل ليجمع كل الوحدات العربية التى تشترك فى التعبير عن عنصر « الملكيـــة » فى هذا المجال المعنوى . وتقتضى عملية النقل من لغـــة الى أخرى ايجـــاد المجال المعنوى المقـــابل فى لغة الترجمـــة على أساس الوحدة الاولية : أنظر مقابل فرع « أعطى » فى الانجليزية :



ومن الممكن الاسترســـال فى ايراد الالفاظ ، التى تعبر عن هذا المعنى ، بما فى ذلك مرادفاتها والالفــاظ المعاكســة لها ، لنجد أنفسنا أمام « شجرة » توليدية متعــددة الافرع . وما من شــك ان حصر المجالات المعنوية ودائرة الالفــاظ المرتبطة بها يمثل قاعدة بالغة الاهمية لعملية التحويلات ، التى تتم اثنــاء الترجمة للوصــول الى أقصى قدر من التطابق بين النص المنقول منه والنص المنقول اليه ، وذلك من خلال ادراك السمات المميزة بين الالفــاظ . فاذا اخذنا ، على ســبيل المثال ، بعض الالفاظ الانجليزية المشــتركة فى التعبير عن « درجة الشدة » ، نجد أنها تتضمن الى جانب عنصر الشــدة مكونات معنوية أخرى هى : Violent (العنف) ، Fierce (الشراســة) ، Rabid (التهيج مع الغضب) ، Cruel (القســوة) ، Rude (الفظاظة) Furious (الاحتدام) ، Stormy (التدفق العاصف) ، Passionate (الغيرة والتحمس) ، Savage (الوحشية والقسوة) ، Desperate (الاندفاع نتيجة القنوط واليأس Enthusiastic (الحمية وشدة الرغبة) Frantic ، (التهيج الذى يصــل الى حد الجنون) ، Hysterical (فقدان السيطرة على الاعصــاب والتشنج) . كل هذه السمات المميزة هى التى تتيح امكانية التفريق بين هذه الالفــاظ ، كما تحدد امكانات اســتخدام كل منها فى الســياق وفق متطلبات الموقف . فالعــلاقات التوليدية المبنية على أسس المجــالات المعنوية مع التفريق بين الالفــاظ من حيث السمات المميزة لها هى التى تؤدى بالمترجم الى اختيــار لفظ « تسلل » العربى — ودون غيره من الالفــاظ المعبرة عن الحركة : ســار ، مشى ، اتجــه ، توجه ، ذهب ، أخذ طريقه .. الى آخره من وحدات فى هذا المجــال المعنوى — لنقل صيغة stole فى النص التالى :

«And they stole cautiously towards the house.» (Ch. Dikens. The Adventures of Oliver Twist.

ذلك لان فعل « تسلل » العربى ، مثله مثل الفعل الانجليزى to steal يتضمن عنصر « الخلســة ، الخفيــة والتلصص » .

ان المترجم المتمرس يتعامل اثناء الاداء مع السمات المميزة للوحدات الواردة فى النص الاصلى ، اذ أنها تلعب دورا مؤثرا فى اختيــاره للمقابلات الترجميــة ، وتوسع دائرة هذا الاختيــار ، الامر الذى يصل بالمترجم الى التطــابق والتكافؤ بين النص الاصلى ونص الترجمة .

جوهر وطرق تركيب النص بلغـة الترجمة

ينحصر جوهر تركيب النص بلغـة الترجمة فى احلال المقـابلات الترجمية محـل وحدات الترجمـة الواردة فى النص الاصلى ، والتى يستخلصها المترجم أثناء مرحلة التحليل كما بينـا سابقا . والعلاقة بين المقابلات الترجمية فى لغة الترجمة وبين وحدات الترجمة فى النص المنقول منه — هى علاقة منضبطة الى حد كبير ، ذلك لثبـات نظم اللغـات المختلفة . فثبات النظم اللفظية والقواعدية والاسلوبية فى اللغـات يتيح امكانية ايجاد مقابلات لوحدات هذه النظم فى لغتين من اللغـات ، الامر الذى يجعل عملية الترجمـة عملية ممكنة تطبيقيا . غير أن هذا لا يعنى وجود مقـابلات ترجمية جاهزة يمكن لها أن تحل محل الوحدات المضمونية الواردة فى النص الاصلى ، وبالتالى لا تخرج عملية تركيب النص بلغة الترجمـة عن اطار الاداء الآلى الطـابع . ان عملية تركيب النص بلغة الترجمـة تبدأ أسـاسا باختيار المترجم للمقابلات الترجمية لما ورد فى النص الاصلى من وحدات ، ثم يقوم المترجم بعد ذلك بصياغة ناتج هذا الاختيـار باللغة التى يترجم اليها . وما من شـك أن اختيار المقابلات الترجمية وصياغة نص الترجمة يتوقفـان بالمقام الاول على مدى مهارات المترجم ، ومعارفه وقدرته فى التمييز بين مقـابل وآخر ، وفى ايجـاده للحلول الفنية الابداعية فى صـياغته لنص الترجمة . والجدير بالاهتمـام أن المقـابلات الترجمية ليست كلها على قدر كامل من التطابق مع وحدات النص الاصلى ، اذ أنها تتفاوت من حيث درجة التطابق نتيجـة الفوارق المرتبطـة بالخصـائص المعنوية والقواعدية والاسلوبية للغات .

المقـابلات الترجميـة :

المقابل الترجمى عبـارة عن وحدة أو عدة وحدات مضمونية فى لغة الترجمة تستخدم فى نقل وحدة أو عدة وحدات من وحدات الترجمـة الواردة فى النص الاصلى . ولكى تكون وحدة من الوحدات مقابلة لوحدة أخرى لا بد من توافر عوامل مشتركة بينهما هى :

— الاشتراك فى عدد من العناصر المعنوية الاساسية .

— الاشتراك فى الخصائص الاسلوبية .

— تكرارية الحضـور فى النص سواء كانت الترجمة تجرى من

اللغة (أ) الى اللغـــة (ب) أو من اللغة (ب) الى اللغـــة (أ) فلفظ teacher في الانجليزية مقابل للفظ « مدرس » فى العربية من واقع الاشتراك فى العناصر المعنوية التالية : معطى العلم وليس متلقيه ، مدرس واحد وليس أكثر ، يلقى العلم فى مدرســـة . الا أن اللفظين يختلفان من حيث امكانية اللفظ العربى فى تسمية عضـــو من أعضاء هيئة التدريس بالمعاهد العليا أو الكليات ــ ولفظ « مدرس » فى هذا الاستخدام يقابله فى الانجليزية lecturer كما أن اللفظ الانجليزى teacher يختلف عن اللفظ العربى المقـــابل له من حيث امكانات التعبير عن التذكير والتأنيث ، فى الوقت الذى لا يتضمن فيه لفظ « مدرس » العربى الا معنى التذكير وحده : أنظر She is a good, teacher فى الانجليزية .والى جانب ذلك ينتمى كلا اللفظين الى طبقـــة أسلوبية واحدة فى استخدامهما فى اللغتين ، كما انهما يتبادلان الحضـــور فى النص اثناء الترجمة من الانجليزية الى العربية وبالعكس . وعلى هذا النحو يمكن القول أن teacher الانجليزية و « مدرس » فى العربية (مع الأخذ بعين الاعتبـــار بعنصر التأنيث فى السياق) مقابلان ترجميان . غير أن المقابلات الترجمية ليست كلها على هذا النحو . فهنـــاك مقابلات ترجمية كاملة التطابق، واخرى جزئية التطابق .

تشتمل **المقابلات الكاملة التطابق** على تلك المقـــابلات المبنية على علاقة التوافق التام بين خصـــائص الوحدة فى اللغتين . ومن بين المقابلات الكاملة التطابق المصطلحات العلمية التخصصية على اختـــلاف مجالات استخدامها (بما فى ذلك المفاهيم الســـياسية والاقتصادية والاجتماعية ذات السمات المشتركة فى البيئات الحضـــارية المختلفة (مثل : السياسة ، الرأسمالية ، الاشتراكية ، الحزب policy, capitalism, socialism, party وما الى ذلك من مفاهيم) . كما تتضمن المقابلات الترجمية الكاملة التطابق كذلك المسميات الجغرافية (القاهرة ــ Cairo ، الولايات المتحدة الامريكيـــة ــ United States of America ، لبنـــان Lebanon) والالفاظ التى تعبر عن مفـــاهيم الزمان (اليوم ــ today ، غدا ــ tomorrow ، عام ــ year) والالفاظ التى تعبر عن مفاهيم المكان (شمال ــ north ، جنـــوب ــ south هنـــا ــ here هنـــاك ــ there) ومسميات أيام الاســـبوع (السبت ــ subbota-Saturday فى الروسية) ومسميات أشـــهر التقويم الميلادى (ينـــاير ــ yenvar — January فى الروســـية ، أغسطس ــ avgust-August فى الروســـية) . كما تشمل المقابلات الترجمية كاملة التطابق بعض التعبيرات والامثال والاقوال ، التى اكتسبت سمة العالمية نتيجـــة التفاعل بين اللغـــات والاقتباس فيما بينهمـــا

(ان للحيطان آذانا — U sten ushi yest — Walls have ears
فى الروسـية ، سبح ضد التيار
plit protive tetcheniya — to swim against the stream
فى الروسـية) . وهناك بعض المقـابلات الترجمـة الكاملة التطابق بين الصيغ التعبيرية المرتبطة بمواقف معينـة فى كل من اللغتين كما فى صيغ الاعلانات التحذيرية (قابل للكسر — Fragile ممنوع التدخين — No smoking وما الى ذلك من صيغ ثابتـة) .

وتمتد المقـابلات الترجمية الكاملة التطابق لتشـمل كذلك بعض النماذج القواعدية فى لغتين من اللغـات : أنظر The sky is blue فى الانجليزية و « السماء زرقاء » فى العربية ، او She opened the door و « فتحت الباب » . غير أن التطابق فى النماذج القواعدية لا يعنى النقل الحرفى لها دونما اعتبار لخصائص اللغة واصول بناء الجملة فيها .

ان المقابلات الترجميـة الكاملة التطابق تعد بدائل تحل أحدها محل الاخرى أثناء عملية تركيب النص بلغة الترجمة على أسـاس من التطابق التام ، ذلك لان العـلاقات بينها تقوم على القاعدة :

أ = ب و ب وحدها .

و ب = أ و أ وحدها .

أما **المقابلات الترجميـة الجزئية التطـابق** ، فلا تخضع لهـذه القاعدة . وتشمل المقابلات الترجمية الجزئية التطابق أغلب وحدات اللغة على المسـتويات اللفظية والقواعدية والاسـلوبية والمعنوية . ان الاختلاف بين نظم اللغـات ينعكس أثره جليا فى المطابقة بين وحدات الترجمة فى النص الاصلى ومقابلاتها فى لغـة الترجمة ، كما أن الفوارق النابعة من الخصـائص الحضارية والبيئية تؤثر بدورها فى عدم اكتمال التطابق بين المقابلات فى لغتين من اللغـات . وتنقسم المقابلات الترجمية الجزئية التطابق الى نوعيات ثلاث :

١ — مقابلات تشترك فى الخصائص المعنوية والاسلوبية ولكنها تختلف من حيث خصـائص تكرارية الحضـور فى النص . فلفظ finger فى الانجليزية يقـابله فى العربية لفظ « اصبع » ، حيث يلتقيان معا فى العناصر المعنوية الاسـاسية والمكانة الاسلوبية بين الفاظ اللغتين ، الا أنهما يختلفان من حيث تكرارية الحضـور فى النص — بمعنى أن

كل استخدامات لفظ finger الانجليزى يقابلها استخدام لفظ « اصبع » العربى وبالعكس . فلفظ finger فى الانجليزية يستخدم بمعنى « عقرب الســاعة » أو « المؤشر » (فى اى من الاجهزة) ، ولا يصلح اللفظ العربى بديلا له فى مثل هذا الاستخدام ، كما أن لفظ finger الانجليزى لا يمكن أن يحل محل « اصبع العربى » فى « اصبع طباشير » ، أو « اصبع موز » ، أو « اصبع القدم » والذى يعبر عنه فى الانجليزية بلفظ toe . ان عدم امكانية تكرارية حضــور اللفظ فى النص بديلا عن لفظ آخر فى لغــة اخرى ترتبط أســاسا بامكانات اللفظ المعنوية ودائرة ارتباطاته مع الالفــاظ الاخرى فى نظــام اللغة . فالالفــاظ لا تتطابق فى تكرارية الحضــور فى النص نتيجــة تعدد المعنى لدى اللفظ الواحد واختــلاف اللفظ المقــابل له فى اللغــة الاخرى من حيث كم وكيف هذا التعدد المعنوى . فلفظ cold فى الانجليزية يقابله فى العربية لفظــان هما « البرد » (كظــاهرة مرضية) ، و « الزكام » ، أما لفظ stol فى الروســية ، فيستخدم لتسمية قطعة الاثاث المعروفة ، وفى هذا المعنى يقــابله فى الانجليزية لفظ table وفى العربيــة « مائدة ، نضد » ، ولكنه يستخدم كذلك بمعنى الغــذاء (fool — board) المادية ، الاكل) ، ثم فى معنى « قسم ، ادارة ، مكتب فى العربية) . غير أن تعدد المعنى هذا يزول ، كما هو معروف ، باستخدام اللفظ فى النص ، ولذا فان تكرارية الحضــور لمثل هذه الالفاظ المتعددة المعنى ترتبط بالسياق بالدرجة الاولى .

٢ ـــ مقابلات تشترك فى الخصائص المعنوية وتختلف فى الخصائص الاســلوبية وفى خصــائص تكرارية الحضــور فى النص . فالالفــاظ العربية « صحراء ، بيداء ، فلاة ، قفر » يقابلها فى الانجليزية لفظ desert وفى الروســية لفظ pustiniya ، الا أن هذين اللفظين لا يلتقيان من حيث الخصــائص الاسلوبية الا مع لفظ « صحراء » فى العربية ، هذا فضـــلا عن امكانية تكرارية الحضــور بالنسبة للالفاظ الثلاثة ، أما الالفــاظ « بيــداء فلاة ، قفر » ، فترتبط فى العربيــة بالاســاليب الكتابية والشعرية ، الامر الذى يؤثر بدوره فى حضــورها فى النص اثناء الترجمة من العربيــة الى الانجليزية أو الروسية . واذا اخذنا لفظ enemy فى الانجليزية و « عدو » فى العربية ، نجد أن لهما اربعة مقابلات فى اللغة الروســية هى : vrag ـــ وهو اللفظ الذى يتفق معهما من حيث العناصر المعنوية الاســاسية ومن حيث خصائص تكرارية الحضــور فى النص ، ثم لفظ prativnik والذى يختلف عنهما بارتباطه بدائرة المصطلحات التخصصية ولذا لا يتجســد حضوره الا فى النصوص

العســـكرية وحدها ثم لفظ nepriyatel والذى ينتمى الى الاساليب الكتابية ذات الصيغة الرسمية ، وأخيرا لفظ nedrug — وهو لفظ يقتصر استخدامه على الاســاليب الشعرية وحدها . وما من شــك أن هذه الفوارق الاسلوبية تقيد امكانية تكرارية حضــور هذه المقابلات فى النص وتجعلها مشروطة بسياق معين .

٣ — مقابلات تختلف من حيث العنــاصر المعنوية وتلتقى من حيث الخصــائص الاسلوبية وخصــائص تكرارية الحضــــور فى النص . ويرجع الاختلاف فى العناصر المعنوية فى مثل هذه الوحدات الى العوامل البيئية والحضــارية . فلفظ banya فى الروســية يقابله bathes فى الانجليزية و « حمام السوق » فى العربية . الا أن المقابلة بين هذه الالفاظ تعتمد على الوظيفة العــامة دون التطابق بين مكونات الواقع المرتبطة بهذه المفاهيم . فلفظ banya يعنى فى الروســية المكان الذى يمكن للمرء فيــه أن يســتحم ويجلس فى جــو ملىء بالبخــار ، ويستمتع بنوع من التدليك المميز باســتخدام حزمة من أفرع شــجرة البتولا الرقيقة وذلك بالضرب الخفيف على أجزاء الجسم المختلفة للاسراع بالدورة الدموية ، ثم يستكمل استمتاعه باحتســاء البيرة . ومثل هذه المكونات لا تمثل أرضــية مفهومى bathes فى الانجليزية و « حمــام السوق » فى العربية ، وان كان « حمام الســوق » فى مصر يشترك فى عنصرى وجود البخــار المنبعث من « المغطس » ، والتدليك باستخدام اللوف . وكذلك الحال بالنســبة للفظ « مقهى » فى العربيــة ، حيث يقتصر الامر على تنــاول مختلف أنواع المشروبات الســاخنة والباردة وتدخين الشــيشــة أو النارجيلة ، حين يختلف شــكل وجوهر ما يطلق عليه فى اللغــات الاوربية لفظ café ، اذ أن هذه المحــال تقدم عادة الوجبــات والمشروبات الروحيــة وغير الروحيــة . ورغم هذه الفوارق فى المكونات البيئيــة والحضــارية ، والتى تشــكل جزءا من البنية المعنوية لمثل هذه الالفاظ ، الا أنها تعتبر مقــابلات ترجميــة يمكن لاى منها أن يحل محل الآخر اثناء الترجمة .

وعلى هذا النحو نجــد المقابلات الترجمية اما أن تكون قائمة على علاقة التطــابق الكامل بين الوحدتين فى اللغتين وبحيث يمكن لاحداها أن تحل محــل الاخرى اثنــاء الترجمة على أساس الثبات أو شــبه الثبات ، ولذا يمكن القول ان المقابلات الترجمية الكاملة التطابق هى المقابلات الثابتــة بين وحدات اللغتين . غير أن علاقة التطــابق بين وحدات اللغتين قد تكون جزئية الطابع نتيجــة الفوارق المعنوية أو الاسلوبية أو البيئية الحضــارية بين اللغــات ، ولذا فان هذه المقابلات

الترجمية مقابلات مشروطة دوما بسياق معين ، ومن هنا يمكن القول ان المقابلات الترجمية جزئية التطابق هى مقابلات سياقية .

والجدير باهتمام أن تعرضنا لقضية المقابلات الترجمية هنا لا يخرج عن الاطر العامة لجوهرها ونوعياتها . ان الدرسات الترجمية فى حاجة الى حصر تطبيقى للمقابلات الترجمية فى لغتين من اللغات (فى الانجليزية والعربية على سبيل المثال) سواء كانت هذه المقابلات على مستوى الالفاظ ووسائل التعبير الاخرى مثل التراكيب اللفظية والتعابير الكنائية والمجازية والامثال والاقوال الشعبية ، أو على مستوى النماذج القواعدية فى اللغتين . ان حصر المقابلات الترجمية على مستوى النماذج القواعدية فى لغتين من اللغات ايسر من حصر هذه المقابلات على المستوى اللفظى والتعبيرى ، ذلك لمحدودية النماذج القواعدية وثبات العلاقات النحوية بين مكوناتها . ان اللغات جميعا تشترك فى الاطر العامة والمقومات الاساسية للنماذج القواعدية . فالجملة هى الجملة فى كل اللغات ، تستخدم فى التعبير عن الفكر والاحاسيس من خلال العلاقات المنطقية النابعة من العلاقات بين مكونات وعناصر الواقع . فعلاقات الفاعلية والفعلية والمفعولية والحالية وغير ذلك من العلاقات النحوية تعرفها اللغات جميعا . الا أن الاختلاف بين نظم اللغات يتكشف فى صيغ تجسيد هذه العلاقات فى الجملة . فصيغة المصدر infinitive فى اللغتين الانجليزية والروسية ، على سبيل المثال ، يمكن أن تقوم بدور المسند اليه فى الجملة كما فى :

To talk of those merry school-days makes one young again.

ولكن صيغة « تحدث » — وهى الصيغة العربية التى اصطلحت المعاجم على تقديمها مقابل للصيغة to talk الانجليزية — لا تصلح للقيام بهذا الدور وفق قوانين اللغة العربية ، ولذا يلجأ المترجم الى احلال لفظ « الحديث » — وهو اسم لحدث — بدلا من صيغة المصدر الانجليزية لتصبح الترجمة : ان الحديث عن ايام الدراسة المرحلة تلك يجعل المرء شابا مرة اخري . واذا كانت صيغة المستقبل المستمر فى الانجليزية يمكن أن تعبر عن الحدث المتوقع كما فى He will be coming soon فان الصيغة المقابلة لها فى العربية تتجسد بدخول السين على المضارع (سيأتى) . ان حصر المقابلات الترجمية سواء على المستوى اللفظى والتعبيرى ، أو على مستوى النماذج القواعدية من شأنه الاسهام اسهاما كبيرا فى دراسة لغتين من اللغات على أسس المقارنة

الترجمية ، كما يحقق فوائد كبيرة فى دفع عملية تدريس الترجمة تطبيقيا فى مختلف المراحل التعليمية .

واذا كنا قد أشرنا الى ضرورة وجود مقابلات ترجمية لوحدات لغتين من اللغات ، وتنوع هذه المقابلات من حيث درجة التطابق ، فان هناك وحدات فى لغة ما ليس لها مقابل فى أية لغة أخرى . ان المسميات البيئية الحضارية المرتبطة بأخص خصائص مجتمع من المجتمعات لا يوجد لها مقابل فى اللغات الاخرى . فمن الصعب ايجاد مقابل للالفاظ Sari (السارى الهندى) Rickcha (مركبة الركشا) ، « جلباب » فى لغة من اللغات ، ولذا ما من سبيل الى نقلها الى اللغات الاخرى سوى استخدام النقل الصوتى . غير أن مجموعة المسميات البيئية الحضارية تضم نوعيات عدة ، كما أسلفنا ، الامر الذى لا يجعل نقلها من لغة الى أخرى مقصورا عى النقل الصوتى وحده . فهناك طرق مختلفة يلجأ اليها المترجم للحصول على المقابل الترجمى ، بما فى ذلك المسميات البيئية الحضارية . ولننظر فى هذه الطرق .

التحويلات الترجمية :

التحويلات الترجمية من أوسع الطرق استخداما أثناء تركيب النص بلغة الترجمة . ويلجأ المترجم الى التحويلات الترجمية عادة نتيجة الفوارق بين نظام لغة الاصل ونظام لغة الترجمة على المستويات اللفظية والقواعدية والتعبيرية والأسلوبية ، ساعيا بذلك الى تحقيق التطابق بين النصين ، والوصول بالترجمة الى التكافؤ وما يتبع ذلك من تأثيرات لها فى قارئها أو سامعها مساوية لتلك التأثيرات ، التى يحدثها النص الاصلى فى متلقيه . ان عدم وجود تطابق كامل بين اللغات من حيث امكانات الوحدات اللفظية والتعبيرية ، والفوارق الناتجة عن تعقد البنية المعنوية للوحدات اللغوية ، واختلاف أصول وأعراف ارتباط الوحدات اللغوية فيما بينها باختلاف اللغات ، وعدم التطابق التام بين الصيغ والتراكيب القواعدية فى اللغات المختلفة — كل هذا يؤدى الى استخدام التحويلات الترجمية على نطاق واسع أثناء اخراج النص بلغة الترجمة ، والا جاءت الترجمة حرفية اللفظ والتركيب ، غريبة على المألوف فى لغة الاداء . وتنقسم التحويلات الترجمية الى تحويلات قواعدية وتحويلات لفظية ، وتحويلات أسلوبية . غير أن هذا التقسيم لا يعنى امكانية وضع حدود واضحة المعالم بين هذه النوعيات من التحويلات ، اذ انها تتداخل

جميعا فيما بينها وفق ما تقتضى به الفوارق بين اللغتين ، واصول وعرف لغة الترجمة .

والتحويلات الترجمية القواعدية ظاهرة ملازمة لعملية تركيب النص بلغة الترجمة ومهما كانت هذه اللغة . فما من ترجمة يمكن أن تؤدى دون اعادة بناء الجملة فى نص الترجمة أو ابدال قسم من اقسام الكلام بدلا من آخر ، أو احلال صيغة اعرابية محل أخرى . فمن غير الممكن ، على سبيل المثال ، ترجمة الجملة الانجليزية :

«Remarkable anywhere by his personal appearance, he was still further distinguished among the rank and file of mankind by the harmless eccentricity of his character» (W. Collins. The Woman in White.)

بنفس بنائها وترتيب مكوناتها فى الانجليزية الى اللغة العربية ، بل يقتضى الامر اعادة بنائها وصياغة مكوناتها وفق ما تطلبه اصول العربية ، لتصبح « وان كان يلفت الانظار بمظهره الشخصى حيثما كان ، الا انه كان أكثر تميزا بين من ينتمون الى مرتبة بنى البشر ويقفون فى مصافهم بوداعة خلقه التى تعددت كل المقاييس . » من الملاحظ ، الى جانب اعادة بناء الجملة فى هذه الترجمة ، وجود تحويلات على مستوى الصيغ : الصفة remarkable — التركيب الفعلى « لفت الانظار » ، الاسم eccentricity — جملة الموصول « التى تعددت كل المقاييس » ، الاسمان rank-file — تركيبين فعليين « انتمي الى مرتبة » و « وقف فى مصافه » : أنظر كذلك ما يقتضيه الامر من تحويل فى اطار الصيغ الاعرابية اثناء ترجمة العبارة الانجليزية :

«Spance gave me his expressionless glance.» (A. Cronine. Shannon's way).

« نظر الى سبنس نظرته الخاطفة الخالية من أى تعبير » ، حيث تحولت صيغة المفعول به والمكون من صفة وموصوف الى صيغة المفعول المطلق وما يتبعها من نعوت فى العربية .

وعلى هذا النحو نجد أن أصول النظام النحوى والصرفى فى لغة الترجمة تقضى عادة باحداث تحويلات ترجمية قواعدية لتتفق الترجمة ومتطلبات لغة المتلقى . والجدير بالاهتمام أن التحويلات القواعدية تقترن عادة بتحويلات ترجمية لفظية .

والتحـــويلات الترجميــــة اللفظية تنبع عادة من الضرورات التى تقتضيها أسس التعبير فى لغـــة الترجمة ، ومن الضـــوابط التى تحكم ارتباط وحدات اللغـــة فيما بينها فى الســـياق ، فضـــلا عن الاختلاف بين اللغـــات من حيث الخصـــائص المعنوية لوحداتها وتراكيبها اللفظية . ان المترجم يصـــادف خلال معالجته للنص الاصلى وحدات قد تبدو بالغة البساطة بالنسبة لمتلقى هذا النص بلغته الاصلية ، الا أن مقتضـــيات لغة الترجمة تفرض عليه القيـــام بعملية تحويل لفظية كى يستقيم أسلوب الترجمة ويصل نصها الى متلقيه بلغته الطبيعية : فمن غير الممكن ترجمـــة لفظى faintest-heaviest الى العربية فى العبارة التالية :

««The evening. I remember, was still and cloudy; the London air was at its heaviest; the distant hum of the street traffic was at its faintest.» (W. Collins. The Woman in White).

دون الاهتمام بما يتطلبه الســـياق فى النص العربى ، الامر الذى يجعل المترجم يلجـــأ الى الوســـائل اللفظية لتغطية المعنى من ناحية ، والخروج بنص مألوف للمتلقى : انظر التحويل اللفظى الذى تحتويه الترجمـــة « وأذكر أن المســـاء كان ساكنا ومغيما ، وهواء لندن فى أقصى درجة يمكن ان يصـــل اليها من الثقل ، والضجيج البعيد لحركة المرور فى الشارع فى أقصى درجة له من الهدوء » . وتلعب مقتضـــيات التعبير فى لغة الترجمة دورا كبيرا فى التحويلات اللفظية التى يقوم بها المترجم أثناء الاداء بدءا بالتحويلات البســـيطة مثلما فى ترجمة عبارة :

«It was a quarter past six when I reached the building ..» (Aè Cornin. The Shonnon's way).

« كانت الساعة السادسة والربع حين وصلت الى المبنى » ، وكما فى ترجمة عبارة :

I haven't seen him for ages.

« لم أره دهرا كاملا (أو عمرا كاملا) » ، وانتهـــاء بالتحويلات التى تشغل حيزا كبيرا من القول مثلما فى ترجمة العبارة التالية :

«For my own poor part, the fading summer left me out of health out of spirits, and if the truth must be told, out of money as well» (W. Collins. The Woman in White).

« أما فيما يتعلق بشخصى المتواضع ، فان الصيف ، وهو فى طريقه

الى الزوال ، قد تركنى مفتقرا الى الصحة ، مفتقرا الى المزاج ، واذا تحرينا الصراحة ، مفتقرا الى المال كذلك . »

ان التحويلات اللفظيـــة هى الاداة التى يستعين بها المترجم للخروج بالنص من دائرة الحرفيـــة والمحاكاة ، وهى التى تجعـــل مضمون النص المترجم وشكله موائما لمقتضـــيات التعبير فى لغـــة الترجمة . ومن ناحية أخرى لا تقتصر ضرورة التحويلات الترجميـــة على متطلبات التعبير فى لغة الترجمة وحدها ، اذ أن هناك من الوحدات الواردة فى النص الاصلى ما يفرض أحـــداث مثل هذه التحـــويلات نتيجـــة تعقـــد بنيتـــه المعنويـــة . فهناك فى اللغة الانجليزيـــة على بســـبيل المثال عـــدد من الافعـــال تتضمن بنيتها المعنوية الى جانب معنى الحـــدث ، عناصر معنوية تبين كيفية أو وســـائل تحقيق هذا الحـــدث . ففعل to dart يتضمن الى جانب التعبير عن الحـــدث الاشـــارة الى الاندفاع والسرعة فى القيام به ، ولذا يتطلب نقله الى العربيـــة تحويلا لفظيا لتغطيـــة معناه الســـياقى على النحو التالى :

«Professer Pesca, appeared in the servant's place, and darted out joyously to receive me» (Wi Collins. The Woman in White)

« وظهر البروفســـير بيسكا فى المكان المخصص للخـــدم واندفع بابتهاج نحوى كالسـهم لملاقاتى . « : أنظر كذلك التحويل اللفظى الذى تتطلبه ترجمـــة فعل to wave الى العربيـــة فى العبارة التالية :

He waved her into the car.

« لوح بيده مشـــيرا لها أن تركب الســـيارة » . والجدير بالاهتمام أن افعال الحركة فىاللغـــة الروســـية أفعال مركبـــة البنية المعنوية كذلك ، اذ أنهـــا تعبر عن الحركة واتجاهها ووســـيلة القيام بها . ولقد أشـــار جون كاتفورد (١) الى أهميـــة هذه العنـــاصر أثنـــاء عملية النقل من لغـــة الى أخرى فى حالة عدم وجود مقـــابل لفظى فى لغة الترجمة يغطى هذه المكونات معنويا . وأوضح جون كاتفورد موقف

---

1. J.C. Catford A linguistic Theory of Translation London, 1965 p. 97.

المقابلة بين صيغتى فعلى priyekhala — prishla الروسيين فى النص التالى من رواية « الطفولة » لمكسيم جوركى :

— Ti at kuda prisha ? — spracila yeyu.
— Sverkhu, iz Nijneva, da ne prishla, a priyekhala. Pa vade-ta ne Khaudiyat, shish.

ففعل prishla يعنى المجىء سيرا على الاقدام ، أما فعل priyekhala فيعنى المجىء بوسيلة من وسائل المواصلات . واذا كانت اللغة الروسية تهتم بتبيان وسيلة الحركة ، فان مقابلى هذين الفعلين فى الانجليزية to come-to arrive وفى العربية « جاء ، وصل » لا يتضمنان العنصر المعنوى المرتبط بوسيلة الوصول ، ولذا فان ترجمة هذين الفعلين الى أى من هاتين اللغتين تتطلب تحويلا لفظيا لتعويض عنصر وصف وسيلة الحركة ولا سيما لو كان الموقف مبنيا على المقابلة بينهما كما فى نص مكسيم جوركى : أنظر ترجمة النص الى العربية وما تحتويه من تحويل لفظى : « سألتها :ـ من اين جاءت بك قدماك ؟ فأجابت : ـ جئت من منطقة أعالى النهر .. من مدينة نيجنى .. ثم اننى جئت بمركب لا بقدمى .. فالناس لا يمشون بأقدامهم على الماء ياناصح ! » ..

وعلى هذا النحو نجد أن التحويلات اللفظية ، مثلها مثل التحويلات القواعدية ، ظاهرة ملازمة لعملية الاداء أثناء الترجمة وترجع هذه التحويلات وتلك الى خصائص نظم اللغات فى التعبير والاختلاف فيما بينها فى وسائل التجسيد المادى للوحدات اللغوية . ومن ناحية أخرى تترك خصائص اللغات والفوارق بين نظم التعبير بها بصماتها على الوسائل الاسلوبية بها ، الامر الذى يقتضى كذلك بالقيام **بالتحويلات الترجمية الاسلوبية** . واذا كان المترجم يبغى من وراء استخدام التحويلات الترجمية القواعدية واللفظية توصيل النص الى المتلقى بما يتفق وأصول وأعراف لغة الترجمة ، فانه يستهدف بالتحويلات الترجمية الاسلوبية الوصول بنص الترجمة الى حيز التكافؤ وما يتبع ذلك من تأثير فى المتلقى مساو لما يحدثه النص الاصلى فى متلقيه . فما من نص ، ومهما كانت نوعيته ، يخلو من عناصر المجاز أو الاستعارة أو التشبيه أو الكناية وغير ذلك من وسائل بلاغية . وان كانت اللغات جميعا تشترك فى وجود هذه الوسائل ، الا أن الخصائص اللغوية والبيئية والحضارية تفرض وجودها على هذه الوسائل مما يجعلها مختلفة من حيث درجة التطابق بين لغة وأخرى . فهناك من الوسائل البلاغية

ما يمكن أن يتقبلها متلقى نص الترجمة لتماشيها مع ما درج عليه من ظواهر تعبيرية وجمالية . غير أن الاستعارات والكنايات والمجاز وما الى ذلك من وســـائل قد تبدو غير مألوفة وغير مستساغة بالنســـبة لمتلقى نص الترجمة ولذا يلجـــأ المترجم الى عملية تحويل تجعل الصـــورة الفنية موائمة . لتذوق المتلقى الجمالى . فاذا أخذنا ، على ســـبيل المثال ، العبارة التالية :

«.... the small pulse of the life within me and the great heart of the city around me seemed to be sinking in unison, languidly and more languidly, with the sinking sun» (W. Collins. The Woman in White).

نجد أن هناك من الصـــور المجـــازية ما يمكن أن يتقبله المتلقى العـــربى كمـــا فى the small pulse of life with me

— نبض الحياة الواهى فى ، the great heart of the city around me

— قلب المدينة الكبير من حولى . الا أن الصـــورة الفنية ككل تحتـــاج الى عملية تحويل تستهدف اخراج هذه الصـــورة وفق المعايير الاسلوبية والجمالية المألوفة فى العربيـــة ، ولتصبح ترجمة العبارة : « بدا كما لو كان نبض الحيـــاة الواهى فى داخلى وقلب المدينـــة الكبير من حولى يذوبان فى تآلف مع الشمس الغاربة يفتر رويدا رويدا . » وقد يبـــدو أن السمة الغالبة على عملية التحويل هنا هى السمة اللفظية ، ولذا تندرج مثل هذه التحويلات تحت نوعية التحويلات اللفظية . الواقع ان التحويل اللفظى فى حالتنا هذه يرمى فى المقـــام الاول الى تغطية المواصفات الاسلوبية الجمالية فى النص ان كل عملية تحويل أسلوبية لا تخلو من المكونات اللفظية ، بل والقواعـــدية ، ولذا من الصـــعب ، كما أشرنا فيما سبق ، الفصـــل بين هذه التحويلات الثلاثة ، وحتى لو كانت التحويل الاسلوبى مرتبطا بوحدة من الوحدات البسيطة مثلما فى نقـــل الكنـــاية to be at one's elbow كما فى العبارة التالية :

«Since my approach was quiet I was at his elbow before he became aware of my presence.» (A. Cornin. The Shannon's Way).

« اقتربت منه فى هدوء ولذا لم ينتبه الى وجودى الا عندما شعر بأنفاسى بالقرب منه (أو — بعد ما أحس بى واقفـــا عند رأســـه) »

مجمل القول ان عملية التحويلات الترجميـــة اللفظية والقواعدية

والاسلوبية ضرورية أثناء اخراج النص بلغة الترجمة . وتنبع التحويلات الترجمية من وجوب المواءمة بين المعايير والاعراف المعمول بها فى لغة الترجمة ، فضلا عن ارتباطها بخصائص اللغات وامكانات التعبير بها . وان كانت هذه التحويلات الترجمية تستهدف مستوى من مستويات اللغة ، الا انها فى واقع الامر متشابكة فيما بينها فى أغلب الاحوال . والجدير بالاهتمام أن التحويلات الترجمية ظاهرة ملازمة لترجمة التعابير بنوعياتها ، وكذلك لنقل الامثال والاقوال الشعبية والحكم والاقوال المأثورة . من لغة الى أخرى . ولنقف عند ترجمة هذه الظواهر اللغوية ببعض من التفصيل .

فى ترجمة التعابير الكنائية والمجازية والاصطلاحية والامثال والاقوال الشعبية والحكم والاقوال المأثورة :

سبق وأشرنا أثناء العرض لتحليل النص الى أهمية معالجة التعابير الكنائية والمجازية والاصطلاحات والامثال والاقوال الشعبية والحكم والاقوال المأثورة معالجة خاصة أثناء الترجمة . والواقع أن الغالبية العظمى لهذه الظواهر اللغوية تتضمن صورا فنية بلاغية ، ولذا فان استخدامها فى نص من النصوص يكون دوما محملا بوظيفة أسلوبية تعبيرية تستهدف احداث تأثير جمالى فى متلقى النص . وهذه الظواهر اللغوية ليست قاصرة فى الاستخدام على أسلوب من أساليب اللغة ، بل يصادفها المترجم فى مختلف نوعيات الكتابات ما بين اعلامية وأدبية ، حيث تقوم بدور تعبيرى يحمل تضمينات لتوضيح العلاقات الايجابية أو السلبية أو لتباين الصور الجمالية البلاغية فى النص . ولكن هذا لا يعنى أن الكتابات العلمية المتخصصة تخلو من مثل هذه الظواهر اللغوية ، الا أن التعابير باختلاف نوعياتها — ذلك لعدم استخدام الامثال الشعبية والحكم والاقوال المأثورة فى لغة العلوم الا فى القليل النادر — تستخدم فى الكتابات العلمية لاداء وظيفة اخبارية بحتة وفق ما تقضى به أصول الكتابة العلمية .

بادىء ذى بدء تقوم المطابقة بين التعابير الكنائية والمجازية والاصطلاحية فى لغتين من اللغات على أساس المفهوم الشامل الذى يقترن به معنى التعبير ودون الاستناد الى العناصر اللفظية المكونة له . فمن غير الممكن ، على سبيل المثال ، نقل التعبير الانجليزى to keep something under one's hat الى اللغة العربية نقلا حرفيا موازيا لما تحمله مكوناته اللفظية من معان ، بل تقضى متطلبات المطابقة بالانطلاق من المفهوم الشامل لهذا التعبير — وهو

المفهوم المقترن بمعناه العام : « أبقى عليه سرا » ، ومن هنا يبدأ المترجم البحث عن المقابل العربى لهذا التعبير من بين عدة خيارات ترتبط بهذا المفهوم فى العربية مثلما فى : « أبقى فى طى الكتمان » أو « وضع سره فى بئر » الى آخر ذلك من مرادفات يجمع بينها هذا المعنى . وكذلك الحال بالنسبة للانتقال من التعبير الانجليزى between the devil and the deep blue sea الى مقابله فى العربية « بين نارين » ، حيث تشكل وحدة التعبير عن مفهوم « الوجود بين شرين » أساسا للمطابقة بين التعبيرين فى اللغتين . اما فيما يتعلق بالمطابقة بين الامثال فتستند على وحدة المضرب — الموقف بمعنى الملابسات التى يفرض وجودها استخدام الوحدة فى السياق . ان ما يجمع بين القول الانجليزى Alwaye has been, always will be وبين القول العربى « من شب على شىء شاب عليه » هو لالتقاء فى وصف موقف واحد من مواقف الاستخدام . وكذلك الحال بالنسبة للمطابقة بين المثل الانجليزى You find fault with a fat goose ومقابله فى العربية « لا تعدم الحسناء ذاما » ، اذ يمكن احلال هذا المثل بذاك فى الترجمة نتيجة الالتقاء فى مضرب الاستخدام .

غير أن المطابقة على أساس الاشتراك فى المفهوم بين تعبيرين من التعبيرات ، وعلى أساس الالتقاء فى موقف وملابسات الاستخدام بين مثلين أو قولين فى لغتين من اللغات — لا تكفى وحدها فى توفير الدقة المطلوبة فى معالجة مثل هذه الظواهر اللغوية أثناء الترجمة . ان ما تحمله غالبية هذه الظواهر اللغوية من عناصر فنية بلاغية وما تؤديه من وظائف تعبيرية وجمالية فى النص يملى ضرورة الاخذ فى عين الاعتبار بهذه العناصر والوظائف أثناء عملية النقل من لغة الى أخرى . وفى اطار المطابقة بين هذه الوحدات فى لغتى الاصل والترجمة تنقل التعابير الكنائية والمجازية والاصطلاحية والامثال والاقوال الشعبية من لغة الى أخرى وفق الطرق التالية :

١ — ايجاد المقابل المكافىء adequate والذى يقوم على التطابق التام بين التعبيرين أو المثلين أو القولين فى لغة الاصل ولغة الترجمة لا من حيث المضمون فحسب ، بل ومن حيث الصورة الفنية البلاغية كذلك . ومثال ذلك التوافق التام بين التعابير والامثال والاقوال الانجليزية والعربية التالية :

Behind one's back	من وراء ظهره
All skin and bone	جلد على عظم

To Kill two birds with one stone	ضرب عصفورين بحجر
To clear the air	صفى الجـو
Walls have air	ان للحيطان آذانا
Strike while the iron is hot	اطرق الحديد وهو ساخن

Those who live in glass houses should not throw stones

من كان بيته من زجاج لا يرمى الآخرين بالحجارة

٢ ـ ايجاد المقـابل المطابق equivalent حيث يتفق التعبير أو المثل أو القول مع مثيله الاجنبى من حيث المضمون أو المضرب ، ولكنه يختلف عنه كليا أو جزئيا من حيث تجسـيد الصـورة الفنية البلاغية . والجدير بالملاحظة أن الترجمة بالمقابل المطابق تشمل الغالبية العظمى من التعابير الكنائية والمجازية والاصطلاحية والامثال والاقوال الشعبية ، ذلك لان الصور الفنية البلاغية ترتبط أسـاسا بخصـائص لغة شعب من الشعوب ، فضـلا عن ارتباط مكوناتها اللفظية بالبيئة المميزة لهـذا الشعب . ويتبين لنا وحدة المضمون أو المضرب واختلاف التجسـيد اللفظى فى الصور الفنية البلاغية من التعابير والامثال والاقوال الشعبية الانجليزية والعربية التالية :

At someone's beck and call	طوع بنـانه
A chip off the old block	هذا الشـبل من ذاك الاسد
To rain cats and dogs	مطر كأفواه القرب
Up to the eyes in	غارق لاذنيه فى
To give one his head	ألقى له الحبـل على الغـارب
Diamonds cut diamonds	لا يفل الحديد الا الحديد
Even Homer sometimes nods	لكل عالم هفوة
The leapard cannot change its spots	الطبع يغلب التطبع

ومما تجدر الاشارة اليه أن المقابلات المكافئـة والمطابقة تعتبر مقابلات ترجمية كاملة التطابق ، ولذا من الممكن أن تحل محل الوحدة المراد ترجمتها وحدة من لغـة أخرى دون اخلال بالتضمينات التعبيرية

الجمالية المصـــاحبة لاستخدام التعـــابير بنوعياتها والامثـــال والاقوال الشـعبية فى السياق .

٣ — ايجاد المثيل analogue . يلجأ المترجم عادة الى المثيل فى حالة عدم وجود مقابلات مكافئة ومطابقة . ويتميز المثيل بوجود اختلافات بينه وبين الوحدة المراد ترجمتها اما فى المفهوم أو المضرب واما بخلو المقابل من الصـــورة الفنية البلاغية — بمعنى عدم وجود تطـــابق تام بين الوحدة ومقابلها ، ومثال ذلك خلو القول الانجليزى It is too late من الصـــورة الفنية البلاغية ، بينما نجـدها مقترنة بمقـــابله العربى « سبق السيف العزل » . واذا نظرنا الى التعبير To save his skin ومقابله العربى « نفد بجلده » نجد أن التعبير العربى أوسع استخداما من الانجليزى ، حيث يعنى الى جانب « نجا بنفســـه » — « هرب من شر أو عقـــاب كان من المتوقع أن ينزل به » . ومن الممكن تتبع عدم التطابق التام بين التعابير والامثال والاقوال الشعبية الانجليزية ومثيلاتها فى العربية مما يلى :

هذه حكاية أخرى	A horse of another colour
احتفظ برباطة جاشه	To keep a cool head
لم يثبت على حال (انظر .	To blow hot and cold

مثل رياح أمشير كل ساعة فى حال — حيث الاختلاف فى نوعيـــة الوحدة . فالوحدة الانجليزية تعبير مجازى ، بينما تعد فى العربية من بين الامثال) .

If you want a thing well done, do it yourself. ماحك جلدك مثل ظفرك

٤ — الترجمة من خلال النحل Calque . والمقصـــود بالنحل هو النقل المعنوى الحرفى للتعبير او المثل أو القول الشـعبى مع الحفاظ على الصـــورة الفنية البلاغية الاجنبية المكونة لنسيجه الداخلى ، وذلك لعدم وجود مقـــابل او مثيل له فى لغة الترجمة . ومن بين ما اصـــبح شـــائع الاستخدام فى العربية الوحدات المنحولة التالية :

وضع العربة أمام الحصان	To put the cart before the horse
ارتفع الى مستوى الاحداث	To rise to the occasion

فرق تسـد — Divide and rule

لا كرامة لنبى فى وطنه — No man is a prophet in his iwn country

أما الحكم والاقوال المأثورة ، فقد درج المترجمون على نقلها من لغة الى اخرى نقلا حرفيا مع الحفـاظ على ما ورد بها من صـور فنية بلاغية ، ان وجدت ، وذلك لطبيعة كل من هاتين الظاهرتين . فالحكم تتضمن أحكاما عامة ، ومواعظ تربوية تخـاطب العقل والادراك دونما اقتصار على حدود قومية دون غيرها . أما الاقوال المأثورة الشـائعة الاستخدام على مستوى عدة لغـات ، فترتبط باسم قائلها ومواقف استخدامها : انظر ترجمة الحكم والاقوال المأثورة التالية العربية :

التجربة أم الحكمة — Experience is the mother of wisdom

المعرفة قوة — Knewledge is power

النقود ليست لها رائحة (قول — Money has no smell

الامبراطور الرومانى فسبسيان لابنه حين اعترض على فرض ضريبة على دورات المياه العامة)

The mountain has brought forth a mouse

تمخض الجبل فولد فأرا (قول مأخوذ من خرافات ايسوب)

وعلى هذا النحو ينطلق المترجم فى نقله للتعابير الكنائية والمجازيـة والاصطلاحية والأمثال والأقوال الشعبية والحكم والأقـوال المأثورة من ضوابط مقننة قوامها المطابقة بين المضمون او المضرب والصور الفنيـة البلاغية الكامنة فى هذه الظواهر اللغوية . وتصل عملية نقل هذه الظواهر اللغوية من لغة الى أخرى أقصى درجات التطابق باستخدام المقابـلات المكافئة والمطابقة ، حيث يمكن المساواة بين الوحدة فى لغة الأصل وفى لغة الترجمة من وجهة نظر المحتوى المعنوى والتأثير الجمالى . ويلجأ المترجم، فى حالة عدم وجود مقابلات متطابقة تطابقا كاملا بين الوحدة فى لغـة الأصل وفى لغة الترجمة ، الى ايجاد المثيل او استخدام النحل أثنـاء الأداء ، هذا بجانب النقل الحرفى للحكم والأقوال المأثورة . ومن الضرورى التنبيه الى أن حرية المترجم فى اختيـار المثيل أو اسـتخدام النحل او الترجمة الحرفية أثناء نقل هذه الظواهر اللغوية من لغة الى اخرى ليست

حرية مطلقة ، اذ أن أمانة النقل تقضى بالبحث عن المقابلات المكافئة والمطابقة بين ثروة لغة الترجمة التعبيرية للوصول بالترجمة الى أقصى قدر من القوة الفنية الجمالية . ان استخدام النحل والترجمة الحرفية مرهون بالحاجة القصوى لاستيفاء متطلبات الترجمة لا بعجز المترجم عن البحث عن المقابل أو بتوانيه وتبسيطه فى معالجة النص المنقول منه ، الأمر الذى ينزل بالترجمة الى المستوى الأدنى من القيمة . والجدير بالاهتمام أن استخدام النحل ليس قاصرا على نقل التعابير بنوعياتها والأمثال والأقوال الشعبية والحكم والأقوال المأثورة وحدها ، بل يعد ظاهرة واسعة الاستخدام فى الترجمة من لغة الى اخرى ، وذلك كضرب من الاقتباس borrowing ويعتبر الاقتباس وسيلة مشروعة من وسائل الترجمة يؤكدها واقع الممارسة العملية .

الاقتباس كوسيلة للترجمة :

يستخدم الاقتباس فى الترجمة بصفة عامة بهدف ايجاد مقابلات مباشرة للوحدات الواردة فى النص المنقول منه والتى ليس لها مقابل أصلا فى لغة الترجمة . ويتم الاقتباس بطريقتين : الأولى هى النقل الصوتى ، والثانية هى النحل .

النقل الصوتى : .Transliteration

يستخدم النقل الصوتى على نطاق واسع فى الترجمة . فهو الوسيلة الوحيدة لنقل اسماء الأعلام ، وأسماء المدن والبلدان ومسميات الانهار والجبال والبحيرات وغير ذلك من المسميات التى تنقل نقلا صوتيا من لغة الى اخرى ولو كانت تحمل معان فى لغاتها الأصلية فمن غير الممكن ترجمة أسم المدينة الامريكية Salt Lake city الى اى من اللغات رغم معناها الواضح ، كما لا يقبل العرف ترجمة المسمى العربى « باب المندب Bab el Mandeb الى اللغات الأخرى ، ذلك لأن النقل الصوتى هو الوسيلة المتعارف عليها لنقل هذه المسميات من لغة الى أخرى . غير أن هذا لا يمنع وجود مسميات لبلدان ومواقع جغرافية جرى العرف على ترجمتها ترجمة حرفية،ومثال ذلك : Cape of Good hope رأس الرجاء الصالح ، German Federal Reublic جمهورية المانيا الاتحادية ، البحر الميت ـــ Dead sea ، بجانب اسماء البحار « الملونة » : البحر الاحمر ـــ Red sea ، البحر الأسود ـــ Black sea ، البحر الأبيض (شمال غرب الاتحاد السوفيتى) White sea ، البحر الأصفر ـــ Yellow sea .

ويعد النقل الصوتى الأداة الرئيسية للاقتباس اللفظى بين اللغات

لا سيما فيما يتعلق بمسميات المفاهيم المرتبطة بمختلف مناحى النشاط الانسانى الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية والفنية . فالناقل من لغة الى أخرى ، حين لا يجد مقابلا للوحدة الواردة فى النص المنقول منه فى لغة الترجمة ، يضطر لا الى نقل المفهوم وحده ، بل والى نقل صورته الصوتية الأجنبية كذلك . وهكذا انتشرت فى لغات عدة وحدات لفظية تشكل قاعدة مشتركة أساسها وحدة المفهوم وتقارب فى اللفظ الصوتى وذلك مثل الوحدات اللفظية التالية :

ديمقراطية	(فى الروسية)	democracy-demakratiya
دكتاتور	(فى الروسية)	dictator-diktatar
برلمان	(فى الروسية)	parliament-parlament
تراجيديا	(فى الروسية)	tragedy-tragidiya
دراما	(فى الروسية)	drama-drama
كريم	(فى الروسية)	cream-krem
بوفيه	(فى الروسية)	buffet-bufet

ومما تجدر الاشارة اليه أن الكتابات العلمية هى أوسع مجالات الاقتباس ، ولذا نجد الكثير من المصطلحات العلمية المشتركة فى الكثير من اللغات ، ومثال ذلك المصطلحات اللغوية فى اللغات الأوربية : metafara-mataphor فى الروسية métaphore فى الفرنسية métafora فى الاسبانية (استعارة) ، fanema-phoneme فى الروسية ، phonême فى الفرنسية phonem فى الألمانية fonema فى الأسبانية (وتستخدم الآن فى العربية بلفظ « فونيم ») .

غير أن هذا لا يعنى أن مثل هذه الوحدات اللفظية تنتشر فى اللغات عامة — بمعنى أنتقالها بصورتها الصوتية ومضمونها المتعارف عليه الى كل اللغات دون استثناء لتصبح قاسما مشتركا بينها . فاذا كانت اللغات الاوربية تسمح بوجود مثل هذه القاعدة المشتركة من الألفاظ المقتبسة ، مع بعض من التفاوت ، نتيجة تشابه الخصائص الحضارية لأبناء هذه اللغات ، فان اللغة العربية بانتمائها الى مجموعة أخرى من اللغات ، وبتطورها التاريخى على امتداد حقبة طويلة من الزمن ، وبمرونة نظام الاشتقاق بها ، تختلف عن اللغات الأوربية من حيث حجم الوحدات اللغوية المقتبسة بالنقل الصوتى . فلفظ socialism يدخل فى القاعدة اللفظية المشتركة فى عدد كبير من اللغات الأوربية (socialisme

فى الفرنسية satsiyalizm فى الروسية) ، ولكن مقابلة العربى « اشتراكية » مشتق من مادة عربية الأصل ، وكذلك الحال بالنسبة للفظ party (parti فى الفرنسية partiya فى الروسية) والذى يقابله فى العربية اللفظ « حزب » . والأمثلة على الاختلاف بين اللغة العربية واللغات الأوربية من حيث نسبة استيعاب الالفاظ المقتبسة بالنقل الصوتى كثيرة : انظر politique-policy فى الفرنسية ، palitika فى الروسية و « سياسة » فى العربية ، crédit-credit فى الفرنسية Kredit فى الروسية و « قرض » فى العربية وما الى ذلك .

وعلى هذا النحو يعتبر النقل الصوتى الأداة الرئيسية للاقتباس اللفظى بين اللغات مما يؤدى الى وجود قاعدة لفظية مشتركة . وتخدم هذه القاعدة عملية النقل من لغة الى أخرى ، اذ أنها توجد أرضية تلاقى الكثير من المقابلات المباشرة فى اللغات . غير أنه من الضرورى الأخذ فى عين الاعتبار بخصائص اللغة والبيئة الحضارية فى استيعاب الوحدات اللفظية المقتبسة وفى امكانات استخدامها . واذا كان النقل الصوتى يستخدم اثناء الترجمة فى نقل اسماء الأعلام والمسميات الجغرافية والمفاهيم البيئية والحضارية التى لا مقابل لها فى لغة الترجمة ، فان هذا لا يعنى اطلاق يد المترجم — فى حالة الترجمة الى العربية — فى نقل كل ما يصادفه من مفاهيم جديدة نقلا صوتيا . فينبغى على المترجم أن يكون على دراية واسعة بنظام الاشتقاق فى العربية فضلا عن متابعة ما وصلت اليه حركة التعريب المصطلحات والمسميات الحديثة فى الوطن العربية ، وذلك حفاظا على الموروث العربى الأصيل ، والاستفادة من مرونة اللغة العربية فى استيعاب مفاهيم المسميات الحضارية الحديثة . وينبغى التنويه هنا بالفرق بين النقل الصوتى وبين الكتابة الصوتية Transcription فالكتابة الصوتية عبارة عن مجموعة اصطلاحية من الرموز والعلامات لكتابة لفظ أو عبارة أو نص بالأصوات كأن نكتب اللفظ الانجليزى council صوتيا على النحو التالى [Kaunsl] أو نكتب اللفظ العربى « كتاب » صوتيا على النحو التالى [Kitab-un] . والكتابة الصوتية ليست من الوسائل المستخدمة فى الترجمة ، الا أنها تسهم فى سلامة النقل الصوتى للألفاظ الأجنبية فى حالة اضطرار المترجم لاستخدامها .

النحل :

سبق وأشرنا الى استخدام النحل كوسيلة لنقل التعابير والأمثال والأقوال فى حالة عدم وجود الوحدات المقابلة والمثيلة لها فى لغة الترجمة . واذا كان الاقتباس من خلال النقل الصوتى يعتمد على نقل الشكل الصوتى

بالمضمون المعنوى للفظ الأجنبى ، فان النحل ينحصر فى نقل المضمون المعنوى دون الشكل الصوتى مع صياغة هذا المضمون وفق النموذج الأجنبى ومثال ذلك نحل « لا حزبى » فى العربية من sans-party و « غير منحاز » من non-aligned ، و « نقد ذاتى » من autocritic وما الى ذلك . ويعتمد النحل على النقل الحرفى لمكونات اللفظ أو عناصر التركيب اللفظية مثلما فى « محطة خدمة » من service station وفى « سبح ضد التيار » من swim against the stream وفى « اعط ما لله لله وما لقيصر » من :

Render onto Caesar, what caesar's is, and onto God, what God's is

مجمل القول يستخدم الاقتباس بنوعيه : النقل الصوتى للوحدة الأجنبية والنقل المعنوى لها حرفيا — فى الترجمة كوسيلة من وسائل تركيب النص لسد الثغرات اللفظية التى يصادفها المترجم فى لغة الترجمة أثناء الأداء . والاقتباس بنوعية وسيلة مشروعة من وسائل اخراج النص بلغة الترجمة ، غير أن الاغراق فيه يعد معيبا ولا سيما لو كان ناتجا عن تقاعس المترجم عن الاستفادة من امكانات لغة الترجمة اللفظة والتعبيرية .

وعلى هذا النحو تبدأ عملية تركيب النص بلغة الترجمة بايجاد المقابلات الترجمية للوحدات الواردة فى النص الأصلى استنادا على ما استخلصه المترجم أثناء مرحلة التحليل ، وبعد ذلك ينتقل المترجم الى اخراج النص بلغة الترجمة بصياغة الوحدات المقابلة وفق أصول اللغة المنقول اليها ، واضعا هدفه الأسمى الوصول بنص الترجمة الى حد التطابق والتكافؤ بين النصين الأصلى والمترجم . ويضطر المترجم أثناء اخراج النص بلغة الترجمة الى القيام بعمليات تحويلية تشمل مستويات بنية اللغة النحوية واللفظية والاسلوبية للمواءمة بين نص الترجمة وبين القواعد المعمول بها فى هذه اللغة كى يجىء النص مألوف الطابع والسياق لمتلقيه الجديد . والى جانب ذلك يؤكد واقع الممارسة العملية للترجمة امكانية استخدام المترجم للنقل الصوتى للوحدات الواردة فى النص الأصلى أو للنحل من هذه الوحدات بهدف توصيل عناصر مضمون النص المرتبطة بسمات واقع لغة الأصل . ان اختلاف الظروف البيئية والحضارية والفوارق الكامنة بين اللغات على المستويين اللفظى والتعبيرى — هى التى تدفع المترجم الى استخدام سبيل الاقتباس بنوعيه . غير أن عناصر واقع لغة النص الأصلى قد تقضى فى بعض الأحيان بالتطوير اللفظى والمعنوى للوحدة الواردة فى النص الأصلى ، فيعمل المترجم على وصف الموقف وصفا تفصيليا ليقربه الى ذهن متلقى الترجمة . فمن غير الممكن ،

على سبيل المثال ، نقل تعبير « ليلة الحناء » من العربية الى أى من اللغات دون وصف للمناسبة والتقاليد المتبعة فى هذه الليلة الاحتفالية ، كما لا يفى نقل اصطلاح drive-in الى العربية كـ « سينما فى الهواء الطلق » دون الاشارة الى امكانية ولوج المشاهد بسيارته الى الساحة المعدة للعرض .

ان عملية اخراج النص بلغة الترجمة تعتمد أساسا على ضوابط موضوعية . وترجع هذه الضوابط الى مادة النص الأصلى من حيث وحدة شكلها ومضمونها ، والى نوعية النص والهدف منه . وهذه العوامل هى التى تحدد خطى المترجم أثناء الأداء . غير أن هناك عوامل موضوعية أخرى تؤثر فى اخراج النص بلغة الترجمة . وأولى هذه العوامل هى القواعد المنظمة لاستخدام وحدات لغة الترجمة فى النص المنقول اليه . فالمترجم لا يصيغ نص الترجمة وفق القواعد النحوية واللفظية والتعبيرية المتبعة فى لغة الأصل ، بل يتبع أصول الصياغة والتعبير اللغوى فى لغة الترجمة . ولكن هذا لا يعنى الخروج بالترجمة الى حد التأليف أو اضفاء السمات القومية عليها ، واخضاع عناصرها الرئيسية لمتطلبات واقع لغة الترجمة ، كما هو الحال أثناء عملية « التعريب » ، حيث يطوع الموضوع والشخوص والمواقف بصورة تتلاءم مع الواقع العربى . ان الترجمة ينبغى أن تظل ترجمة لنص أجنبى ، تعكس فكر المؤلف وقصده من كتابته ، وواقعه الذى صوره . كما يؤثر الزمن كعامل موضوعى فى أداء المترجم كذلك ، لأن الانتماء التاريخى للنص يفرض اطارا خاصا فى المعالجة اللفظية والاسلوبية لنص الترجمة . فكل نص من النصوص يعبر عن فكر ولغة وأسلوب الكتابة فى العصر الذى وضع فيه ، وهذه اعتبارات ينبغى أن يضعها المترجم فى حسابه أثناء الأداء . ومن بين العوامل الموضوعية التى تؤثر كذلك فى اخراج النص بلغة الترجمة ما يسمى بروح الكاتب — أى طابعة الخاص فى توصيل فكره وصياغته لمادته تعبيريا وأسلوبيا . فلكل مؤلف نهجه الخاص به فى التعبير عن الواقع ، ولذا على المترجم أخذ هذا النهج فى عين الاعتبار أثناء الأداء مع مراعاة أن النص الأصلى وضع أساسا لمخاطبة المتلقى بلغة الأصل — هذا المتلقى التى يتمتع بمعارف وخبرات وردود فعل انفعالية عاطفية قد تختلف بقدر كبير أو قليل عن تلك التى تميز شخصية متلقى نص الترجمة .

وهنا يبرز دور المترجم كعامل ذاتى فى سير عملية الأداء . ان الترجمة هى المرآة التى تعكس قدرات المترجم المعرفية والعلمية ، فضلا عن امكاناته الجمالية وملكاته الفنية الابداعية ، وخبرته فى توصيل عناصر ومكونات النص الأصلى الى المتلقى على اساس من الموضوعية المبنية على دقة النقل وأمانة الأداء وصدق التعبير .

أن الترجمة عملية شاقة تتطلب جهدا كبيرا من المترجم ذلك لعدة اعتبارات . فالمترجم ، بادىء ذى بدء ، غير طليق اليد فيما يتعلق بالنص المنقول منه ، ذلك لأن هذا النص يفرض عليه قيودا لا يمكن له أن يخرج عن اطارها ، ولذا فانه يختلف عن واضع النص الأصلى الذى يملك حرية مطلقة فى اختيار وسائل التعبير فى لغته الأصلية . ومن ناحية أخرى ، تفرض لغة الترجمة على المترجم قيودا فى اخراج نص الترجمة بما لها من قواعد تحكم ارتباط الوحدات فيما بينها على المستويات اللفظية والقواعدية والمعنوية والأسلوبية ، وهو فى ذلك يختلف عمن يكتب بلغة الترجمة فى حرية اختيار ما شاء من وسائل التعبير . والى جانب ذلك ، نجد المترجم مقيد الفكر ، مقيد النظرة الى الأمور ، مقيد فى معالجة مختلف ظواهر الواقع ، ذلك لأن أحكام التطابق تقضى بالأمانة والدقة فى نقل فكر المؤلف ونظرته الى الواقع و معالجته لظواهر واحداثه ، بل وتقييمه لها بالايجاب أو السلب . والمترجم لا يستطيع عادة تقويم الفكر الذى ينقله ، كما أنه لا يملك الحق فى معالجة ظواهر واحداث واقع النص الأصلى من منظوره هو . ان هذه الأمور جميعا تفرض نفسها على عملية إخراج النص بلغة الترجمة . ان عمل المترجم ليس سهلا . ان هناك من الصعوبات التى يواجهها المترجم اثناء عمله ما يتطلب حلولا خاصة تبين مدى قدرة المترجم على الابداع والخلق . ورغم ما يبذل المترجم من جهد فى اخراج النص ، ورغم سعيه الى الوفاء بكل المتطلبات والضوابط فى الأداء ، يلاحظ ما اصطلح على تسميته فى الدراسات الترجمية « بفاقد الترجمة » . فما المقصود بهذا المصطلح ؟

فاقد الترجمة :

اذا تتبعنا تطور الفكر الترجمى منذ أقدم العصور ، نجد أن الاتجاهات ما بين الترجمة الحرفية والترجمة الحرة المطلقة تعتمد على قضية محورية هامة هى قضية «قابلية/عدم قابلية التجربة (translatabiliy/untranslatability) ولقد نبعت هذه القضية من اختلاف وجهات النظر حول امكانية / عدم امكانية نقل الخصائص اللفظية والقواعدية والتعبيرية والاسلوبية من لغة الى اخرى ، ناهيك عن الفوارق الواضحة بين اللغات فى السمات البيئية والحضارية التى تميز بين شعب وآخر . ومن هذه المنطلقات فان المترجم اما يتتبع بكل دقة عناصر النص الذى يترجمه وينقلها « نقل مسطرة » على حساب عرف وأصول لغة الترجمة وذوق أبنائها الجمالى . واما يسعى وراء الوفاء بمتطلبات واحتياجات لغة الترجمة وذوق أبنائها ، فيخرج عن النص المنقول منه ويصيغ نص الترجمة دون « رابط أو ضابط » . غير أن تطور الدراسات اللغوية العامة والمقارنة

أدى الى الوقوف على الكثير من أوجه التلاقى والاختلاف بين اللغات فى المستويات اللفظية والقواعدية والتعبيرية والاسلوبية ، هذا بجانب امتداد هذه الدراسات الى دراسة التأثيرات البيئية والحضارية والاجتماعية والسيكلوجية . كل هذا ترك أثره فى الدراسات الترجمية . ومن ناحية أخرى زادت فرص الالتقاء الحضارى بين شعوب العالم اليوم بفضل تقدم سبل الاتصال الحديثة واتسعت دائرة التفاعل الحضارى بين الأمم لتشمل النشاطات الفكرية والعلمية والأدبية والفنية وغير ذلك من نشاطات ، بل ، والأكثر من ذلك ، امتد هذا التفاعل ليصل الى الانسان فى بيته ليؤثر فى حياته الخاصة وفى ظل هذه الظروف تبدل حال الترجمة ، حيث أصبحت أداة رئيسية فى التفاهم بين الشعوب . ولقد اثبت واقع الممارسة الفعلية للترجمة امكانية النقل من لغة الى اخرى ومهما كان انتماء اللغتين القومى والجغرافى . وواكب كل هذه التغيرات تطور فى النظرة الى قضية « قابلية / عدم قابلية الترجمة » . ويركز الاهتمام فيما هو غير قابل للترجمة الى اللغات الأخرى من وحدات لغة الأصل . وتجمع كل الدراسات الترجمية المعاصرة على أن الوحدات المرتبطة بمسميات بيئية وحضارية مميزة لواقع أبناء لغة الاصل — هى وحدات غير قابلة فى مجملها للترجمة . ان وجود « عدد كبير من المسميات المختلفة للثلوج فى اللغة الفنلندية ، وتعدد المسميات المرتبطة بالابل وسلوكها فى اللغة العربية ، وتنوع المسميات المتعلقة بالضوء والماء فى اللغة الانجليزية ، وبأنواع الخبز فى اللغة الفرنسية كل هذا يضع المترجم بالفعل فى مواجهة مشكلة عدم القابلية للترجمة » (١) والجدير بالاهتمام أن المترجم يلجأ عادة الى النقل الصوتى وأسلوب الوصف فى معالجته للوحدات غير القابلة للترجمة .

غير أن المترجم يواجه اثناء اخراج النص بلغة الترجمة صعوبات من نوع آخر غير متعلق بعدم قابلية بعض الوحدات للترجمة . ان المقابلات الترجمية ليست على مستوى واحد من نسبة التطابق كما سبق وأشرنا . فهناك مقابلات كاملة التطابق وأخرى جزئية التطابق . وهذه الأخيرة تشكل ارضية لما يسمى بفاقد الترجمة . ان فاقد الترجمة أمر « لابد منه اثناء عملية التحويل المعنوية بين لغتين (كما هو الحال اثناء اية عملية تحويلية أخرى) — اى لابد من وجود نسبة من الفقدان فى نقل المعانى الواردة فى النص الأصلى . وعلى هذا فان نص الترجمة لا يمكن أن يكون

---

1. Susan Bassnett-McGuire. *Translation Studies*. London/New York 1980 pp. 30 — 31.

متطابقا تطابقا كاملا ومطلقا للنص الأصلى . ولذا فان مهمة المترجم هى الوصول بهذا التطابق الى أقصى قدر ممكن — بمعنى الوصول بفاقد الترجمة الى حده الأدنى . ان المطالبة بضرورة أن تكون المعانى الواردة فى نص الترجمة مطابقة بنسبة « مائة فى المائة » لتلك الواردة فى النص الأصلى — مطلب غير واقعى بالمرة » (١) . حقا ان مجال المعانى هو أكثر المجالات التى يترك نقلها نسبة من الفاقد فى الترجمة . فالاختلاف فى ادراك جوهر بعض المفاهيم نتيجة اختلاف المحتوى الحضار لواقع لغة الترجمة يؤدي عادة الى مثل هذا الفاقد . ان اختلاف جوهر مفهوم لفظ democratic فى العبارات التالية (٢) :

The American Democratic Party

The German Democratic Republic

The democratic wing of the British Conservative Party.

يجعلنا نتساءل : هل يغطى لفظ « ديمقراطى » فى العربية والمقابل للفظ democratic اختلاف المضامين السياسية وتباينها فى كل عبارة من هذه العبارات ، أم يترك نسبة من الفاقد ؟ لا شك أن هناك نسبة من الفاقد نابعة من اختلاف الأرضية الحضارية بين أبناء العربية وبين أبناء اللغات الذين يتعاملون مع المفاهيم الواردة فى العبارات الثلاث المشار اليها . ولعل مجال المعانى التأثيرية هو أكثر المجالات التى يصاحب عملية النقل فيها قدر يزيد أو ينقص من فاقد الترجمة . وهذا المجال يرتبط فى الأساس بالعلاقة بين الفنان المبدع وبين الوحدات اللغوية ، التى يختارها للتعبير عن قصده من رسالته الى المتلقى . واذا كانت سوزان باسنيت ترى أن « العلاقة بين الشخصية المبدعة وبين تعبيرها اللغوى لا يمكن أن تنقل نقلا متكافئا أثناء الترجمة » (٣) ، فاننا نرى أن الأمر هنا لا يمكن له أن يحمل أحكاما مطلقة ، لا سيما بعد تطور الدراسات الخاصة بتحليل النص المنقول منه ، وتأصيل عملية اختيار المقابلات لنوعيات المعانى الواردة فيه ، والتركيز على أهمية المعانى التأثيرية فى التعبير عن قصد المرسل من رسالته . ان الاخفاق فى نقل العلاقة بين الشخصية المبدعة

---

(١) ل.بارخودارف . اللغة والترجمة . دار « العلاقات الدولية » للنشر . موسكو ١٩٧٥ . ص ١١ — ١٢ (باللغة الروسية) .

(٢) انظر : Susan Bassentt-McGunire ...... p. 33.

(٣) المرجع السابق ص ٣٥ .

وبين تعبيرها اللغوى يعتمد فى المقام الاول على خلل فى عملية تحليل النص وتبسيط لقصد المرسل . وهذا ما نلحظه إذا قارنا النص الأنجليزى لترجمة قصة « الكمد » للكاتب الروسى أنطون تشيكوف بالنص الأصلى يقـول النص :

«It is twilight, A thick wet snow is slowly tiwirling around the newly lighted street lamps, and lying in soft thin layers on roofs, on horses' backs, on people's shoulder and hats.»

لم يتمكن المترجم من الوصول بهذا النص الى ما اراد تشـيكوف تصويره . بادىء ذى بدء لم يتنبه المترجم الى اسلوب تشيكوف فى بدايات الكثير من قصصه ، حيث يضع « افتتاحية » ، كما فى المؤلفات الموسيقية ، تحوى اللحن الرئيسى لما يريد الحديث عنه . فالنص الروسى يبدأ بموقف الهدف منه اثارة انفعالات القارىء من خلال الارتباطات الذهنية والنفسية له بفترة « الدغش » السابقة على الاعتام . ومع الحالة النفسية التى يعيشها الروسى فى هذه الفترة يجد تشيكوف الفرصة مواتية لبث الكآبة والضجر فى النفس ، فيذكر تساقط الثلج مشوبا بالمطر . وهذه الظاهرة الجوية غير محببة لدى أبناء روسيا لأنها تمثل مرحلة انتقالية بين البرد والدفء ، فضلاً عن تسببها فى وجود الكثير من الأوحال فى الشوارع ، هذا بجانب تأثير الرطوبة والبلل فى الملابس . ويستخدم تشـيكوف فى النص الروسى لفظ «linyeva» فى وصف حركة تساقط الثلج المشـوب بالمطر قاصداً بها « فتور » هذه الحركة وامكانية امتدادها الى مالا نهاية ، وهو أمر يزيد من الضجر لدى الشخص الروسى . كان الأحرى بالمترجم أن يستخدم لفظ «dusk» بدلا من «twilight» كما كان عليه أن يختار بدلا من لفظ slowly مقابلا ترجميا آخر للفظة linyeval الروسية للتعبير عن فتور حركة تساقط الثلج المضجرة اللا نهائية كما أراد تشيكوف تصويرها. وعلى هذا النحو نجد الكاتب قد اختار من وسائل التعبير اللغوى ما يمكنه من تهيئة القارىء لمشاركة بطل القصة فيما يعانيه من كمد واحـزان . وبطبيعة الحال فان اختيار الكاتب لوسائل التعبير هذه لم يكن بقصـد التعبير لغويا عن موقف من المواقف ، بقدر ما كان استخدامًا فنيا لما تحمله هذه الوسائل من تضمينات انفعالية وعاطفية . ان الفاقد التأثيرى بين

---

(١) النص مأخوذ من كتاب يحمل عنوان : Short Stories for study صادر عن Book Centre Bookshop القاهرة، ١٩٨٠، ص ١١٣ ، ولم يذكر الكتاب اسم المترجم .

النص الأصلى فى الروسية والنص المترجم الى الانجليزية يرجع أساسا الى عدم تقدير المترجم للتضمينات الانفعالية العاطفية ، التى استهدفها تشيكوف فى بداية قصته .

ان فاقد الترجمة معيار بالغ الأهمية أثناء تقييم الترجمة كنتاج . ويقترن فاقد الترجمة عادة بنقل المعانى التأثيرية من لغة الى أخرى ، ذلك لأن هذه النوعية من المعانى تقوم على تضمينات انفعالية عاطفية وذهنية مرتبطة ارتباطا وثيقا بواقع حضارة أبناء اللغة وتكوينهم النفسى. غير أن هذا لا يعنى عدم امكانية حدوث فاقد فى الترجمة فى مجال المعانى الإسنادية . ان اختلاف أبناء اللغات فى رؤية مكونات وعناصر الواقع يؤدى الى فروق فى بعض جوانب المفاهيم مثلما فى تناول المجتمعات المختلفة لمفهوم « الديمقراطية » . الا أن الفاقد فى مجال المعانى الاسنادية أقل منه فى مجال المعانى التأثيرية ، ذلك لأن اللغات تملك من وسائل التعبير ما يمكنها من وصف مختلف مفاهيم واقعنا العالمى « الضيق » الآن بفضل ازدياد الروابط والصلات بين الأمم والشعوب . ونود الاشارة الى أن قضية « فاقد الترجمة » تحتاج الى دراسات تطبيقية تفصيلية لتبيان مجالات فاقد الترجمة أثناء النقل من اللغات الأجنبية الى العربية أو من العربية الى اللغات الأجنبية . ان مثل هذه الدراسات من شأنها أن تلقى الضوء على الثوابت والمتغيرات فى فاقد الترجمة — أى تلك العناصر المرتبطة بالفوارق الحضارية البيئية وتلك المتعلقة بالجوانب الذاتية لعملية الابداع الفنى فى النص المنقول منه . واذا كنا نقول بامكانية وجود فاقد فى الترجمة أثناء عملية النقل من لغة الى أخرى ، فان هذا لا يعنى تحميل « فاقد الترجمة » كل ما يمكن أن يقع فيه المترجم من أخطاء فى تحليل النص المنقول منه وفى اخراجه له بلغة الترجمة . ان أخطاء الترجمة ترجع عادة الى اخفاق المترجم فى استيعاب بعض العناصر الواردة فى النص الأصلى ومن ثم يخطىء فى اختيار المقابل الترجمى مما يخل بسلامة النص المترجم .

ومن ناحية أخرى ، ان الأخطاء التى يقع فيها المترجم قد تخرج عن نطاق عدم استيعابه لبعض مكونات النص أثناء التحليل الى اسلوبه العام فى اخراجه لنص الترجمة . فقد ينتهج المترجم اسلوب **الترجمة الحرفية ،** ويتتبع لغة الأصل من حيث الشكل والمضمون ، فيخل بالعرف السائد فى لغة الترجمة ، فيجىء نص الترجمة صورة طبق الأصل من النص الأصلى من حيث التركيب القواعدى والارتباط المعنوى بين الوحدات ، وقد يصل الأمر الى حد تركيب نص مشوش بلغة الترجمة يعتمد فهمه على تخمين ما يمكن أن يرد به من مضمون . وقد ينتهج المترجم أسلوب **الترجمة الحرة،**

فيستقى الأساس من النص المنقول منه ، ويطلق ليده العنان فى التعبير عن المضمون بوسائل لغوية خاضعة لقوانين لغة الترجمة دون الاهتمام بالأحكام التى تفرضها المقابلات الترجمية أثناء اخراج النص . ان عدم اتباع أحكام المقابلات يؤدى حتما الى الخروج عن النص الأصلى ، الأمر الذى يخل بشروط التطابق بين النصين المنقول منه والمنقول اليه . ان تقنين عملية الترجمة ، وتوضيح خطوات تحليل النص واخراجه بلغة الترجمة على أسس منهجية — كل هذا يضع تحت يد المترجم من السبل ما يجعله متمكنا من تركيب ترجمة دقيقة النقل ، متطابقة المعانى ، متكافئة مع النص الأصلى من حيث الأهداف التأثيرية . فالتحويلات الترجمية تتيح امكانات كبيرة للمترجم فى اختيار المقابل فى لغة الترجمة ، حيث يمكن ايجاد عدد لا بأس به من الاشكال لترجمة العبارة الواحدة دون الاخلال بالمضمون. غير انه ينبغى على المترجم أن يكون على معرفة تامة بالشكل الذى يصل بالترجمة الى أقصى قدر من التطابق والتكافؤ مع النص الأصلى والجدير بالاهتمام أن التطابق والتكافؤ ليسا مفهومين مجردين ، بل هما معياران ينبغى الاسترشاد بهما لا أثناء الأداء فحسب ، بل وأثناء تقييم الترجمة كنتاج لهذه العملية . وسنتوقف ببعض من التفصيل عند جوهر وأحكام هذين المفهومين .

الباب الثالث

التطابق والتكافؤ

فى الترجمة

تردد أكثر من مرة على صفحات هذا الكتاب مفهوم التطابق سواء كان العرض يتناول مرحلة التحليل أو مرحلة التركيب ، كما اشرنا الى ضرورة التمييز بين التطابق وبين التكافؤ فى الترجمة . ان المهمة الرئيسية للمترجم أثناء عملية الترجمة هى تحقيق اقصى قدر من التطابق بين النص المنقول منه والنص المنقول اليه — أى نقل كل مكونات وعناصـر النص الأصلى الى لغة الترجمة نقلا أمينا كامل الابعاد . غير أن مهمة المترجم لا تقف عند هذا الحد ، بل تتعداه الى حيز التكافؤ ، حيث يعمل المترجم على اخراج المقاصد والقيم الفنية الابداعية الواردة فى النص الأصـلى بما يقابلها فى لغة الترجمة مما يكسب نص الترجمة تأثيرات مسـاوية لتلك التى يحدثها النص الأصلى فى متلقيه . ومن هنا القول بأن التكافؤ اشمل من التطابق ، ولذا فان كل ترجمة متكافئة متطابقة ، ولكن لا يمكن الجزم بأن كل ترجمة متطابقة تعد متكافئة .

ولقد تعرضت الدراسات الترجمية لقضية التطابق وللأسس التى يقوم عليها سواء بين وحدات النص المنقول منه والمنقول اليه أو بين هذين النصين ككل متكامل . فجـون كاتفورد (١) يرى ضـرورة التمييز بين التطابق السـياقى textual equivalence وبين المقابلـة الشـكلية formal correspondence ، ذلك لأن التطابق السـياقى يتحقق على مستوى النص أو جزء من النص ، أما المقابلة الشكلية فمحصورة فى مجال الصيغ اللغوية على اختلاف مستوياتها : الجملـة ، التركيب اللفظى ، اللفظ ، والمورفيم . والمطابق السياقى ، كما يرى كاتفورد ، هو جـزء نص الترجمة الذى لا يتغير الا بتغير الجزء المثيل له فى لغة الأصل ، الأمر الذى يمكن التوصـل اليه من خـلال عمليـة التبديل Commutation. فاذا كانت العبارة الانجليزية My son is six تترجم الى الفرنسية بعبارة Mon fils a six ans فان المطابق السياقى لـ My son فى الانجليزية هو

---

1. J. Catford. A Linguistic Theory of Translation London. 1967. p. 27.

mon fils فى الفرنسية ، وللتحقق من هذا من الممكن اجراء عملية تبديل فى العبارة الانجليزية لتحل Your daughter محل My son وتصبح العبارة بذلك Your daughter is six وعندئذ تنقل الى الفرنسية على النحو التالى Votre fille a six ans وعلى هذا الأساس يمكن القول بأن العنصرين المتغيرين فى الفرنسية mon fils / votre fils هما المطابقان السياقيان للعنصرين المتغيرين فى الانجليزية my son/your daughter غير أنه ليس بالضرورة أن تكون المطابقات السياقية من مستوى واحد من مستويات النظام اللغوى . فمن الممكن أن يتحقق التطابق السياقى على مستوى آخر . فاذا أخذنا العبارة الانجليزية The woman came out of the houses والعبارة المطابقة لها فى الروسية Djenshina vishla iz doma (خرجت المرأة من المنزل) ، وقمنا بتغيير أداة التعريف فى اللغة الانجليزية لتصبح العبارة A woman came out of the house فان العبارة الروسية المطابقة لها ستتغير على مستوى ترتيب الالفاظ نتيجة عدم وجود أدوات للتعريف فى اللغة الروسية ، وتصبح على النحو التالى Iz doma vishla djenshina (من المنزل خرجت امرأة) . وهكذا نجد أن تغيير أداة التعريف أدى الى احداث تغيير فى مستوى أعلى هو مستوى تسلسل العناصر اللفظية فى بنية الجملة الروسية (١) .

أما فيما يتعلق بالمقابلة الشكلية فانها تحمل طابعا تقريبيا نتيجة تمتع كل لغة بخصائصها المميزة لها . وتتحقق المقابلة الشكلية بين الوحدات القواعدية من مختلف المستويات . غير أنه من الممكن التوصل الى المقابلة الشكلية من خلال التطابق السياقى ولا سيما فى تلك الحالات التى تؤدى فيها الوحدة وظيفتها الصيغية فى بنية من مستوى أعلى . فمن الممكن القول بوجود مقابلة شكلية بين حروف الجر فى اللغتين الانجليزية والفرنسية ، الا أنه من غير الممكن التأكيد على هذه المقابلة الا من خلال التطابق السياقى ، ذلك لأن حروف الجر لا تؤدى وظيفتها الا بالارتباط بالأسماء كما فى العبارتين المتطابقتين التاليتين :

The door of the house

La porte de la maison.

حيث يؤدى حرف الجر بارتباطه بالاسم وظيفة النعت qualifier الأمر الذى يتوقف تحديده على التطابق السياقى .

---

(١) انظر المرجع السابق ص ٢٨ .

ما من شك أن منطق التجريب والنهج التطبيقي في معالجة قضايا الترجمة له عظيم الأثر في الكشف عن الكثير من نقاط التلاقي والاختلاف بين اللغات وخاصة اذا كانت من مجموعات لغوية مختلفة . فمن الأهمية بمكان ايجاد المطابقات الترجمية على مستوى كل من التعبير والشكل بين لغتين من اللغات ، الأمر الذي يسهم اسهاما كبيرا في دفع الدراسات الترجمية النظرية والتطبيقية . ولكن الترجمة ليست احلال ميكانيكي لوحدات بدلا من وحدات أخرى ، بل انها نشاط ابداعي لا يتوقف عند مستوى الوحدات اللفظية أو الصيغ القواعدية وحدها . أن أي نص من النصوص عبارة عن مجموعة معقدة من العلاقات المرتبطة بالنواحي الدلالية والقواعدية والتأثيرية ، وخاصة تلك التي تبين علاقة المرسل بالنص وبالمتلقي ، ولذا فمن الضروري أن تشمل أحكام كل الجوانب المعبرة عن هذه العلاقات . ان تركيز الاهتمام على التطابق بين نوعية أو بعض نوعيات العلاقات الواردة فيه يجعل من النظرة الى قضية التطابق نظرة ضيقة ، في الوقت الذي يعد التطابق فيه من أهم معايير الأداء أثناء الترجمة والتقييم لناتج هذا الأداء .

والجدير بالملاحظة أن يوجين نايدا في كتابه « نحو علم للترجمة » (١) قد حصر قضية التطابق في مجال التأثير الذي يحدثه النص في متلقيه . فيوجين نايدا يقسم التطابق الى نوعين : تطابق شكلي formal وتطابق ديناميكي dynamic . والتطابق الشكلي يركز على الرسالة ذاتها بشكلها ومضمونها وبحيث يترجم الشعر شعرا والجملة جملة والمفهوم بمفهوم مثله . واستخدام التطابق الشكلي في الترجمة يعتمد على لغة الأصل في النقل ، فيسعى المترجم الى اخراج أكبر قدر من العناصر الشكلية الواردة في النص المنقول منه ، ويلتزم بأقصى قدر من الدقة والحرفية في النقل ، فيترجم الاسم أسما ، والفعل فعلا ، بل وينتقل الى لغة الترجمة كذلك كل المؤشرات الشكلية ، مثل علامات الترقيم وترتيب الفقرات وما الى ذلك . ويطلق نايدا على الترجمة باستخدام التطابق الشكلي اسم الترجمة التفسيرية gloss translation ، ذلك لان هذه النوعية من الترجمة

---

(١) E. Nida. Toward a Science of Translating Leiden 1964. pp. 156 — 171.

انظر الفصل الثامن من الترجمة العربية لهذا الكتاب : نحو علم للترجمة ترجمة ماجد النجار . مطبوعات وزارة الاعلام . الجمهورية العراقية ص ٣٠٣ — ٣٦٦ .

تتطلب عددا كبيرا من الشروح والملاحظات كي يصبح المعنى واضحا للمتلقى . والهدف من استخدام التطابق الشكلى فى الترجمة هو أن يشعر القارىء بأنه فى مكان ابن اللغة الأصلية ، وكذلك ليحصل على أكبر قدر من المعلومات حول عادات وتقاليد العصر وطرق التفكير والسلوك السائدة فيه ، ومثال ذلك ترجمة نص فرنسى من العصور الوسطى الى الانجليزية للمتخصصين فى دراسة اتجاه معين من الأدب الفرنسى . وعلى هذا النحو فان التطابق الشكلى يعد ، فى رأى نايدا ، مقبولا فى نقل نصوص معينة لمجموعة معينة من المتلقين ، أو فى نقل رسائل من نوعيات معينة .

أما التطابق الديناميكى فيقوم ، كما يقول نايدا ، على مبدأ التأثير المتطابق ، حيث لا يسعى المترجم الى تحقيق تطابق الرسالة بلغة الترجمة مع الرسالة بلغة الأصل ، بقدر سعيه الى ايجاد علاقة ديناميكية بين الرسالة ومتلقيها بلغة الترجمة ، وبحيث تكون هذه العلاقة هى ذاتها القائمة بين الرسالة الأصلية ومتلقيها بلغة الأصل على وجه التقريب . ان استخدام التطابق الديناميكى فى الترجمة لا يعنى اخراج رسالة جديدة شبيهة الى حد ما بالرسالة الأصلية ، بل ينبغى أن تكون الترجمة ترجمة بما تحمله هذه الكلمة من معان ، حيث يجب على المترجم نقل مضمون واهداف النص الأصلى بوضوح . وتعتبر الترجمة المبنية على التطابق الديناميكى أقرب مقابل طبيعى للرسالة الأصلية . ومعنى « مقابل » هو انها تنطلق من الرسالة الأصلية ، ومعنى « طبيعى » هو أنها تأخذ فى عين الاعتبار بوسائل التعبير فى لغة الترجمة ، أما المقصود « بأقرب » فهو الجمع بين هذين المبدأين وتحقيق أقصى قدر من التقارب بين النص المنقول منه والنص المنقول اليه . وبما أن الترجمة فى اطار التطابق الديناميكى تستهدف بادىء ذى بدء احداث رد فعل لدى المتلقى مساو لذلك الذى تحدثه الرسالة الأصلية فى متلقيها ، فان معيار « طبيعية » الترجمة له دور كبير فى تحقيق هذا الهدف . والمقصود « بطبيعية » الترجمة أن تكون متفقة :

(أ) ومتطلبات لغة الترجمة بمراعاة العرف المتبع فى الصياغة اللفظية والنحوية للرسالة بلغة الترجمة ، بجانب مراعاة مقومات حضارة اللغة المنقول اليها .

(ب) ومحتوى الرسالة الأصلية من حيث التركيب الإسلوبى لعناصرها اللفظية أو ارتباط العناصر اللفظية الواردة فى الرسالة الأصلية بفترة تاريخية معينة ، هذا بجانب الحفاظ على التضمينات الانفعالية والجمالية أثناء النقل .

(ج) ومستوى المتلقى الذى تستهدف الترجمة عن طريق ايجاد تناسب بين الرسالة بلغة الترجمة وبين متلقيها من حيث الخبرة والقدرة على الاستيعاب .

وهكذا يرى يوجين نايدا جوهر التطابق الديناميكى فى التأثير المتكافىء لتأثير النص المنقول منه . واذا كان نايدا يؤكد على ضرورة المقابلة بين مضمون الرسالة الأصلية والرسالة المترجمة ، الا أن ابرازه لدور التأثير المتكافىء فى تحقيق التطابق يجعل المترجم أسير ردود فعل المتلقى . وبما أن ردود الفعل تتباين عادة من شخص الى آخر ، فان مبدأ التأثير فى المتلقى يخرج عن اطار الموضوعية فى الحكم على عملية الترجمة وعلى الترجمة كنتاج لهذه العملية . ومن ناحية أخرى فان السعى الى ايجاد تناسب بين الرسالة وبين مستوى قدرات وخبرات متلقيها يفتح الباب أمام امكانية تعدد أشكال الأداء ، حيث يمكن فى اطار هذا المبدأ ترجمة القصيدة الشعرية نثرا لمن يفتقرون الى القدرة على تذوق الشعر . غير أن هذا لا يعنى اغفال أهمية العلاقة بين النص المترجم وبين متلقيه . وهذه العلاقة تنبع أساسا من قصد مرسل النص المنقول منه ونوعية هذا النص ، ولا تخضع لاعتبارات خبرة وقدرات متلقى النص بلغة الترجمة . فترجمة أدب الأطفال ، على سبيل المثال ، تقضى بضرورة الحفاظ على مستوى معين أثناء اختيار الوسائل اللغوية ولا سيما لو كان النص المنقول منه يستهدف مخاطبة أطفال فى سن معينة . كما تتدرج كذلك أساليب اخراج النص أثناء ترجمة الكتابات المتخصصة تبعا لقصد المرسل من النص الأصلى وما اذا كان يخاطب دائرة واسعة من المتلقين أم مجموعة من المتخصصين الذين يملكون ناصية الأمور بما لهم من معارف علمية متخصصة . ان العلاقة بين النص المنقول منه ومتلقيه وبين النص المنقول اليه ومتلقيه عنصر لا يمكن غض النظر عنه سواء كان ذلك أثناء عملية الترجمة أو أثناء تقييم الترجمة كنتاج . غير أن هذه العلاقة لا يمكن ان تكون المحرك الأساسى لسعى المترجم نحو التطابق .

واذا كان يوجين نايدا يرى فى التطابق الشكلى حرفية النقل ، وفى التطابق الديناميكى احداث تأثير متكافىء فى متلقى نص الترجمة ، فان أنطون بابوفتش (١) يرى أن الاسلوب هو محور التطابق فى الترجمة

---

1. Anton Provic. Theoria Umeleckéo prekladu.

الكتاب باللغة السلوفاكية وقد ترجم الى الروسية بعنوان « مشاكل الترجمة الأدبية » . دار « المدرسة العليا » للنشر . موسكو ١٩٨٠ ص ٩٣ — ٩٦ .

الأدبية . فالاسلوب يشكل البنية الاساسية للنص الأدبي ، ولذا فانه يمثل اهم جوانب الترجمة . ان العمليات التى يقوم بها المترجم ليست متعلقة بلغة وموضوع النص فحسب ، بل انها عمليات أسلوبية الطابع . واذا كان النص الأدبى يتضمن عناصر اجتماعية حضارية ، فان هذه العناصر تمتزج بالوحدة الاسلوبية الفنية بين الموضوع ولغة التعبير ، ولذا فان كل ظاهرة فى الترجمة سواء كانت ظاهرة لغوية أو ظاهرة خاصة بالمضمون بما فى ذلك المكونات الاجتماعية الحضارية — ينبغى أن تفهم كظاهرة من ظواهر الاسلوب . وعلى هذا الأساس تخضع كل العناصر فى النص الأدبى للاسلوب ، ولهذا فان جوهر التطابق بين نصين من النصوص هو تطابقهما اسلوبيا . ومن هذا المنطلق فان المجال الرئيسى لنشاط المترجم هو ايجاد واختيار المقابلات الإسلوبية لعناصر النص الأصلى فى لغة الترجمة ، وبذا يصل الى التطابق الاسلوبى بين النصين والتطابق الاسلوبى بين نصين من النصوص يقوم على تماثل العناصر التعبيرية الفنية فيهما ، الأمر الذي يحدد تطابقهما تطابقا وظيفيا . غير أن الاختلاف بين اللغات ينعكس فى الفوارق بين العناصر التعبيرية الفنية ، التى قد تظهر أثناء سعى المترجم لايجاد المقابلات الاسلوبية ، ولذا فليس من المهم اثناء عملية النقل أن تكون الوسائل التعبيرية الفنية متطابقة ، بل المهم هو تحقيق التطابق الوظيفى بين النصين .

وعلى هذا النحو يرى بابوفتش أن مستوى الاسلوب هو اساس التطابق ، ذلك لأن هذا المستوى يعتبر العامل الحاسم فى نقل النص الأدبى من لغة الى اخرى بشكل variant مثيل له . ومن خلال التطابق الأسلوبى يصل المترجم بالنص الى حد التكافؤ الوظيفى من حيث القوة التعبيرية الفنية وبغض النظر عن الوسائل التى يستخدمها لتحقيق ذلك . والواقع انه ما من مترجم سواء كان يعالج نصا ادبيا أو يتعامل مع نصوص من نوعيات أخرى ، يستطيع أغفال عنصر الاسلوب أثناء الترجمة . فاسلوب النص المنقول منه يفرض على المترجم متطلبات محددة أثناء اخراج النص بلغة الترجمة ، كما ان قواعد وأحكام لغة الترجمة وقدرات المترجم اللغوية تنعكس فى اختياره للوسائل التعبيرية التى يصيغ بها اسلوب ترجمته . غير أن الترجمة ليست عملية نقل من لغة الى أخرى على أساس المطابقة بين أسلوبى النصين . فأى نص من النصوص يتضمن ، الى جانب اسلوب المرسل فى صياغته ، عناصر معنوية تمثل المعلومات الواردة فى محوى الرسالة ، هذا فضلا عن مجموعة العلاقات المتشابكة التى تربط النص بواقع المرسل البيئى والحضارى والتاريخى ، وتربطه كذلك بالمتلقى من حيث استهداف قصد المرسل التأثير فيه تأثيرات تتنوع ما بين مخاطبة الفكر وبين تحريك الأحاسيس والانفعالات . وطالما

كانت الترجمة عملية نقل لنص من لغة الى نص بلغة أخرى ، فان أحكام التطابق تقضى بمراعاة كل مكونات وعناصر النص المنقول منه كى تحقق الترجمة الأمانة فى النقل والصدق فى التعبير .

ويتناول جيرت يجر (١) التطابق من منظور الهدف من النص ككل . فالهدف من النص ومهما كانت نوعيته هو التوصيل ، ولهذا فان التطابق هو العلاقة التى تكون فى اطارها القيمة التوصيلية ثابتة كما هى فى حالة الانتقال من نص أصلى الى نص مترجم . والقيمة التوصيلية للنص هى خاصيته التى يحدث بفضلها تأثيرا توصيليا فى متلقيه ، هذا التأثير المرتبط بردود فعل معينة فى وعى المتلقى يقصد المرسل نقلها اليه . وتنبع القيمة التوصيلية للنص من الوظائف التى تؤديها الرموز اللغوية فيه . وتقوم وظائف الرموز فى نص من النصوص على أساس مجموعة من العلاقات الدلاليـة اللغـوية والتأثيرية والنحوية . والمعـانى المرتبطـة بنوعيات العلاقات الثلاث هذه تشكل القيمة الوظيفية للنص . ومن ناحية أخرى فان مجموعة المعانى هذه تتسم بالثبات فى النص ، ولذا فانها تمثل قاعدة الانتقال من النص الأصلى الى نص الترجمة على أساس المطابقة الأمر الذى يؤدى الى الحفاظ على القيمة الوظيفية للنص ثابتة ومن ثم يتحقق التطابق التوصيلى بين النصين .

وعلى هذا النحو يرى جيرت يجر فى التطابق معيارا شاملا للنص ككل على أساس الهدف من النص ووظيفته فى عملية الاتصال . وطالما كانت وظيفة النص تعتمد على الوظائف التى تؤديها الرموز اللغويـة فى نسيجه ، فان التطابق بين نصين من النصوص ينبغى أن يتحقق من خلال المطابقة بين المعانى الدلالية والتأثيرية والنحوية . وهذه النظرة الشاملة للتطابق تتفق وواقع الممارسة العملية للترجمة ، ذلك لأن المترجم لا يعالج النص الأصلى معالجة وحيدة الجانب ، بل يتعامل معه من مدخل شامل لما تؤديه وسائل التعبير اللغوى من وظائف ، فضلا عن مجموعة العلاقات بين المرسل والنص وبين النص والمتلقى . ويشكل المدخل الشامل للتطابق

---

1. Gert jäger. Translation und Translation linguistik Halle (Saale) 1975 SS. 87 — 95, 100 — 109.

انظر الترجمة الروسية بعنوان « التطابق التوصيلى والوظيفى » فى كتاب « قضايا الترجمة فى الدراسات اللغوية الأجنبية » دار « العلاقات الدولية » للنشر موسكو ١٩٧٨ ص ١٣٧ — ١٥٦ .

محور « نظرية مستويات التطابق » التى بنى فيلن كاميسارف (١) عليها معالجته لعملية الترجمة . يرى كاميسارف أن النص عبارة عن مجموعة معنوية معقدة مكونة من عدد من المستويات الرئيسية للمضمون . وتختلف هذه المستويات فيما بينها من حيث طبيعة المعلومات التى تحملها من المرسل الى المتلقى . وهذه المستويات هى :

١ — مستوى الرموز اللغوية ويشمل الفاظ اللغة .

٢ — مستوى القول . والقول عبارة عن سلسلة من الرموز اللغوية المختارة بطريقة خاصة والمرتبطة فيما بينها وفق قواعد محددة ، والمرتبة وفق نظام معين . ويعبر القول عن معان نابعة من مكوناته اللفظية ومن العلاقات القائمة فيما بينها . غير أنه يتضمن الى جانب ذلك معان أخرى ترجع الى طرق ارتباط الألفاظ فيما بينها (مثل الارتباط على أسس حقيقة أو مجازية) والى نظام ترتيب المكونات اللفظية فى القول (علاقات التقديم والتأخير) ، والى أسس اختيار هذه الألفاظ دون غيرها لاخراج القول (الجوانب التأثيرية والاسلوبية فى اختيار المرسل لوسائل التعبير عن رسالته) .

٣ — مستوى الرسالة . والرسالة هى الوسيلة التى يستخدمها المرسل لوصف موقف من المواقف وتستهدف قصدا معينا . فاذا أراد المرسل وصف سوء حالة سقف أحد المبانى ، فيمكنه استخدام وسائل مختلفة للتعبير عن ذلك كأن يقول : « الماء يتسرب من السقف » أو « السقف فى حاجة الى أصلاح » أو « السقف كله ثقوب » أو « ليس هذا سقفا ، بل انه غربال » . وكل وسيلة من هذه الوسائل تسمى رسالة (٢).

٤ — مستوى وصف الموقف . والمقصود بالموقف هو مجموعة الأشياء المادية وغير المادية والعلاقات القائمة فيها بينها (أى مكونات وعناصر الواقع والعلاقات بينها) والتى تقف وراء المعلومات التى يريد المرسل نقلها الى المتلقى . وهذه المعلومات تمثل مستوى وصف الموقف . ومن الصعب وصف الموقف بكل سماته وخصائصة ، فان الذى يحدث

---

(١) فيلن ن.كاميسارف . كلمة فى الترجمة . دار «العلاقات الدولية» للنشر موسكو ١٩٧٣ . ص ٦٣ وما بعدها (باللغة الروسية) .

(٢) انظر المرجع السابق ص ٦٥ .

عادة هو وصف المرسل للموقف عن طريق الاشارة الى بعض الجوانب أو الصفات مما يتيح له امكانية وصف موقف واحد من عدة زوايا وبوسائل مضمونية مختلفة كما جاء فى وصف سوء حالة سقف المبنى فى المثال المذكور. وعلى هذا النحو فان المعلومات الواردة فى النص — أى مضمونه — هى التى يسميها كاميسارف بوصف الموقف .

٥ — مستوى القصد من الاتصال . يريد المرسل عادة أن ينقل برسالته الى المتلقى هدفا أو قصدا معينا . وقد يكون هذا القصد اخبار المتلقى بمعلومات ، أو قد يكون أحداث تأثير أيدلوجى أو عاطفى انفعالى أو جمالى ، أو قد يكون حثا للمتلقى على القيام بأفعال أو ردود أفعال معينة ، أو قد يكون اثارة ارتباطات ذهنية أو ذكريات لدى المتلقى وما الى ذلك من مقاصد .

ويشير كاميسارف الى ان ترتيب مستويات المضمون من المستوى الأدنى الى المستوى الأعلى على هذا النحو المبين يتفق وخطوات تحليل النص التى تبدأ باستيعاب مضمون الرموز اللغوية على مستوى القول ثم الانتقال بعد ذلك الى مستوى الرسالة ومستوى وصف الموقف ثم المضمون الكلى على مستوى القصد من الاتصال . ومن ناحية أخرى فان الخطوات فى حالة تركيب النص تسير فى اتجاه عكسى يبدأ بالقصد من الاتصال ثم وصف المرسل لموقف معين وتعبيره عن هذا الوصف فى رسالة قوامها القول وعن طريق استخدام الرموز اللغوية اللازمة لاخراج هذا القول . والجدير بالاهتمام ان لكل مستوى من هذه المستويات مجموعة من الأشكال من نصيب القصد من القول ذلك لأن المرسل يملك حرية كاملة فى اختيار ما يشاء من مقاصد . والقصد من الاتصال هو الذى يفرض قيودا على تنوع اشكال مستوى وصف الموقف ، ذلك لأن وصف الموقف هو الذى يجسد قصد المرسل . كما ينعكس تأثير قصد الاتصال ووصف الموقف على الرسالة ، ذلك لأن الرسالة لا يمكن لها أن تخرج عن الخصائص المتعارف عليها بين أبناء اللغة ، فضلا عن امكانية حصر الصيغ المضمونية التى اعتاد أبناء اللغة وصف المواقف بها . أما أشكال مستوى القول والرموز اللغوية فتحددها خصائص نظام اللغة وضوابط ادائها لوظيفتها .

ان مستويات المضمون هذه تعتبر أساس علاقة التطابق بين النص المنقول منه والنص المنقول اليه . والترجمة المثالية هى التى تقوم على النقل الكامل لكل مستويات مضمون النص الأصلى ، ولذا ينبغى على المترجم العمل على الاقتراب من خد « المثالية » هذه — بمعنى تحقيق أقصى قدر من التماثل بين مستويات المضمون فى النص الأصلى وفى نص

الترجمة ، وبالتالى فان التطابق هو اقصى قدر من التماثل بين مستويات مضمون النصين .

وهكذا يرى كاميسارف فى مضمون النص مجموعة متشابكة من مستويات التعبير . وعلى هذه المستويات تقام علاقة التطابق بين النص الأصلى ونص الترجمة . وتتدرج هذه المستويات من الأدنى اثناء عملية اخراج النص بلغة الترجمة . غير أن هذا التدرج مجرد الطابع لأن المترجم يتعامل مع النص ككل متكامل ، كما يتعامل مع هذه المستويات كمجموعة متداخلة التأثير فيما بينها . فمن غير الممكن الفصل فى مضمون نص من النصوص ، ومهما كانت نوعيته ، بين المادة اللغوية المجسدة له وبين الواقع الذى يصفه وبين الهدف الذى يبتغيه المرسل منه . ومن ناحية أخرى ، ان للقصد من الاتصال تأثير حاكم فى اختيار المرسل لعناصر ومكونات الواقع التى يريد وصفها ، وفى استخدامه لصيغ التعبير عنها وفق ما تعارف عليه أبناء اللغة فى وصف واقعهم ، كما أن القصد من الاتصال هو الذى يحدد كذلك اختيار المرسل للمادة اللغوية الضرورية لتشكيل الأقوال التى تخدم توصيل هدف المرسل الى المتلقى . غير ان نظام اللغة له دور كبير فى ضبط استخدام المرسل للرموز اللغوية من حيث ارتباط الرموز فيما بينها معنويا وقواعديا واسلوبيا . كل هذه الاعتبارات ينبغى وضعها فى الحسبان أثناء سعى المترجم الى تحقيق التطابق بين مستويات المضمون أثناء النقل من لغة الى أخرى أو اثناء تقييم الترجمة كنتاج لعملية النقل هذه .

والتطابق فى رأينا هو معيار لقياس صدق النقل وأمانته على أساس المطابقة بين مضمون النص الأصلى ومضمون نص الترجمة . ان مضمون النص الأصلى هو حجر الزاوية فى عملية النقل من لغة الى لغة اخرى ، ذلك لأنه المدخل الرئيسى الى كل الظواهر التى يعالجها المترجم اثناء الاداء . كما أن المضمون هو لب النص الثابت والذى لا يتغير بتغير اشكال الأداء على يد مترجمين مختلفين . ولهذا فان المضمون يعد المحور الرئيسى لعلاقات المطابقة بين مكونات وعناصر النص المنقول منه والنص المنقول اليه . ويقوم محور المطابقة بين مضمونى نصين من النصوص على المعانى الاسنادية والتأثيرية والنحوية المرتبطة بمكوناته الشكلية ، هذا بجانب مجموعة العلاقات القائمة بين المرسل — الواقع — النص — المتلقى .

وتعد المعانى الاسنادية والتأثيرية والنحوية نقطة انطلاق أساسية فى اختيار المترجم للمقابلات الترجمية لما ورد فى النص الأصلى من وحدات على مختلف مستويات التحليل التى بيناها فيما سبق . غير أن هناك

اعتبارات ينبغى الأخذ بها أثناء التحقق من المطابقة على مستوى هـذه النوعيات الثلاث من المعانى . وهذه الاعتبارات هى :

١ — ان هذه المعانى تتسم بالثبات فى النص الأصلى — بمعنى ان شكل المعنى الوارد فى السياق هو الشكل الوحيد فى هذا الاستخدام وبغض النظر عن تعدد المعانى المعجمية للوحدة اللغوية . ولا تقتصر سمة الثبات على المعانى الاسنادية وحدها ، بل تمتد لتشمل النوعيتين الأخريين ، فالارتباطات الانفعالية العاطفية والعلاقات النحوية القائمة بين مكونات السياق — ثابتة الشكل فى النص كذلك . وسمة الثبات هذه هى التى توجد الأساس الموضوعى لامكانية النقل من لغة الى أخرى ، كما تعد عاملا رئيسيا فى ايجاد علاقات منضبطة يمكن من خلالها تحقيق التطابق أثناء الأداء أو الحكم على نسبته فى نصى الأصل والترجمة .

٢ — ان كلا من المعانى الاسنادية والتأثيرية والنحوية ترتبط بنوعين من العلاقات . ففى اطار النوع الأول ترتبط المعانى الاسنادية بعناصر ومكونات الواقع من خلال المفاهيم ، والمعانى التأثيرية تدخل فى علاقة تبادلية مع ما تثيره فى ابن اللغة من ردود فعل انفعالية أو عاطفية أو ذهنية أو جمالية ، أما المعانى النحوية فتجسد العلاقات المنطقية بين مكونات وعناصر الواقع . أما النوع الثانى من العلاقات التى ترتبط بها المعانى الاسنادية والتأثيرية والنحوية فيتضمن القوالب الشكلية المجسدة ماديا لهذه المعانى سواء كان ذلك على مستوى المورفيم أو اللفظ أو التركيب اللفظى أو الجملة — وهى وحدات لا يمكن أغفال ما تحمله من معان : انظر ، على سبيل المثال ، أثر المورفيمين (—ily) (—ish) فى لفظى boyish, heartily وأثر مؤشرات صيغة الماضى المستمر was laughing فى اضفاء مزيد من المكونات المعنوية على المستويين الدلالى والنحوى فى العبارة التالية :

«.. while the old lady was laughing heartily over the boyish manner in which we tumbled into the parlour ..» (W. Collins. The Woman in White).

٣ — هناك علاقات متبادلة بين هذه النوعيات الثلاث من المعانى . فالمعانى الاسنادية يمكن أن تخرج عن حدود الاسناد الحقيقى الى دائرة المجاز والاستعارة والتشبيه والكناية والتورية وما الى ذلك من الأشكال التى تحمل تضمينات تأثيرية مختلفة . ومن ناحية أخرى ، ان وجود شحنات انفعالية وعاطفية ونفسية فى المحتوى المعنوى للفظى « الربيع »

و « الخريف » لا يحول دون اسناد معنيهما الى الواقع . كما تتضمن المعانى النحوية الى جانب وظائفها اللغوية امكانات للتعبير عن الكثير من المعانى التأثيرية كما فى صيغ الاستفهام والأمر والنهى والتعجب والترجى وما الى ذلك من صيغ انشائية .

٤ — هناك علاقة بين المعانى الاسنادية والتأثيرية والنحوية وبين التوصيف الاسلوبى للوحدات التى تستهدف وصف مقام معين من مقامات الكلام . ان تدرج مقامات الكلام ما بين المقام المحايد الاتجاه والمقامات التى تعتمد على رفع الكلفة أو التمسك بأصول وقواعد التعامل الشكلية او تلك التى تحمل طابعاً خطابيا بلاغيا — ينبغى أن يكون ذا حظ وافر اثناء المطابقة بين عناصر نصى الأصل والترجمة .

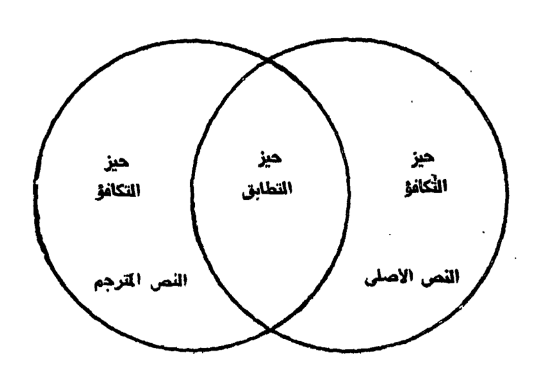
٥ — ان القوة التأثيرية للمضمون ترتبط فى أحيان كثيرة باستخدام المرسل للتعابير الكنائية والمجازية والاصطلاحية والأمثال والأقوال الشعبية والحكم والأقوال المأثورة — وهى كلها وحدات ذات قوة تعبيرية وقيمة فنية كبيرة .

والى جانب المطابقة بين مضمونى النصين فى مجال المعانى الاسنادية والتأثيرية والنحوية ، تقضى أحكام التطابق بايجاد علاقة المطابقة على مستوى مقاصد الكلام . ان مقاصد الكلام هى التى تحدد الوظيفة الرئيسية للنص سواء كان يستهدف التبليغ بمخاطبة الفكر أو التعبير بمخاطبة الاحساس والعاطفة . وترتبط مقاصد الكلام بهدف المرسل من النص ، ونظرته الى الواقع وطريقة معالجته لظواهره ، وسبل تأثيره فى المتلقى . ان المطابقة بين النص المنقول منه والنص المنقول اليه ينبغى أن تشمل مقاصد الكلام سواء كان المقصد هو الاسناد الى الواقع او التركيز على المرسل والتعبير عن حالته الانفعالية العاطفية ، أو التركيز على المتلقى واحداث ردود فعل مختلفة لديه ، أو التركيز على شكل النص ، أو التركيز على الخصائص المميزة للغة ، أو التركيز على استمرارية الاتصال — وهى المقاصد التى أشرنا اليها فيما سبق ، والتى تتفاعل بنسب متفاوتة فى كل نص من النصوص ، وان كان بعضها يمثل ثقلا نوعيا فى النص وفق الوظيفة المستهدفة منه . ان أغفال العناصر المرتبطة بمقاصد الكلام يؤدى الى الاخلال بالمطابقة بين وظيفتى النصين الأصلى والمترجم .

ان التطابق هو علاقة المطابقة بين مضمونى نصين من النصوص فضلا عن العلاقات القائمة بين المرسل — الواقع — النص — المتلقى . غير أننا كنا قد أشرنا الى امكانية وجود فاقد فى الترجمة نتيجة الفوارق

بين نظم اللغات والاختلاف بين العناصر البيئية والحضارية . كما يشمل فاقد الترجمة كذلك الجوانب التأثيرية المرتبطة بمكونات النص الأصلى. وهذا الفاقد من شأنه التأثير فى نسبة التطابق بين النصين الأصلى والمترجم . والترجمة المثلى هى التى تصل فيها نسبة التطابق ١ : ١ . أما فى حالة وجود فاقد فى الترجمة فان التطابق يصبح جزئيا أو تقريبيا وفقا لنسبة هذا الفاقد .

والمهمة الرئيسية للمترجم هى تحقيق أعلى نسبة من المطابقة بين مضمونى النصين الأصلى والمترجم . غير أن المترجم يقوم فى عملية الترجمة — بوصفها عملية اتصال ثنائى اللغة — بدورين : الأول هو دور المتلقى للنص بلغة الأصل ، والدور الثانى هو دور مرسل هذا النص بلغة الترجمة . وما من شك أن النص الأصلى يحدث تأثيرات فى المترجم بوصفه متلقيا له ، وبالتالى فانه ملزم ، وبوصفه مرسلا للنص بلغة الترجمة ، باحداث تأثيرات فى متلقى النص المنقول اليه . فاذا جاءت التأثيرات التى يحدثها المترجم فى متلقى النص بلغة الترجمة مساوية لتلك التى يحدثها النص الأصلى فى متلقيه كانت الترجمة متكافئة . ان حيز التكافؤ فى الترجمة أشمل من حيز التطابق . وقد يحقق المترجم نسبة كبيرة من المطابقة بين مضمونى النصين ، ولكنه يخفق فى احداث تأثير فى المتلقى مساو لتأثير النص الأصلى فى متلقيه . ومن هنا القول ان كل ترجمة متكافئة متطابقة ، ولكن ليست كل ترجمة متطابقة متكافئة . ويبين الشكل التالى العلاقة بين حيزى التطابق والتكافؤ والتداخل بينهما :



ما من جدال أن تحقيق التكافؤ فى الترجمة مهمة أصعب من تحقيق التطابق . ولكن هذا لا يعنى عدم امكانية تحقيق نسبة كبيرة من التكافؤ بين النص المنقول منه والنص المنقول اليه ، الأمر الذى يعتمد بالمقـــام الأول على خبرة ومهارات المترجم ، ومدى معرفته بالموضوع الذى يعالجة، ودرجة تمكنه من اللغتين اللتين يتعامل معهما .

ان التطابق والتكافؤ معياران بالغا الأهمية بالنسبة للترجمة سواء أثناء الأداء أو أثناء الحكم على الترجمة وتحديد قيمتها من حيث دقة النقل وصدق التعبير .

خاتمـة

هذا الكتاب يبحث فى القضايا العامة للترجمـة دون التطرق الى تناول المشكلات المرتبطة بعملية النقل من لغة محددة الى لغة أخـرى محددة . ولقد أثيرت على صفحات الكتاب الكثير من القضايا التى تتطلب دراسات متعمقة — نظرية وتطبيقية — فى مختلف موضوعات الترجمة . وأولى هذه القضايا هى الدراسة المقارنة للغتين من اللغات من منظـور الترجمة ، أى الكشف عن علاقة المقابلة / عدم المقابلة والتطابق / عدم التطابق بين وحدات مستويات التعبير اللغوى فى هاتين اللغتين . ان الدراسات الترجمية العربية فى حاجة الى حصر المقابلات والمطابقـات الترجمية ، ونوعيات الوحدات المعبرة عن الملامح البيئية الحضـارية ، وامكانات ووسائل التعبير عن المعانى الاسنادية والتأثيرية والنحويـة فى لغتين من اللغات ، وبحيث تكون اللغة العربية احداهما .

ومن ناحية أخرى ، يقضى وضع الدراسات الترجمية العربية على أسس سليمة ضرورة البحث النظرى والتطبيـقى فى ترجمـة نوعيات النصوص المختلفة : النصوص الاعلامية المقرؤة والمسـموعة والمرئية ، النصوص الأدبية بكل ما لها من فنون شعرية ونثريـة ، النصـوص المسرحية والسينمائية ، النصوص العلميـة المتخصصة وغـير ذلك من نوعيا ت. كما ان الدراسات الترجمية العربية فى حاجة الى دراسة الصلة بين الترجمة وبين تعليم اللغات الأجنبية والوقوف على الامكانات التطبيقية لاستخدام الترجمة كأداة لرفع كفاءة هذه النوعية من التعليم . أما فيما يتعلق بالترجمة الشفوية بنوعياتها الفورية والتتبعية والمنظورة ، فهى فى حاجة الى دراسات نظرية وتطبيقية تبحث فى جوهر عملية الترجمـة الشفوية ودور المترجم وامكاناته الذهنية والنفسية ، هذا بجانب وضع المناهج التى يمكن عن طريقها اعداد مترجمى هذا النوع من الأداء الترجمى.

والى جانب ذلك يتطلب تطور الدراسات الترجمية العربية دراسة

متأنية لتاريخ الترجمة عند العرب مع توضيح الصلة بين الترجمة وبين التفاعل الحضارى للعرب والشعوب الأخرى ، ومدى ما قدمه العرب للشعوب الأخرى من خلال الترجمة ، وما قدمته هذه الشعوب للعرب بنفس الوسيلة .

نحن فى حاجة الى دفع عجلة الدراسات الترجمية العربية لتشمل كل مجالات الترجمة كنشاط كى نصل بالترجمة الى ما حققته من تقدم فى الدول الأخرى . ونأمل أن تسهم محاولتنا هذه بشىء فى هذا الاتجاه .

المراجــع

(أ) باللغة العربية :

١ — د.حنفى بن عيسى . محاضرات فى علم النفس اللغوى ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع . الجزائر (لم ترد سنة الاصدار) .

٢ — د.صلاح عبد الحافظ . علم الترجمة . دار المعارف ، الاسكندرية ١٩٨٣ .

٣ — د.عبد المجيد عابدين . الأمثال فى النثر العربى القديم مع مقارنتها بنظائرها فى الآداب السامية الأخرى . دار مصر للطباعة ، القاهرة ١٩٥٦ .

٤ — محمد عبد الغنى حسن . فن الترجمة فى الأدب العربى . الــدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة ١٩٦٦ .

٥ — د.نوال عطية . علم النفس اللغوى . مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ١٩٧٥ .

٦ — يوجين ا.نايدا . نحو علم الترجمة . ترجمة ماجــد النجــار . مطبوعات وزارة الاعلام . الجمهورية العراقية ١٩٧٦ .

(ب) باللغات الأجنبية :

١ — ارخانجلسكى فلاديمير . التعابير الثابتة فى اللغة الروسية الحديثة. اسس نظرية التعابير الثابتة وقضايا علم التعابير الاصطلاحية العام. دار « جامعة رستوف » للنشر ١٩٦٤ (باللغة الروسية) .

٢ — بابوفنتش أنطون . مشاكل الترجمة الأدبية . دار « المدرسة العليا » للنشر . موسكو ١٩٨٠ . (باللغة الروسية) .

٣ — بارخودارف ليونيد . اللغة والترجمة . دار « العلاقات الدولية » للنشر . موسكو ١٩٧٥ . (باللغة الروسية) .

٤ — رفزين ايساك ، روزنسفيج فيكتر . أسس الترجمة العامة والترجمة الآلية . دار « المدرسة العليا » للنشر . موسكو ١٩٦٤ . (باللغة الروسية) .

٥ — فلاخوف سيرجى ، فلورين سيدر . مالا يترجم فى الترجمة . دار « العلاقات الدولية » للنشر . موسكو ١٩٨٠ (باللغة الروسية).

٦ — فيودرف أندريه . مقدمة فى نظرية الترجمة . دار « الأدبيات باللغات الأجنبية » للنشر . الطبعة الأولى ، موسكو ١٩٥٣ ، الطبعة الثانية ، موسكو ١٩٥٨ . (باللغة الروسية) .

٧ — قضايا نظرية الترجمة فى الدراسات اللغوية الأجنبية . مجموعة دراسات . دار « العلاقات الدولية » للنشر . موسكو ١٩٧٨ . (باللغة الروسية) .

٨ — كاميسارف فيلن . كلمة فى الترجمة . دار « العلاقات الدولية » للنشر . موسكو ١٩٧٣ . (باللغة الروسية) .

٩ — كوبينيف بافل . قضايا تاريخ ونظرية الترجمة الأدبية . دار « جامعة بيلوروسيا » للنشر . مينسك ١٩٧٢ . (باللغة الروسية).

١٠ — كوزمين يورى . الترجمة كنشاط كلامى ذهنى . سلسلة « مفكرة المترجم » العدد ١٢ . دار « العلاقات الدولية » للنشر . موسكو ١٩٧٥ . (باللغة الروسية) .

11. Bassnett-McGuire S.: Translation Studies. Methuen. London/ New York, 1980.

12. Catford J. : A linguistic Theory of Translation London, 1967.

13. Halliday M.A.K. : The comparsion of Languages. In. A. McIn-toch, M.A.K. Halliday : Patterns of Languages. London, 1966.

14. Jacobson R. : On Linguistic Aspects of Translation. In : R.A. Brower (ed.) On Translation. Combridge (Mass.) 1959.

15. Jäger G. : Translation and Translations-lingustik. Halle (Saale), 1975.

16. Kade O. Kommunikation swissenschaltliche Probleme der Translation. In : Grandfragen der übersetzungswissenschaft. «Framsprachen». B. II. Leipzig. 1968.

17. Mounin G. : Les problèmes théorique de la traduction. Paris, 1963.

18. Neubert A. : Pragmatiche Aspekte der übersetzung. In : Grundfragen der übersetzungwissenschaft. «Fremdsprachen» B. II, Leipzig, 1968.

19. Nida E. : Towarda Science of Translating. Leiden, 1964.

20. Nida E., Taber Ch. : The Theory and Practice of Translation. Leiden, 1969.

21. Reiss Ki : Möglichkeiten und Grenzen der übersetzungskritik. München, 1971.

22. Savory Th. : The Art of Translation. Jonathen Cape, 1968.

23. Van Hoof H. International Billiography of Translation. München, 1973.

24. Vinay J.P. Darbelnet J. : Stylistique comparée du français et de L'anglais. Méthode de traduction. Paris, 1972.

25. Weinreich U. : Languages in contact. New York, 1953.

فهرس الموضوعات

رقم الايداع بدار الكتب ٨٦/٢٦٨٠
الرقم الدولى ٩ ــ ٤٥ ــ ٢٣٥ ــ ٩٧٧

شركة مطابع الطنانى
٩ حمودة المقاول ــ عابدين
ت ٩٠٢٧٧٤

الثمن : محلى ٣٥٠ قرش
تصدير ٥٠٠ قرش